كتاب الطالب

الأدب والنصوص

الصف الرابع الإسلامي

4

سنة الطبع
١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

يُوزع مجّاناً ولا يُباع

جمهورية العراق
ديوان الوقف السني
دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية
قسم المناهج والتطوير

الأدب والنصوص

الصف الرابع الإسلامي

كتاب الطالب

4

تأليف لجنة اللغة العربية

١	أ.م.د. قحطان عدنان عبد الواحد	رئيسًا
٢	م.د. هدى صيهود زرزور	عضوًا
٣	م.د. عبد القادر عبدالرزاق هضم	عضوًا
٤	م.م. عدي أحمد خزعل	عضوًا

التصميم والإخراج الفني والعلمي واللغوي

١	أ.م.د.علي سعيد حمادي	مُشرفًا فنيًا ومُصممًا
٢	أ.م.د.عبد الرحمن خلف مطلب	خبيرًا علميًّا
٣	أ.د.محمد خضير مضحي	خبيرًا لغويًّا

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

الوحدة الأولى: مفهوم الأدب، وتاريخه، وعصوره	
مفهوم الأدب، وتاريخه، وعصوره.	٧
الوحدة الثانية: الأدب العربي في العصر الجاهلي (عصر ما قبل الإسلام)	
تمهيد للأدب العربي في العصر الجاهلي (عصر ما قبل الإسلام)	١٤
الشعر في العصر الجاهلي.	٢٣
النثر في العصر الجاهلي.	٤٠
الوحدة الثالثة: الأدب العربي في عصر صدر الإسلام	
الشعر في عصر صدر الإسلام.	٤٩
النثر في عصر صدر الإسلام.	٦١
الوحدة الرابعة: الأدب العربي في العصر الأموي	
تمهيد للأدب العربي في العصر الأموي.	٧٨
الشعر في العصر الأموي.	٨٠
النثر في العصر الأموي.	٩٧
الوحدة الخامسة: الأدب العربي في العصر العباسي الأول	
الشعر في العصر العباسي الأوّل.	١١٠
النثر في العصر العباسي الأوّل.	١٢١

المحتويات

الوحدة السادسة: الأدب العربي في العصر العباسي الثاني	
الشعر في العصر العباسي الثاني.	١٣٣
النثر في العصر العباسي الثاني.	١٤٠
الوحدة السابعة:الأدب في عصر الدول المتتابعة	
تمهيد للأدب العربي في عصر الدول المتتابعة.	١٤٨
الشعر في عصر الدول المتتابعة.	١٥١
النثر في عصر الدول المتتابعة.	١٥٧
الوحدة الثامنة:الأدب العربي في العصر الأندلسي	
تمهيد للأدب العربي في العصر الأندلسي.	١٦٤
الشعر في العصر الأندلسي.	١٦٦
النثر في العصر الأندلسي.	١٨٤
الوحدة التاسعة: الأدب العربي في العصر الحديث	
تمهيد للأدب العربي في العصر الحديث.	١٩٦
الشعر في العصر الحديث.	١٩٩
النثر في العصر الحديث.	٢١٩

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَقْديمٌ:

الحَمْدُ للَّه الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بالْهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّه وَكَفَى باللَّه شَهِيدًا، وَنَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، إِقْرَارًا بِه وَتَوْحِيدًا، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا مَزِيدًا...

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّهُ يَسُرُّ قِسْمُ المَنَاهِجِ وَالتَّطْوِيرِ فِي دَائِرَةِ التَّعْلِيمِ الدِّينِيِّ وَالدِّرَاسَاتِ الإِسْلامِيَّةِ -وَهِيَ إِحْدَى تَشْكِيلاتِ دِيوَانِ الوَقْفِ السُّنِّيِّ فِي جُمْهُورِيَّةِ العِرَاقِ- أَنْ يُقَدِّمَ هَذَا الكِتَابَ إِلَى طَلَبَتِنَا الأَعِزَّاءِ فِي الصَّفِّ الرَّابِعِ الإِعْدَادِي مِنَ الدِّرَاسَةِ الإِعْدَادِيَّةِ، ضِمْنَ سِلْسِلَةِ كُتُبِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ الَّتِي تَمَّ إِعْدَادُهَا وَتَأْلِيفُهَا فِي هَذِهِ المَرْحَلَةِ الدِّرَاسِيَّةِ؛ لِتَحْسِينِ الكِتَابِ المَدْرَسِيِّ وَتَجْوِيدِهِ شَكْلاً وَمَضْمُونًا، وَتَحْقِيقِ الأَهْدَافِ التَّرْبَوِيَّةِ وَالتَّعْلِيمِيَّةِ فِي ثَانَوِيَّاتِنَا الإِسْلامِيَّةِ وَغَايَتِهَا، مُرَاعِيًا فِيهِ خُصُوصِيَّتَهَا، وَرِسَالَتَهَا، وَاعْتِمَادًا عَلَى أُمَّاتِ كُتُبِ التُّرَاثِ الأَدَبِيِّ -شِعْرًا وَنَثْرًا- عَلَى مَرِّ العُصُورِ الأَدَبِيَّةِ الَّتِي تَزْخَرُ بِهَا مَكْتَبَتُنَا العَرَبِيَّةُ.

وَجَاءَ تَحْدِيثُ المَعْلُومَاتِ فِيهِ بِمَا يَتَنَاسَبُ مَعَ قُدُرَاتِ الطَّلَبَةِ وَمُسْتَوَيَاتِهِمْ فِي هَذِهِ المَرْحَلَةِ العُمُرِيَّةِ، فَضْلاً عَنِ المَلْحُوظَاتِ المَيْدَانِيَّةِ، وَقَدْ تَمَّ إِخْرَاجُ هَذَا الكِتَابِ المَنْهَجِيِّ إِخْرَاجًا فَنِّيًّا لائِقًا، وَجَعْلُهُ عُنْصُرًا مُشَوِّقًا وَجَذَّابًا لِلطَّلَبَةِ، وَتَمَّ تَنْفِيذُ ذَلِكَ بِفَضْلِ الجُهُودِ الكَبِيرَةِ الَّتِي بَذَلَتْهَا مَجْمُوعَةٌ مِنْ ذَوِي الاخْتِصَاصِ فِي دَائِرَتِنَا، وَبَعْدَ عَرْضِهِ عَلَى الخُبَرَاءِ وَالمُخْتَصِّينَ فِي مَجَالِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ وَعُلُومِهَا، أَوْصَوْا بِصَلَاحِيَّةِ تَدْرِيسِهِ لاشْتِمَالِهِ عَلَى المُفْرَدَاتِ المَنْهَجِيَّةِ المُتَوَخَّاةِ لِلنُّهُوضِ بِالْمُسْتَوَى العِلْمِيِّ فِي الثَّانَوِيَّاتِ الإِسْلامِيَّةِ، وَلِيُسْهِمَ بِإِعْدَادِ جِيلٍ وَاعٍ مُتَسَلِّحٍ بِمَا يُقَوِّي فِيهِ رُوحَ الانْتِمَاءِ إِلَى لُغَتِهِ الخَالِدَةِ، وَأُمَّتِهِ وَتَارِيخِهِ المَجِيدِ، وَيَبْعَثَ فِيهِ الهِمَّةَ إِلَى بِنَاءِ مُسْتَقْبَلٍ أَفْضَلَ.

فَنَسْأَلُ المَوْلَى عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَكْلأَ طَلَبَتَنَا بِعِنَايَتِهِ، وَيَأْخُذَ بِأَيْدِينَا جَمِيعًا إِلَى مَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ.

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

قِسْمُ المَنَاهِجِ والتَّطْوِيرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ:

الحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ، وَصَلاةُ رَبِّي وَسَلامُهُ عَلَى رَسُوْلِهِ الأَمِيْنِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَلا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ أَنَّ دِرَاسَةَ تُرَاثِنَا الأَدَبِيِّ - شِعْرِهِ وَنَثْرِهِ - تُمَثِّلُ ضَرُورَةً فَنِّيَّةً وَتَارِيخِيَّةً مُلِحَّةً، لا يُمْكِنُ نُكْرَانُهَا، أَوْ الارْتِيَابُ فِيهَا، فَالإِبْدَاعُ الأَدَبِيُّ لا يَنْتَهِي بِانْتِهَاءِ عَصْرِهِ، وَإِنَّمَا يَظَلُّ قِيمَةً فَنِّيَّةً تَنْبِضُ بِالْحَيَاةِ عَلَى مَرِّ العُصُورِ، كُلُّ جِيلٍ يَتَأَثَّرُ بِهِ، وَيَتَفَاعَلُ مَعَهُ، وَيَحْكُمُ عَلَيْهِ بِمَا اسْتَجَدَّ مِنْ رُؤًى جَدِيدَةٍ، وَأَفْكَارٍ مُسْتَحْدَثَةٍ.

وَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ جَاءَ (كِتَابُ الأَدَبِ وَالنُّصُوصِ) لِلصَّفِّ الرَّابِعِ الإِعْدَادِيِّ فِي الثَّانَوِيَّاتِ الإِسْلامِيَّةِ؛ لِيُمَثِّلَ حَلَقَةً جَدِيدَةً مِنْ حَلَقَاتِ مَنَاهِجِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ المُطَوَّرَةِ، وَالمُعَدَّةِ وَالمُؤَلَّفَةِ ضِمْنَ فَلْسَفَةِ التَّعْلِيمِ وَأَهْدَافِهِ فِي دَائِرَةِ التَّعْلِيمِ الدِّينِيِّ وَالدِّرَاسَاتِ الإِسْلامِيَّةِ فِي دِيوَانِ الوَقْفِ السُّنِّيِّ، اسْتِنَادًا إِلَى التَّغْذِيَةِ الرَّاجِعَةِ مِنَ الحَقْلِ التَّرْبَوِيِّ الَّتِي جَمَعَهَا المُشْرِفُونَ الاخْتِصَاصِيُّونَ فِي أَثْنَاءِ الزِّيَارَاتِ المَيْدَانِيَّةِ إِلَى الثَّانَوِيَّاتِ الإِسْلامِيَّةِ المُنْتَشِرَةِ فِي عُمُومِ بَلَدِنَا العَزِيزِ، والاسْتِبَانَاتِ الَّتِي تُرْسَلُ مِنْ قِبَلِ قِسْمِ المَنَاهِجِ وَالتَّطْوِيرِ؛ لِتَقْوِيمِ المَنْهَجِ المَدْرَسِيِّ وَتَطْوِيرِهِ.

وَحَرَصْنَا فِي إِعْدَادِهِ وَتَأْلِيفِهِ وَتَنْقِيحِهِ عَلَى مَجْمُوعَةٍ مِنَ الأُسُسِ التَّرْبَوِيَّةِ وَالعِلْمِيَّةِ المُسْتَوْحَاةِ مِنْ طَبِيعَةِ البِنْيَةِ المَنْطِقِيَّةِ فِي مَجَالِ الأَدَبِ وَالنُّصُوصِ، وَخَصَائِصِ نُمُوِّ الطَّلَبَةِ وَحَاجَاتِهِمْ إِلَى دِرَاسَةِ تُرَاثِهِمُ الأَدَبِيِّ وَاطِّلَاعِهِمْ عَلَى مَا كَانَ يَتَمَتَّعُ بِهِ أَسْلَافُهُمْ مِنْ فَصَاحَةٍ وَبَلَاغَةٍ وَبَيَانٍ، فَهُمْ أَبْنَاءُ الأُمَّةِ الَّتِي نَزَلَ فِيهَا القُرْآنُ، وَتَحَدَّاهُمْ رَبُّ العِزَّةِ فِي أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ، وَمَا كَانَ ذَلِكَ إِلَّا لِسَبْقِهِمْ فِي هَذَا المِضْمَارِ.

واعْتَمَدْنَا فِي إِنْجَازِهِ عَلَى أُمَّاتِ كُتُبِ التُّرَاثِ الأَدَبِيِّ، وَدَوَاوِينِ الشِّعْرِ الَّتِي تَزْخَرُ بِهَا مَكْتَبَتُنَا العَرَبِيَّةُ، فَضْلاً عَنْ إِفَادَتِنَا مِنْ تَجَارِبِ غَيْرِنَا مِنْ ذَوِي الخِبْرَةِ وَالاخْتِصَاصِ، مَعَ الحِفَاظِ عَلَى خُصُوصِيَّةِ ثَانَوِيَّاتِنَا الإِسْلامِيَّةِ.

وَكَانَتْ مِنْ أَسْمَى أَهْدَافِنَا اطِّلاعُ الطَّلَبَةِ عَلَى عُيُونِ الأَدَبِ العَرَبِيِّ، وَغُرَرِهِ وَمَحَاسِنِهِ وَأَشْهَرِ أَعْلامِهِ، وَتَعْرِيفُهُمْ بِتُرَاثِ أُمَّتِهِمْ وَكُنُوزِ ثَقَافَتِهَا، وَمَا لَهَا مِنْ عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ وَحَضَارَةٍ، وَوَضْعُ مِقْدَارٍ مُنَاسِبٍ مِنَ النُّصُوصِ البَلِيغَةِ بَيْنَ أَيْدِي الطَّلَبَةِ لِيَتَذَوَّقُوا الأَدَبَ وَيَتَمَرَّسُوا بِأَسَالِيبِهِ، وَيَتَمَرَّنُوا عَلَى الإِجَازَةِ فِي نَوَاحِي القَوْلِ وَشُعَبِ البَيَانِ، وَالاهْتِمَامُ بِدِرَاسَةِ أَثَرِ القُرْآنِ الكَرِيمِ وَالحَدِيثِ الشَّرِيفِ فِي اللُّغَةِ وَالأَدَبِ مَعَ بَيَانِ نَوَاحِي الإِعْجَازِ فِيهِمَا، وَكَذَا خُطَبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَتَحْبِيبُ اللُّغَةِ الفُصْحَى إِلَى الطَّلَبَةِ بِمَا فِيهَا مِنْ شِعْرٍ وَنَثْرٍ؛ لِكَيْ يُدْرِكُوا جَمَالَهَا، وَيَعْتَزُّوا بِهَا، وَيُدَافِعُوا عَنْهَا، وَيُنَمُّوا مَلَكَةَ التَّذَوُّقِ الأَدَبِيِّ لِلنُّصُوصِ الأَدَبِيَّةِ لَدَيْهِمْ.

وَلِتَحْقِيقِ هَذِهِ الأَهْدَافِ قُمْنَا بِتَقْسِيمِ الكِتَابِ عَلَى تِسْعِ وَحَدَاتٍ، تُمَثِّلُ كُلُّ وَحْدَةٍ عَصْرًا أَدَبِيًّا، وَاجْتَهَدْنَا أَنْ تَحْوِيَ مَوْضُوعَاتُهَا نُبْذَةً عَنْ كُلِّ عَصْرٍ أَدَبِيٍّ، وَالخَصَائِصِ الأَدَبِيَّةِ وَالفَنِّيَّةِ الخَاصَّةِ بِهِ، وَنَظْرَةً فِي حَالِ الشِّعْرِ وَالنَّثْرِ فِيهِ، وَنَمَاذِجَ شِعْرِيَّةً وَنَثْرِيَّةً لِبَعْضِ أُدَبَائِهِ، تُوَضِّحُ الاتِّجَاهَاتِ الرَّئِيسَةَ وَالمُقْتَطَفَاتِ البَارِزَةَ فِي أَدَبِ تِلْكَ العُصُورِ، وَحَلَّلْنَا كُلَّ نَصٍّ أَدَبِيٍّ تَحْلِيلاً فَنِّيًّا وَأُسْلُوبِيًّا، وَحَرَصْنَا عَلَى شَرْحِ بَعْضِ الكَلِمَاتِ الغَرِيبَةِ فِيهِ، وَتَرْكِ بَعْضِهَا الآخَرِ؛ لِتَدْرِيبِ الطَّلَبَةِ عَلَى البَحْثِ فِي المَعَاجِمِ المُيَسَّرَةِ، وَالاعْتِمَادِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ فِي الكَشْفِ عَنْ مَعَانِيهَا، وَقَدْ صَدَّرْنَا كُلَّ وَحْدَةٍ بِأَهْدَافٍ تَرْبَوِيَّةٍ خَاصَّةٍ، وَأَثْرَيْنَاهَا بِمُنَاقَشَةٍ تَحْتَوِي عَلَى أَسْئِلَةٍ مُتَنَوِّعَةٍ تَتَنَاسَبُ مَعَ مُحْتَوَاهَا.

وَنَحْنُ عَلَى يَقِينٍ أَنَّ زُمَلاءَنَا مِنَ المُدَرِّسِينَ وَالمُدَرِّسَاتِ فِي ثَانَوِيَاتِنَا الإِسْلامِيَّةِ، حَمَلَةَ رَايَةِ الأَنْبِيَاءِ وَالعِلْمِ وَالعُلَمَاءِ، حَرِيصُونَ أَشَدَّ الحِرْصِ عَلَى تَمْكِينِ طَلَبَتِنَا الأَعِزَّاءِ مِنَ الانْتِفَاعِ بِمَا تَضَمَّنَهُ هَذَا الكِتَابُ مِنْ مَوَادَّ وَأَنْشِطَةٍ تَعْلِيمِيَّةٍ وَتَرْبَوِيَّةٍ مُتَنَوِّعَةٍ، وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى ذَلِكَ، لِكَوْنِهِمْ يَسْتَشْعِرُونَ ثِقَلَ الأَمَانَةِ المُلْقَاةِ عَلَى عَاتِقِهِمْ، وَبِمَا يَمْلِكُونَ مِنْ طَاقَاتٍ إِبْدَاعِيَّةٍ، تُسْهِمُ فِي تَنْمِيَةِ مَعَارِفِ الطَّلَبَةِ وَمَهَارَاتِهِمُ اللُّغَوِيَّةِ، وَتَوْظِيفِهَا فِي مَجَالاتِ الحَيَاةِ المُخْتَلِفَةِ بِمَا يَعُودُ عَلَيْهِمْ وَعَلَى وَطَنِهِمْ بِالْفَائِدَةِ المَرْجُوَّةِ فِي الحَاضِرِ وَالْمُسْتَقْبَلِ، وإليكم مَجْمُوعَةً مِنَ الارْشَادَاتِ التي نَرى أَنَّها تسهم في تذليل الصعوبات أمام تدريسكم المادة:

١ تحديد أهداف كل درس عند الإعداد له في كراسة التحضير.

٢ استعانة المُدرِّس باللوحة (السبورة)، وبالوسائل التعليمية الأخرى المناسبة.

٣ التقديم للنص بمقدمة تنبع من ذات النص وتثير اهتمام الطلبة إلى الدرس وتشوقهم إليه.

٤ يقرأ المُدرِّس النصّ قراءة جهرية فصيحة، يتلوها قراءة بعض الطلبة بالتناوب؛ لترسيخه في أذهانهم.

٥ يُكلّف المُدرّس الطلبة بقراءة النص قراءة صامتة تتبعها أسئلة قصيرة ومناقشة على العناصر الرئيسة في النص.

٦ التعليق على النص والتعريف بصاحبه والمناسبة التي قيل فيها بإيجاز ما أمكن.

٧ يشرحُ المدرّس النص ويبين المعاني والمفردات الغريبة، والأفكار الرئيسة، والخصائص الفنية المناسبة لمستوى الطلبة ويدونها على السبورة لتتضح مواطن الجمال، والخيال، والعواطف، والأهداف في النص كاملًا.

٨ تقويم فهم الطلبة بعد كل فقرة بالأسئلة المباشرة أو غير المباشرة، ثم تقويم فهمهم عامة عن طريق أسئلة المناقشة.

٩ يساعد المدرس الطلبة على كيفية حفظ النص المطلوب حفظه بتوجيههم -مثلاً- إلى إحدى الطريقتين الآتيتين:

- تجزئة النص -إذا كان طويلاً- إلى أجزاء مترابطة في الفكرة، ويبدأ في تكرار الجزء حتى يستظهره، فينتقل إلى الجزء التالي، وهكذا حتى يتم حفظ النص - كاملاً-.
- إذا كان النصُّ قصيرًا يكون حفظه جملة واحدة، فيكرره الطالب حتى يستظهرهُ.

وَفِي الختَام فَإِنَّنَا نَسْأَلُ اَللَّهَ تَعَالَى أَنْ نَكُونَ قَدْ وفِّقْنَا لِخِدْمَةِ لُغَتِنَا العَرَبِيَّةِ وَأَبْنَائِنَا الطَّلَبَةِ، وَنَرْجُو مِنَ الإِخْوَةِ الْمُشْرِفِينَ وَالْمُشْرِفَاتِ، وَالمُدَرِّسِينَ وَالْمُدَرِّسَاتِ، وَأَوْلِيَاءِ الأُمُورِ، أَلَّا يَبْخَلُوا عَلَيْنَا بِمَلْحُوظَاتِهِمُ الَّتِي سَتَلْقَى عِنْدَنَا الرِّعَايَةَ وَالاهْتِمَامَ، وَتُسَاعِدُنَا فِي تَطْوِيرِ اَلْمَنْهَجِ.

وَاللَّهُ مِنْ وَرَاءِ اَلْقَصْدِ وَهُوَ الهَادِي إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ.

لَجْنَةُ التَّأْلِيفِ وَالْإِعْدَادِ وَالتَّنْقِيحِ

١

الوَحْـدَةُ الأولـَى

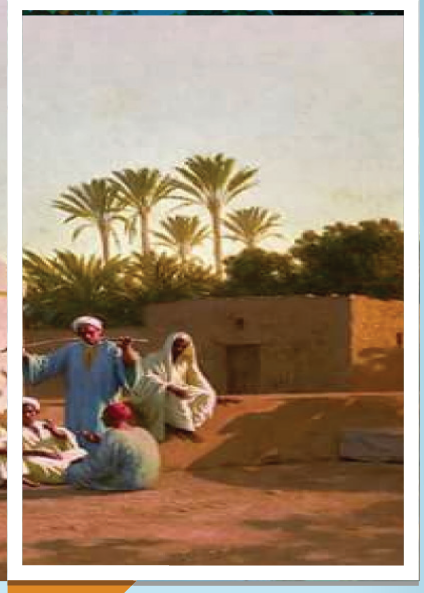

مَفهومُ الأدَبِ، وَتَارِيخُهُ، وَعُصُورُهُ

بعد الانتهاء:

من دراسة هذه الوحدة يتوقع من الطالب يكون قادرًا على أن:

١. يحدد مفهوم الأدب، وتاريخه، وعصوره.

٢. يوضح أقسام الأدب شعرًا ونثرًا.

٣. يذكر الأغراض من دراسة الأدب العربي.

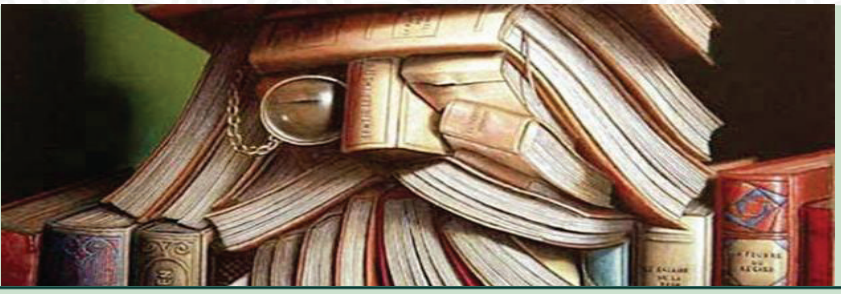

مَفهومُ الأدَبِ، وَتَارِيخُهُ، وَعُصُورُهُ

مفهوم الأدب

إنّ أصل كلمة الأدب: مأخوذ من مأدبة، فقد كان العرب في الجاهلية يُطلقون على الطعام الذي يدعون إليه الناس مأدبة، وبعد دعوة النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الإسلام تحوّل المقصود بكلمة الأدب إلى مكارم الأخلاق، وبعد ذلك تطوّر مفهوم الأدب، فأطلق على التعليم فكان المُؤدِّب يقوم بتعليم الشّعر، والخطب وأخبار العرب وأنسابهم، وبعدها أصبح مفهوم الأدب يطلق على الشعر والنثر، والكتابة فيهما .

ويمكننا تَعريفُ الأدب: بأنّهُ: التعبير عمَّا يَجيش في الوجدان، وإبراز الأفكار ممزوجة بالمشاعر، بحيث يظهر الشعر والنثر الأدبي بأسلوبٍ جميلٍ موحٍ مؤثر، يستوقف القارئ، ويهز مشاعره.

وقد يُطلق الأدب على جميع ما صُنِّف في كل لغة من البحوث العلمية، والفنون الأدبية.

وإنّ دراسة الأدب تعلمنا تذوق الأقوال الشعرية والنثرية الجميلة، واكتشاف الجوانب الوجدانية من الحياة، والتعبير عنها بالكلمات الموزونة العذبة والأدب الجميل تعبير إنساني رفيع يحمل سرّ الخلود في كل قطعة أدبية.

وقد استقر هذا المدلول لكلمة (أدب) طوال العصور التي تلت العصر العباسي إلى يومنا هذا.

تاريخ الأدب:

علمٌ يبحث عن أحوال اللغة، وما أنتجته قرائح أبنائها من الشعر والنثر البليغ في مختلف العصور، كما يبحث أسباب تطور الأدب وأسباب ضعفه، ويرصد حياة كبار الشعراء والكتاب وإبداعاتهم، متعرضًا لأساليبهم وخصائص تفوقهم، وتأثيرهم وتأثرهم.

وباختصار يمكننا القول: إن تاريخ الأدب وصف متسلسل زمنيًا لكل ما دُوِّن من أدبٍ شعرًا، ونثرًا، ونقدًا.

العصور الأدبية:

يتفق مؤرخو الأدب – في الغالب – أن العصور العربية الأدبية سبعة هي:

١ العصرُ الجاهليّ.

٢ عصر صدر الإسلام.

٣ العصر الأموي.

٤ العصر العباسي الأول.

٥ العصر العباسي الثاني.

٦ عصر الدول المتتابعة (العصرُ المملوكيّ أو التركي).

٧ العصرُ الحديث.

ويمكن أنْ نُميّز لدى دراستنا هذه العصور السمة الرئيسة لكل عصر، كما هو الآتي:

١ العصر الجاهلي:

وهو الحِقبةُ الَّتي تَسبِقُ ظُهورَ الإسلامِ بقُرابةِ قَرنَينِ مِنَ الزَّمانِ، ويبتدئ هذا العصر من أول شعر وصلتنا روايته ويقدر ذلك بـ (٢٠٠ سنة) قبل الإسلام وينتهي بظهور الإسلام، وتأثيره في الأدب.

٢ عصر صدر الإسلام:

يبدأ هذا العصر بظهور الإسلام وتأثيره في الأدب، ونهايته نهاية هي حكم الخلفاء الراشدين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، وبداية الدولة الاموية.

٣ العصر الأموي:

يَبدَأُ بقِيامِ الدَّولةِ الأُمَويَّةِ بدايةً مِن سَنةِ (٤١هـ)، ويمتد إلى نهايتها سنة (١٣٢هـ) عندما سقطت الدولة الأُموية.

٤ العصر العباسي:

يبدأ هذا العصر بقيام الدولة العباسية سنة (١٣٢هـ)، وينتهي بسقوط بغداد على يد التتر سنة (٦٥٦هـ)، وقد امتدّ إلى خمسة قرون، ومن المؤرخين من يقسم هذا العصر إلى قسمين:

العصر العباسي الأول: استمر قرابة مائة سنة من قيام الدولة العباسية، وانتهى مع خلافة المعتصم، وكانت الدولة الإسلامية فيه قوية.

والعصر العباسي الثاني: جاء بعد خلافة المعتصم، وفيه ضعفت الدولة الإسلامية، واستمر بَقيَّةَ عُمرِ الدَّولةِ العبَّاسيَّةِ حتَّى سُقوطِها.

٥ عصر الدول المتتابعة (العصرُ المملوكيّ أو التركي):

يبدأ هذا العصر باستيلاء التتار على بغداد سنة (٦٥٦هـ)، وينتهي بتأثير الحضارة الأوروبية في الأدب العربي، وذلك في بدء القرن الثالث عشر الهجري، ويشمل هذا العصر حكم التتار لشرقي البلاد الإسلامية، وحكم المماليك لمصر، وحكم الأتراك العثمانيين للبلاد الإسلامية.

٦ العصر الحديث:

يبتدئ هذا العصر بقيام الحركات الإصلاحية في بعض البلاد العربية، كما يعد التأثير الأوربي (سلبًا أو إيجابًا) - في بدء القرن الثالث عشر الهجري- ذا أثر بيّنٍ في بعض البلاد العربية كما هو الحال في سوريا ولبنان ومصر، فضلًا عن انتشار المدارس والجامعات، وانتشار المطابع، وظهور الصحافة والترجمة، كل هذه العوامل ساعدت في بزوغ فجر هذا العصر الذي يمتد إلى أيامنا هذه.

الصعاليك: جماعة خارجون على العرف، رافضون التقاليد، ويعتبر شِعرهم نتاجًا وإفرازًا لواقع الحياة في هذا العصر.
الغزل العذري: المقصود به الغزل العفيف. **التتار**: خليط من شعوب وسط آسيا وشمالها فيهم المغول والأتراك وغيرهم، ولهم الآن جمهورية في الاتحاد السوفيتي تعرف باسمهم وسكانها خمسة ملايين.

أقْسَامُ الأدَبِ

والمَقْصودُ به تَقْسيمُ الأدَبِ العَربيِّ باعْتِبارِ مَوْضوعاتِه، ويمكن تقسيمه على فنّين كبيرين هما: (**فن الشعر وضروبه**) و (**فن النثر**).

١ الشّعر:

والشِّعرُ هو الكَلامُ المَوْزونُ المُقفَّى، الَّذي يَخضَعُ لقَواعِدَ وقَوانينَ مُعيَّنةٍ، لا يُلزَمُ النَّثْرُ بها، ويعد الشعر الفن الأكبر من فنون الأدب، والأكثر رواجًا وإمتاعًا للنفس.

وشهرته وتأثيره في النفوس على مرِّ العصور أوضح وأبين من غيره؛ ولذلك عندما يذكر الأدب فإن الشعر أول ما يتبادر إلى الذهن لقوة دلالته عليه، ولكلٍّ مِنَ الشِّعرِ والنَّثْرِ أنْواعٌ وصُوَرٌ مُتَعدِّدةٌ، ولكلٍّ رِجالُه الَّذين أثْرَوُا الحَياةَ الأدَبيَّةَ العَربيَّةَ بعَطاءاتِهم، والشعر ثلاثة أنواع هي: (الشعر القصصي، والشعر التمثيلي، والشعر الغنائي أو الوجداني).

٢ النثر:

عندما ذكرنا بأن الشعر هو أكبر قسمي الأدب وأشهرهما فلا يعني ذلك التقليل من شأن النثر، بل إنه في بعض الأحيان أقوى تأثيرًا؛ وذلك عندما تكون الحاجة إليه أمس من الحاجة إلى الشعر.

ومن سمات النثر أنّه يَنعَمُ بالحُريَّةِ دونَ تَقيُّدٍ بقَواعِدِ الوَزْنِ والقافيةِ، معَ اتِّسامِه بحُسْنِ الصِّياغةِ وجَمالِ الأداءِ؛ ولِهذا فلا تَجوزُ فيه مُخالَفةُ اللُّغةِ العَربيَّةِ، ويشتمل النثر على أنواع كثيرة منها: (الخطب، والرسائل، والأمثال والحكم، والوصايا والمقامات، والقصص والمسرحيات).

الوزن الشعري: هو مجموعة التفعيلات التي تسمى بحرًا، وبحور الشعر ستة عشر وضعها الخليل بن أحمد الفراهيدي ولكل منها ميزان خاص به يتكون من تكرار تفعيلة واحدة أو أكثر مثل: الطويل البسيط... وهكذا.

والقافية: هي آخر البيت وتقوم بدور أساس في الشعر العربي، وهي قرينة الوزن في هذا الدور، ولكن وضوحها السمعي وبروزها الصوتي جعل منها ملمحًا كاشفًا ، ومعلمًا دالا بحيث تطلق القافية ويراد بها القصيدة أو القوافي ويراد بها الشعر.

الغَرَضُ مِنْ دِراسَةِ الأَدَبِ

١. تهذيب الأخلاق وترقيق العواطف.
٢. الاتصال بالثقافة العامة بجميع أنواعها بما فيها الثقافة الأدبية، والوقوف على القضايا الاجتماعية والفكرية للمجتمع، ثم الإسهام في معالجتها وتوجيهها الوجهة الصحيحة.
٣. نقل التجارب الإنسانية إلى الآخرين، واكتساب الخبرات والمعارف عن طريق قراءة كتب الأدب بقسميها الشعر والنثر.
٤. التعليم عن طريق المتعة كما في الروايات والمسرحيات.

٥ معرفة النفس الإنسانية ودواخلها وكوامنها عن طريق الأدب الذي تنفثه على لسان صاحبها، شعرًا كان أو نثرًا.

٦ الدعوة إلى الله: فالأديب اللبيب هو الذي يعرف كيف يدعو إلى الله؟ وكيف يصل إلى أعماق النفس الإنسانية؟ وبذلك يكون أقدر من غيره عندما يدعو إلى الإسلام.

٧ الترويح عن النفس.

المناقشة

١ أوجز القول في مفهوم الأدب.

٢ تكلم بإيجاز عن أثر الشعر في النفوس؟

٣ **تكلم عن النثر بإيجاز، وما أبرز سماته؟**

٤ تحدّث بإيجاز عن أربعة من أغراض دراسة الأدب.

٥ يُقسم الأدب تاريخيًا إلى عدة عصور، اذكرها محددًا بداية كل عصر ونهايته.

٢

الوَحْـدَةُ الثانيـة

الأدب العربي في العَصرُ الجَّاهليّ (عَصرُ ما قبلَ الإسلامِ)

بعد الانتهاء:

من دراسة هذه الوحدة يتوقع من الطالب يكون قادرًا على أن:

١. يوضح ملامح العصر الجاهلي، ودلالاته.
٢. يبين مفهوم الأدب في العصر الجاهلي.
٣. يذكر أهم أغراض الشعر في العصر الجاهلي.
٤. يسرد شعراء المعلقات.
٥. يحفظ بعضًا من نصوص المعلقات.
٦. يحدد خصائص النثر في العصر الجاهلي.
٧. يعدد فنون النثر الجاهلي.

الدَرس الأوَّل:
تمهيد الأدب العربي في العَصرُ الجَّاهليّ
(عَصرُ ما قبلَ الإسلامِ)

تحديد ملامحُ العصر الجّاهلي:

قد يتبادر إلى الأذهان أنّ العصر الجاهلي يشمل كل ما سبق الإسلام من حقب وأزمنةٍ، فهو يدل على الأطوار التاريخية للجزيرة العربية في عصورها القديمة قبل الميلاد وبعده، لكن من يبحثون في الأدب الجاهلي لا يتسعون في الزمن به هذا الاتساع، إذ لا يتغلغلون به إلى ما وراء قرن ونصف من البعثة النبوية، بل يكتفون بهذه الحقبة الزمنية، وهي الحقبة التي تكاملت فيها خصائص اللغة العربية، والتي جاءنا عنها الشعر الجاهلي.

ونقف بالعصر الجاهلي عند مائة وخمسين عامًا قبل الإسلام، أمّا ما قبل ذلك فيمكن تسميته بالجاهلية الأولى، وهو لا يدخل في هذا العصر؛ وسبب وقوفنا عند هذه المدة الزمنية؛ لكونها المدة التي ظهر فيها التدوين والكتابة.

وتُثير كلمة الجاهلية قضايا عديدة، فهي في الحقيقة مصطلح مستحدث أطلقه الإسلام على المرحلة السابقة للبعثة النبوية، فهو من هذه الناحية تكتنفه الدلالة الدينية، مما يدعونا إلى القول: بأنَّ مصطلح الجاهلية مصطلح ديني له غاية محددة حين ظهر الإسلام، وهي حث العرب على التخلص من كل نقيصة كانت لهم في عهد ما قبل الإسلام، بل تنفيرهم من ذلك وترغيبهم فيما جاء به الإسلام من خلق سوي أراده الله تعالى لهم، ويعمد بعضُ الباحثين إلى النأي عن استخدام مصطلح الجاهلية وإيثار استبداله بمصطلح آخر هو (مرحلة ما قبل الإسلام) لارتباط الجَاهليّة بفكرة سائدة وغير حقيقية ترى في هذه الفترة من حياة العرب ظلامًا تاماً في كل نواحي الحياة، فهي من الجهل والجهالة العمياء.

دلالاتُ تسمية العصر الجّاهليّ

تشتمل كلمة (الجاهلية) على دلالات متعددة، فهي مرة تدل على (الجهل) الذي هو ضد العلم، ومن الجهل بالقراءة والكتابة، وفهمها آخرون أنها من الجهل بالله وبرسوله وبشرائع الدين وباتباع الوثنية والتعبد لغير الله، وذهب آخرون إلى أنها من المفاخرة بالأنساب والتباهي بالأحساب والكِبْرِ والتَّجَبِّرِ.

وهنا ينبغي أن نؤكد أن كلمة الجاهلية التي أطلقت على هذا العصر ليست مشتقة من الجهل الذي هو ضد العلم ونقيضه، إنّما هي مشتقة من الجهل بمعنى السّفه، والغضب والنزق، فهي تقابل كلمة الإسلام التي تدل على الخضوع والطاعةِ لله جلَّ وعلا، وما يطوى فيها من سلوك خلقي كريم، ودارت الكلمة في الذكر الحكيم والحديث النبوي والشعر الجاهلي بهذا المعنى من الحمية والطيش والغضب، قال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [البقرة:٦٧]، وقال تعالى: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩ ﴾ [الأعراف:١٩٩]، وفي موضع ثالث ذُكرت كلمةُ الجّاهلية، فقال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴾[الفرقان:٦٣]، وفي الحديث النبوي الشريف أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لأبي ذَرٍ وقد عيَّرَ رجلًا بأمِّهِ: ((**إنّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ**))، وفي مُعلَّقة عمرو بن **كلثوم التغلبي**:

أَلَا لَا يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجَاهِلِيْنَا

وواضح في هذه النصوص جميعًا أن الكلمة استعملت من قديم للدّلالة على السّفه والطيش والحمق، وقد أخذت تطلق على العصر القريب من الإسلام، أو بعبارة أدق على العصر السابق له مباشرة وكل ما كان فيه من وثنية وأخلاق قوامها الحمية والأخذ بالثأر واقتراف ما حرَّمهُ الدِّين الحنيف من مُوبقات.

غير أننا لا يمكن أن نصف العرب بالجهل المرادف لعدم العلم؛ لأنَّ العرب وإن

كان أكثرهم لا يقرأ ولا يكتب، فقد كانوا يتواصلون بلغة راقية نزل بها كتاب الله ووافقها، وكان لهم من الحكمة والتجربة والنضج وصفاء الذهن وسرعة البديهة الكثير مما أفصحت عنه أشعارهم وخطبهم وقصصهم وأخبار منتدياتهم وأسواقهم، ويعد أدبهم أرقى الآداب في أيّامهم، وأخبار منتدياتهم وأسواقهم، ويعد أدبهم أرقى الآداب في أيامهم، ولا يزال إلى عصرنا الحاضر من أبرع النماذج الأدبية، فضلًا عن ذلك فقد عرف عنهم معرفتهم بالفلك والقيافة.

فائدة

القيافة: هي قص الأثر أو الفراسة، وهي قسمان:

القسم الأول: قيافة الأثر: ويقصد به متابعة أثر الماضي في الصحراء حتى يعلم أين ذهب.

القسم الثاني: قيافة البشر: ويقصد بها الاستدلال بهيئات أعضاء الشخصين على المشاركة والاتحاد بينهما في النسب، فقد كانوا يعرفون نسب الرجل من صورة وجهه.

مفهومُ الأدب في العصر الجّاهليّ

في العصر الجاهلي ـ وهو أقدم ما يعرف من أدوار تاريخ الأدب العربي ـ لا توجد نصوص تشير إلى أن كلمة (أدب) فيه كانت تعني ما تحمله في هذا العصر من معنى، بل إن هذه الكلمة كانت قد عرفت في معنى ضيق جدًا، وهو الدعوة إلى مأدبة أو وليمة، وفي ذلك يقول الشاعر الجاهلي طرفة بن العبد:

نَحْنُ فِيْ المَشْتَاةِ نَدْعُو الجَفَلَى لَا تَـرَى الآدِبَ فِيْنَـا يَنْتَقِـرْ

والجفلى: هي الدعوة العامة، والآدب هو الداعي، وينتقر؛ أي: يتخير أو يختار، وبهذا يفتخر الشاعر بأنهم كانوا يقيمون المآدب في الشتاء، ويجعلونها عامة لكل عابر سبيل إذ إنهم لم يكونوا يختارون من يحضر إلى تلك المآدب، وهذا معنى ضيق جدًا، وبعيد كثيرًا عن معنى كلمة (أدب) في العصر الحديث.

ثم عرف العرب من معاني الأدبِ، أنّه الخلق المهذب، والطبع القويم، والمعاملة الكريمة للناس.

أيامُ العَربِ في الجّاهليّة وأثرها في الأدب:

يطلق لفظ (أيام العرب) على الوقائع الحربية التي دارت بين القبائل العربية، أو بين القبائل العربية وما جاورها من الدول كالفرس والأحباش، وجُلّ هذه الأيام كان في الجاهلية.

ومن أيام العرب ما سفكت فيه دماء كثيرة، وتوالت الوقائع فيه أيامًا متوالية كحرب البسوس، وحرب داحس والغبراء، ويوم الفجّار، ويوم بُعاث، ويوم البيضاء.

ويعد شعر (أيام العرب) في الجاهلية مادة تاريخية وأدبية خصبة، وهو من أهم مصادر الدّراسة الأدبيّة في هذا العصر، ولا يكاد أدبٌ جاهلي يخلو من ذكر لأخبار (أيام العرب) تلميحًا أو تصريحًا؛ لذلك فإن الدّارس لشعر أيام العرب يجد نفسه يجول في أرجاء الشعر الجاهلي يكشف أصداء أخبار وحوادث تلك الأيام التي جاءت ذكر بعضها في أبيات متناثرة أو في قصائد طوال ضمن أغراض الشعر

العربي المعروفة؛ ذلك أن الشاعر الجاهلي لم يكن يستطيع أن يفخر أو يمدح أو يهجو أو يرثي إلاّ وهو يستند إلى ما خلفته تلك (الأيام) من آثار في روحه وذاكرته، وما أحدثته في تصرفاته وطريقة تفكيره.

وكان للشعراء أثرهم في هذه الأيام، إذ كانوا يحرّضون قومهم على القتال وطلب الثأر، فإذا عجز قومهم عن ذلك هجوهم، ومنه صنيع الشاعر قُريط بن أُنيف حين هجا قومه بني شيبان؛ لأنَّهم لم يستنقذوا إبله، وربما شارك الشعراء في الغزو والقتال فهم شعراء وفرسان مقاتلون في الوقت عينه، ومن هؤلاء مثلًا: (عنترة بن شدّاد، وعامر بن الطفيل، الحارث بن حِلِّزَة، ودريد بن الصِمّة، وعمرو بن كلثوم، والأعشى، والخنساء).

أشهر أيام العرب:

ومن أشهر أيام العرب التي نقلها الرواة هي:

١ يوم خَزَاز (أو خزازى):

كان هذا اليوم من أعظم أيام العرب في الجاهلية، وهو أول يوم انتصفت فيه القبائل المعدّية من قبائل اليمن، وهو من أقدم أيام العرب زمناً. كانت قبائل ربيعة ومضر تدين في ذلك الحين لسلطان اليمن، ثم تمرّدت عليه، فجمعت اليمن جموعًا لقتال المعديّين، وكثرتها من مذحج، ورأّست قبيلة ربيعة عليها كليب وائل، فأمر كليب سلمة بن خالد الملقّب بالسفّاح التغلبيّ، أن يوقد نارًا على جبل خزاز حين يرى جموع اليمن مقبلة عليهم، ففعل والتقى الفريقان فكان النصر لكليب ومن معه من القبائل، وكان هذا النصر من مفاخر قبيلة تغلب التي أشاد بها شعراؤها، ومنهم عمرو بن كلثوم، القائل في معلقته:

للاطلاع فحسب

وَنَحْنُ غَدَاةَ أُوْقِدَ فِي خَزَازَى ... رَفَدْنَا فَوْقَ رِفْدِ الرَّافِدِيْنَا.

وَكُنَّا الأَيْمَنِيْنَ إِذَا التَقَيْنَا ... وَكَانَ الأَيْسَرِيْنَ بَنُو أَبِيْنَا

فَصَالُوا صَوْلَةً فِيْمَنْ يَلِيْهِمْ ... وَصُلْنَا صَوْلَةً فِيْمَنْ يَلِيْنَا

فَآبُوا بِالنِّهَابِ وَبِالسَّبَايَا ... وَأُبْنَا بِالمُلُوْكِ مُصَفَّدِيْنَا

إِلَيْكُمْ يَا بَنِي بَكْرٍ إِلَيْكُمْ ... أَلَمَّا تَعْرِفُوا مِنَّا اليَقِيْنَا

٢ حرب داحس والغبراء:

نشبت هذه الحرب بين قبيلتي عبس وذبيان، وكلتاهما من غطفان، وسببها رهان وقع بين حُذيفة بن بدر الفزاري الذبياني وبين قيس بن زهير بن جذيمة العبسي على سَبَق عيّناه (ما يناله الفائز في السباق) فأجرى كل منهما فرسه، فسبقت فرس قيس بن زهير، وكان حذيفة قد أكمن لها رجالاً يردّونها عن الغاية، فلما جاءت سابقة ردّوها لتكون السابقة فرس حذيفة. وتنازع الرجلان أيهما أحق بالسبق، وأدّى هذا النزاع إلى نشوب الحرب بين القبيلتين، وقتل في وقائعها نفر من أشرافهما، وقد شارك عنترة العبسي في هذه الحرب، وطال أمد القتال حتى دخل بينهما شريفان من بني مُرّة، هما: الحارث بن عوف وهرم بن سنان المرّيّان الذبيانيان، فأديا من مالهما ديات القتلى الذين فضلوا بعد إحصاء قتلى الحيين وأطفآ بذلك نار الحرب، وقد مدح زهير بن أبي سلمى هذين الشريفين في معلقته:

يَمِينًا لَنِعْمَ السَيِّدَانِ وُجِدْتُمَا ... عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمُبْرَمِ
تَدَارَكْتُمَا عَبْسًا وَذُبْيَانَ بَعْدَمَا ... تَفَانَوْا وَدَقُّوْا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشِمِ
وَقَدْ قُلْتُمَا إِنْ نُدْرِكِ السِلْمَ وَاسِعًا ... بِمَالٍ وَمَعْرُوْفٍ مِنَ الأَمْرِ نَسْلَمِ
فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ ... بَعِيْدَيْنِ فِيْهَا مِنْ عُقُوْقٍ وَمَأْثَمِ
عَظِيْمَيْنِ فِي عُلْيَا مَعَدٍّ وَغَيْرِهَا ... وَمَنْ يَسْتَبِحْ كَنْزًا مِنَ المَجْدِ يَعْظُمِ

للاطلاع فحسب

٣ حرب البسوس:

نشبت هذه الحرب بين قبيلتي بكر وتغلب، وكلتاهما من ربيعة، وكان الذي هاجها مقتل كليب، سيد بني تغلب، بيد جَسّاس بن مُرة البكري. كان كليب في ذلك الحين سيد ربيعة كلها بلا منازع، وهو الذي هزم قبائل قحطان في يوم خَزاز، وكان جبّاراً متسلّطاً، بلغ من جبروته وعزّته أنه كان لا يسمح لأحد أن يورد إبله مع إبله، وكانت القبيلة لا تنزل ولا ترحل إلاّ بأمره، وكان لا يحتبي أحد في مجلسه، وكانت ربيعة لا تصدر إلاّ عن رأيه في جميع أمورها، حتى ضُرب المثل بعزّته فقيل: (أعزّ من

كليب وائل). واتفق أن امرأة تدعى البسوس نزلت في جوار بني مُرّة البكريين، وهي خالة جَسّاس بن مُرّة، فوردت ناقتها الماء مع إبل كليب، فغضب كليب وأمر برميها بسهم فقتلها، فغضب لذلك جسّاس وانتهز غِرّة من كليب فقتله، فشبّت الحرب بين بكر وتغلب لهذا السبب وهبّ مُهلهل، أخو كليب، للطلب بثأر أخيه، وكانوا يلتقون في الوقعة بعد الوقعة، ومن أيامها: (يوم التّحالق، ويوم واردات، ويوم القصيبات)، واستمرت الحرب بين القبيلتين أمدًا طويلاً. وكان آخر من قتل من جرّائها جسّاس ابن مُرّة، قتله الهجرس بن كليب، وأخيرًا دخل ملك الحيرة بين الطرفين فتكافّا عن القتال، وفي ذلك أنشدَ الشاعر المُهلهل بن أبي ربيعة:

لَمَّا نَعَى النَّاعِي كُلَيْبًا أَظلَمَتْ ... شَمْسُ النَّهَارِ فَمَا تُرِيْدُ طُلُوْعًا

قَتَلُوْا كُلَيْبًا ثُمَّ قَالُوْا أَرتِعوا ... كَذَبُوْا لَقَدْ مَنَعُوْا الجِيَادَ رُتُوْعًا

كَلَّا وَأَنْصَابٍ لَنَا عَادِيَّةٍ ... مَعْبُوْدَةٍ قَدْ قُطِّقَتْ تَقْطِيْعًا

حَتَّى أُبِيْدَ قَبِيْلَةً وَقَبِيْلَةً ... وَقَبِيْلَةً وَقَبِيْلَتَيْنِ جَمِيْعًا

٤ يوم ذي قار:

للحفظ بيتان

هذا اليوم هو أول يوم انتصف فيه العرب من العجم، ويقال إنّه حدث في زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان سببه أن كسرى أبرويز غضب على النعمان بن المنذر ملك الحيرة، وقد أوغر صدره عليه زيد بن عدي العباديّ؛ لأنه قتل أباه عدي بن زيد، فلجأ النعمان إلى هانئ بن مسعود الشيباني فاستودعه أهله وماله وسلاحه، ثم عاد فاستسلم لكسرى، فسجنه ثم قتله.

وأرسل كسرى إلى هانئ بن مسعود يطلب إليه تسليمه وديعة النعمان، فأبى هانئ دفعها إليه دفعاً للمذمة، فغضب كسرى على بني شيبان وعزم على استئصالهم، فجهّز لذلك جيشاً ضخماً من الأساورة الفرس يقودهم الهامرز، ومن قبائل العرب الموالية له، من تغلب والنمر بن قاسط وقضاعة وإياد، وولى قيادة هذه القبائل إياس بن قبيصة الطائي، وبعث معهم كتيبتيه الشهباء والدوسر. فلما بلغ النبأ بني شيبان استجاروا بقبائل بكر بن وائل، فوافتهم طوائف منهم، واستشاروا في أمرهم

حنظلة بن سيّار العجلي، واستقر رأيهم على البروز إلى بطحاء ذي قار، وهو ماء لبكر بن وائل قريب من موضع الكوفة.

والتقى الفريقان في ذي قار، وبدافع العصبية للعرب تخلّت قبيلة إياد عن مواقعها وعادت أدراجها. وقد وقعت في بدء المعركة مبارزة بين الحوفزان بن شريك الشيباني والهامرز قائد جيوش كسرى، فقتل الحوفزان الهامرز، وبعد معركة حامية الوطيس وقعت الهزيمة بجيش كسرى ومن والاه، وقد افتخر شعراء بكر بن وائل بما أحرزوه يومئذ من النصر المبين ومن ذلك قول الأعشى:

وَجُنْدُ كِسْرَى غَدَاةَ الحِنْوِ صَبّحَهُمُ ... مِنَّا كَتَائِبُ تُزْجِي المَوْتَ فَانْصَرَفُوْا

إِذَا أَمَالُوْا إِلَى النُشَّابِ أَيْدِيَهُمُ ... مِلْنَا بِبِيْضٍ فَظَلّ الهَامُ يُخْتَطَفُ

وَخَيْلُ بَكْرٍ فَمَا تَنْفَكُّ تَطْحَنُهُم ... حَتَّى تَوَلّوْا وَكَادَ اليَوْمُ يَنْتَصِفُ

لَوْ أَنّ كُلّ مَعَدٍّ كَانَ شَارَكَنَا ... فِي يَوْمِ ذِي قَارَ مَا أَخْطَاهُمُ الشَرَفُ

للحفظ بيتان

المناقشـــة

١ ما سببُ تسمية العصرِ الجّاهلي؟ وما الدلالات التي تنطوي عليها هذه التّسمية؟ وما المصطلح الذي تؤيّد تداوله؟

٢ بمَ توحي لفظة أدب منذ بدايات ظهورها الأولى؟

٣ ما المقصود بأيام العرب؟ وما أثر الشعراء في تلك الأيّام؟ أوجزها باختصار.

٤ يعد شعر أيام العرب مادة تاريخية خصبة، أوجز الكلام في ذلك.

٥ تكلم بإيجاز على أشهر أيام العرب التي نقلها الرواة، مستشهدًا بما تحفظ من شواهد شعرية.

الدَرس الثاني:
الأدَبِ في العَصرِ الجّاهليِّ
الشّعر في العصر الجاهلي

يمثّل الشِّعر في العصر الجاهليّ نمطًا من أنماط الفنّ التّعبيريّ، اتّسم بسماتٍ خاصّةٍ ميّزته عن سواه من حيث الشّكل والأسلوب والرّؤية، وسمّي الشّعر ما قبل الإسلام بالشّعر الجاهلي؛ لأنّه يعبّر عن أفكار الإنسان ما قبل الإسلام ومواقفه من الحياة ورؤيته للكون والوجود، ولا يقتصر هذا على الموقف الدّينيّ فقط، بل على المناحي السّياسيّة والاجتماعيّة والفلسفيّة أيضًا.

والقصيدة الجاهليّة: هي كلّ قصيدةٍ كتبت قبل الإسلام، ويمكن تعريفها بأنّها: التّعبير الشّعري عن رؤى ومواقف جاهليّة باستعمال أدواتٍ تركيبيّةٍ، وبلاغيّةٍ، وإيقاعيّةٍ ذات صبغةٍ جاهليّة.

نشأته ومصادره:

يمثل الشعر في عصر ما قبل الإسلام، الذي أُطلق عليه في مصادر الأدب ومراجعه (العصر الجاهلي) نقلة مرحلية متطورة للشعر العربي بعد أن اجتاز المراحل الأولى، التي لاتزال أصولها غير معروفة؛ ولكن المرجح أنّ الشعر في مرحلة النشوء كان يمثل العصر البطولي وتعبر أحداثه عن واقع الإنسان، وتتخذ من القبيلة العربية وبلاد العرب ميدانًا رحبًا تلتقي فوق كثبانه مطامح الأبناء المشروعة في التمتع بالحرية والتعبير عن الرأي الصريح، والدفاع عن حق الأرض والإنسان، والإيمان بالقيم الأخلاقية التي عاشت في وجدانه، واستجابة واقعية لما يحيط به من أوضاع، واستيعاب للمشاعر الإنسانية التي وجد فيها نفسه، وهو يعبر عن كل مظهر يعتريه أو حالة يمر بها، أو إحساس يستجيب له.

فالشِّعر ديوان الجاهليين، وسجل وقائعهم، وميدان تجاربهم، وقد اتجهت أغراضهُ إلى ما يناسب البيئة من: (وصفٍ، ومدحٍ، وفخرٍ ورِثاءٍ، وهِجاءٍ، وحِكمةٍ، وغزلٍ واعتذارٍ).

والشعر الذي وصل إلينا، حديثُ الميلاد، وأول من نهج سبيله وسهل الطريق إليه (امرؤ القيس بن حجر)، و(المهلهل بن ربيعة)، فإذا استظهرنا الشعر وجدنا لهُ خمسينَ ومئة عام، أو مئتي عام قبلَ الإسلام كما أشارَ الجّاحظُ، وهو تحديد معقول بالنسبة إلى ما عُرِف من شعرٍ ولم يقصد بهذا التحديد أنّ العرب لم يكن لهم شعر قبل هذا التاريخ أو أنهم قريبو عهد بنظم الشعر، وإنّما كانت صورة الشعر المفقودة وحقيقة التطور الفني لبناء القصيدة ماثلة في ذهن المؤرخين وهم يتحدثون عن هذا العصر.

ويعدّ الشِّعر مرآةً للمجتمع العربيّ، بما ينقله من صورٍ دقيقةٍ للعادات والتّقاليد العربيّة، فضلًا عمّا يتمتّع به من غنىً فنيّ لما فيه من قيمةٍ فنيّةٍ وجمالٍ في الصُّور والمعاني الموحية، مما يجعله يجسّد ذروة الشِّعر العربيّ، وقد تبوّأ الشُّعراء في ذلك الحين مكانةً مرموقةً عالية بين النّاس، فقد كانوا ألسنة لقبائلهم، والنّاطقين الرّسميين بأسمائهم في المحافل، فهم من يرفعون شأنها وينشرون فضائلها ويدافعون عنها في الخصومات.

البَوادر الأولى لكِتابةِ الشّعرِ الجّاهليِّ:

كشف الشِّعر الجاهليّ عن مظهرٍ حضاريّ ارتبط بحياة العرب الفكريّة قبل الإسلام، إذ أفصَح عن معرفة العرب للكتابة الّتي نقلها إلى قريش (أبو قيس بن عبد مناف بن زهرة)، أو (حرب بن أميّة) على اختلاف الرِّواية حول ذلك، وقد انتشرت الكتابة في مكّة دون غيرها؛ لكونها مركزًا تجاريًّا وحضاريًّا يرد إليه النّاس من القبائل الأخرى.

إنّ أوّل من سلك مسلك الشِّعر وسهّل الطّريق إليه -على رأي بعض العلماء- هما: امرؤ القيس بن حجر ومهلهل بن ربيعة، وإذا حصرنا المدّة الّتي ظهر فيها الشِّعر وجدناها تقدّر بمئةٍ وخمسين إلى مئتي عام قبل الإسلام، وهذا التّقدير لعمر الشِّعر تقدير حسابيّ بحت وقد لا يكون دقيقًا كفاية، فمن غير الممكن أن يكون امرؤ القيس والمهلهل قد ابتدعا الأوزان الشِّعريّة والقوافي من دون أن يسبقهما إليها أحدٌ .

يذكر ابن سلّام في كتابه "طبقات فحول الشّعراء" أنّ العرب ابتدأت الشِّعر بأبياتٍ قصار يقولها أحدهم عند الحاجة، ثمّ طوّلت القصائد فيما بعد في عهد عبد المطّلب وهاشم بن عبد مناف، كما يذكر أنّ أوّل من قصد القصائد وذكر الوقائع هو المهلهل بن ربيعة التّغلبيّ، ثمّ جاء من بعده امرؤ القيس وقد سبق العرب إلى أشياء في الشِّعر لم تكن فيه وابتدعها فاستحسنوها من بعده وأتبعوه.

روايتُهُ:

وصل إلينا الشعر العربي عن طريق الرواية، فمنذ أن عرف الشعر الجاهلي وله رواة ينقلونه إلى من بعدهم، وبعد انتهاء القرن الهجري الأول برز في الكوفة والبصرة رواة نذروا أنفسهم لرواية الشعر؛ بل إنّهم جعلوا رواية الشعر وتدوينه حرفة لهم، ومن أشهر هؤلاء: (أبو عمرو بن العلاء، وحمّاد الرواية، والمفضل الضبي، والأصمعي).

وقــد دونت هذه الروايـــات في دواوين شعرية نجدها بين أيدينا الآن، والتي تُعدّ المصادر الرئيسة للشعر الجّاهليّ.

مصادر الشعر الجّاهليّ:

عُنِيَ مجموعة من العلماء والأدباء بالأدب الجاهلي، إذ جمعوا مادة هذا الأدب وخصّصوها في كتب ودواوين مفردة للشعراء، كما عُني الشرّاح بمجموعة كبيرة من القصائد، فدونوها وشرحوها، والبعض الآخر عُني بالمعلقات -التي ستتعرف إليها لاحقًا- فجمعها وتحقق من صحتها، ومن أشهر المصادر والمجموعات التي حفظت ذلك الأدب ولا سيما الشعر منه ما يأتي:

١ **المفضليات:** وهو الكتاب المنسوب للمفضل الضبي، إذ يحوي على مجموعة كبيرة من قصائد العصر الجاهلي، وهي القصائد التي فضّلها الكاتب على غيرها، إذ يضم الكتاب ما يُقارب (١٣٠) قصيدة، وتعد هذه القصائد من أروع ما قيل في الشعر العربي.

٢ **الأصمعيات:** كتاب لراوية العرب عبد الملك بن قريب الأصمعي، وهو عبارة عن مجموعة شعريّة جاءت على نسق المفضليات، فجمع الكاتب أشهر أشعار العرب وأفضلها، ويضم ما يقارب (٢٧) قصيدة لشعراء مختلفين، وتبرز أهمية هذه القصائد أنّها نقلت الحياة الجاهلية، ومثّلت جوانبها في طيات أبياتها الشعريّة المؤثرة.

٣ **جمهرة أشعار العرب:** من الكتب الشهيرة التي ألّفها (أبو زيد القرشي)، والتي عُنيت بالأدب الجاهلي ولا سيّما الشعر، إذ جمع مجموعة كبيرة من أشعار العرب، ورتّبها ضمن أبواب مفصلة، قدّم لها بمقدمةٍ شرح فيها أهمية الأدب ولُغة الشّعر.

أغراض الشعر في العصر الجاهلي:

اشتهر الشّعر في العصر الجاهلي، وانمازت قصائده الشعرية بوفرتها؛ فقد جاءت في جميع الموضوعات التي يتألف منها الشعر؛ وتعددت مضامينه وأغراضه، وأشهر الأغراض عند الشعراء الجاهليين هي:

١ **الغزل**: أن يذكر الشاعر مغامراته العاطفية، فيستميل المرأة ويتغزل بها، ويتعمق في وصف جمالها ومحاسنها، وقد يذكر اسمها في بعض الأحيان، ومن ثم يصف الشاعر عبق محبوبته الفواح، فتسيل دموعه بغزارة حنانًا وشوقًا لها، ومن أبرز شعراء الغزل في العصر الجاهلي (امرؤ القيس).

٢ **المدح**: من الأغراض الشعريّة التي يقوم فيها الشاعر بالثناء على شخص، وذكر محاسنه وأخلاقه الكريمة، فكان الكثير من شعراء الجاهلية يعتمدون على المديح في أشعارهم من أجل التقرب للولاة والأمراء، وفي بعض الأحيان من أجل نشر الصلح بين القبائل وإبراز محاسن كل قبيلة وفضائلها، ومن أبرز شعراء المديح (زهير بن أبي سلمى).

٣ **الحكمة**: أن يُضمّن الشاعر في قصائده بعضًا من تجاربه التي تحمل الموعظة والإرشاد، وأن يُلخص خلاصة تجاربه الحياتية بما فيها من مشاق وشدائد، فيسرد الأحداث الماضية وما يحدث في الأيام الحاضرة ليقارن بينها، وينقل تجاربه التي حملت الفكر النيّر والنضوج والحكمة، ومن أبرز شعراء الحكمة في العصر الجاهلي هو (زهير بن أبي سلمى).

٤ **الفخر**: من أبرز الأغراض في الشعر الجاهلي، إذ كان الشاعر يفخر بفروسيته وشجاعته، كما يفخر بنسبه إلى قبيلته فيفضلها ويتغنى بصفاتها، كما كان الشاعر يفتخر ببطولاته في الحروب، وببسالته في القتال والنزال، ومن أشهر شعراء الفخر في العصر الجاهلي (عنترة بن شداد)، والذي كان كثيرًا ما يفخر بنفسه في أبيات غزله بمحبوبته (عبلة).

أبرزُ مظاهر الشِّعر الجَّاهليّ:

١ المعلقـــات

هي عبارة عن قصائد العرب من المطولات، والتي بلغت شهرتها في عصرها، وانتشرت بين القوم لبلاغتها الأدبية، وقيمتها اللغوية العظيمة، إذ برزت خصائص الشعر الجاهلي فيها بشكل واضح جليّ، وقد حفلت بالمعاني والأغراض، في جزالة لفظ، وقوة رصف ودقة تركيب، اختيرت من أحسن الشعر ما قبل الإسلام، تعبيرًا ومضمونًا وجمال أسلوب.

فهي الصورة الناضجة الكاملة التي انتهت إليها تجارب شعراء ما قبل الإسلام في تعبيرهم الأدبي؛ ولذلك غطت شهرتها ما سواها من شعر ما قبل الإسلام، وصار لقائليها من الذكر والشهرة ما لم يظفر به غيرهم من شعراء، واتخذها الأدباء والشعراء – بعد عصرها – قدوة يحاكونها حين ينظمون متأثرين بأسلوبها ولغتها، وطريقة نظمها وتسلسل أفكارها، محاولين أن يبلغوا بقصائدهم مبلغ تلك المعلقات.

وللمُعـلّقات منزلة عظيمة في شعر عصر ما قبل الإسلام فهي شاهد على طباعهم وأخلاقهم وعاداتهم، وطبيعة تفكيرهم، وقد عرف الناس قدر المعلقات وقيمتها فقدموها على غيرها وجعلوا شعراءها أئمةً للشعراءِ في العصر الجاهلي وما تلاه من عصور، ومازال المتذوقون للشعر يعترفون بتقديم شعراء المعلقات.

سبب تسميتها:

وقد اختلف في سبب تسميتها، فقيل سمّيت بذلك؛ لكونها كُتبت بماء الذهب على قماش الحرير، وعلقت على أستار الكعبة، هذا هو أحد الآراء في سبب تسميتها، وتعليق الشعر الجيد على الكعبة ليس غريبًا، فمن عادة العرب أن يعلقوا الأمور المهمة على الكعبة.

ومنهم من يرى أن سبب تسميتها بـ(المعلقات)؛ لأنها تعلق في الأذهان؛ لجودتها

وامتيازها أو أن الإنسان تعلّق بها، أو أن هذه التسمية لها صلة بالعَلَق، بمعنى: الشيء الثمين النفيس، فسميت بـ(المعلقات).

من أسمائها:

والمعلقات هي التسمية المشهورة لها كما ذكرنا، ولهذه القصائد تسميات كثيرة أخرى، ومن هذه التسميات:

١ السموط: وهي العُقود؛ فالعرب يشبهون القصيدة الجيدة بالعِقد الذي يُعلّق في صَدر الحسناء.

٢ المذهبات: ما كتب بماء الذهب، وسميت بذلك؛ لأن تلك القصائد كتبت بماء الذهب قبل تعليقها.

٣ المشهورات: وسميت بذلك؛ لأنها اشتهرت أكثر من غيرها.

٤ السبع الطوال الجاهليات (المُطوّلات)؛ لأنها من أطول قصائد الشعر، والتزم بهذا الاسم من رأى أن المعلقات سبع.

وتشير المصادر التاريخية الى أن حمادًا الرّاوية - الذي عاش في النصف الثاني الهجري - هو الذي جمع هذه القصائد، ومهما يكن من شيء فإن هذه القصائد التي أطلق عليها المعلقات أو المطولات، أي: القصائد الطوال كانت صورة واضحة للخصائص المشتركة التي اتفق عليها الشعراء والأنموذج الموثوق للشعر الصحيح بعد أن أجمع الشراح على صدق روايتها، واتفق المؤدبون على اختيارها نماذج للشعر العربي يقوّمون بها ألسنتهم، ويثرون بها حصيلتهم اللغوية، ويدرسون النهج الفني لبناء القصيدة عن طريقها.

أشهر شعرائها:

يعد شعراء المعلقات من أفصح لسانات العرب في الجاهلية، وقد اتفق عليهم أكثرُ الرّواة وهم كل من:

١ الشاعر امرؤ القيس، ومَطلع مُعلّقتِهِ:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيْبٍ وَمَنْزِلِ بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ.

٢ الشاعر طرفة بن العبد، ومَطلع مُعلّقته:

لِخَوْلَةَ أَطْلَالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ تَلُوحُ كَبَاقِي الوَشْمِ فِي ظَاهِرِ اليَدِ

٣ الشاعر زهير بن أبي سلمى، ومطلع مُعلّقته:

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ بِحَوْمَانَةِ الدُّرَّاجِ فَالْمُتَثَلَّمِ

٤ الشاعر لبيد بن ربيعة، ومطلع مُعلّقته:

عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلُّهَا فَمُقَامُهَا بِمِنىً تَأَبَّدَ غَوْلُهَا فَرِجَامُهَا

٥ الشاعر عمرو بن كلثوم ومطلع مُعلّقته:

أَلاَ هُبِّي بِصَحْنِكِ فَاصْبَحِينَا وَلاَ تُبْقِي خُمُورَ الأَنْدَرِينَا

٦ الشاعر عنترة بن شداد العبسيّ، ومَطلع مُعلّقته:

هَلْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدِّمِ أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ

٧ الشاعر الحارث بن حلزة اليشكريّ، ومطلع مُعلّقته:

آذَنَتْنَا بِبَيْنِهَا أَسْمَاءُ رُبَّ ثَاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ

٨ الأعشى ميمون بن قيس، ومطلع مُعلّقته:

ودِّعْ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرَّكْبَ مُرتَحِلُ وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ

٩ الشاعر النّابغة الذّبيانيّ، ومطلع مُعلّقته:

َا دَارَ مَيَّـةَ بِالْعَلْيَاءِ فَالسَنَدِ أَقْوَتْ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الأَبَدِ

١٠ الشاعر عُبيد بن الأبرص، ومطلع مُعلّقته:

أَقْفَرَ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبُ فَالقُطَبِيَّاتُ فَالذَنُوبُ

اعتــذار

النابغـــة الذبيـــاني

التّعريفُ بالشَّاعر:

هـو زيـاد بـن معاويـة بـن ضبـاب الذبيانـي أبـو أمامـة، أحـد فحـول الشـعراء الثلاثـة الذيـن لا يشـق غبارهـم، ولا تلحـق آثارهـم، وهـم: (امـرؤ القيـس، والنابغـة، وزهيـر)، قالَ الشّـعرَ بعـد أن أربـى علـى الأربعيـن فلقّـب بالنّابغـة.

كانـت تضـرب لـه قُبّـة مـن جلـدٍ أحمـر بسـوق عـكاظ، فتقصـده الشـعـراء فتعـرضُ عليـه أشـعارها، منهـم: (الأعشـى، وحسـان، والخنسـاء).

والنّابغـة أحـدُ وجهـاء بنـي ذبيـان، وكان ذو حظـوة عنـد النعمـان بـن المنـذر إلـى أن وشـى بينهمـا بعـض حسـاده متذرعيـن بقصيـدة للشـاعر فـي وصـف المتجـردة (زوجـة النعمـان)، فوغـر ذلـك فـي صـدر الملـك فتوعـده، فـلاذ بالغساسـنة فـي الشـام، ممـا زاد مـن حقـد النعمـان عليـه لالتجائـه إلـى أعدائـه ومنافسـيه، ومـازال النابغـة عنـدَ بنـي غسّـان حتـى بلغـه أن النعمـان عليـل، فرجـع يطلـب الشـفاعة إليـه، مقدّمًـا بيـن يديـه قصائـد خالـدة فـي الاعتـذار اسـتلت مـا فـي نفـس الملـك، وأحلتـه منـه المـكان الأوّل، عَـاشَ حتـى سَـئِمَ الحَيـاة، وقـال:

المَـــرْءُ يَأمَلُ أنْ يَعِيْـــ ... شَ وَطُوْلُ عَيْشٍ قَدْ يَضُـــرُّهْ

تَفْـــنَى بَشَاشَتُهُ وَيَبْـــ ... قَى بَعْدَ حُـلْوِ العَيْشِ مُـــرُّهْ

وَتَخُـــوْنُهُ الأيَّـــامُ حَتَّـــ ... ـى لَا يَـرَى شَيْئًـــا يَـسُـــرُّهْ

وكانت وفاته في السنة الثامنة قبل الهجرة (نحو ٦٠٤م).

من قصيدة اعتذار

النَّـصُّ:

أَتَانِي أَبَيْتَ اللَّـعْنَ أَنَّـكَ لُمْتَنِـي ... وَتِلْكَ الَّتِي أُهْـتَمُّ مِنْهَا وَأَنْصَبُ

فَبِتُّ كَـأَنَّ العَائِـدَاتِ فَرَشْنَنِي ... هَرَاسًا بِهِ يُعْلَى فِرَاشِي وَيُقْشَبُ

حَلَفْـتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيْبَـةً ... وَلَيْسَ وَرَاءَ اللّهِ لِلْمَـرْءِ مَذْهَـبُ

لَئِنْ كُنْـتَ قَد بُلِّغْتَ عَنِّـي خِيانَةً ... لَمُبلِغُكَ الواشِي أَغَشُّ وَأَكْـذَبُ

وَلَكِنَّنِي كُنْـتُ امْـرِءًا لِـيَ جَانِـبٌ ... مِنَ الأَرْضِ فِيْهِ مُسْتَرَادٌ وَمَذْهَـبُ

مُلُـوْكٌ وَإِخْـوَانٌ إِذَا مَـا أَتَيْتُهُـمْ ... أُحَـكَّمُ فِي أَمْوَالِـهِمْ وَأُقَـرَّبُ

كَفِعْلِكَ فِي قَوْمٍ أَرَاكَ اصْطَنَعْتَهُم ... فَلَـمْ تَرَهُمْ فِي شُكْرِ ذَلِكَ أَذْنَـبُوا

فَـلا تَتْرُكَنِّي بِالْوَعِـيْدِ كَأَنَّنِـي ... إِلَى النَّاسِ مَطْلِيٌّ بِهِ القَارُ أَجْرَبُ

أَلَمْ تَـرَ أَنَّ اللهَ أَعْطَـاكَ سَوْرَةً ... تَـرَى كُـلَّ مَلْـكٍ دُوْنَـهَا يَتَذَبْـذَبُ

فَإِنَّـكَ شَمْسٌ وَالمُلُوْكُ كَوَاكِبٌ ... إِذَا طَلَـعَتْ لَمْ يَبْـدُ مِنْهُـنَّ كَوْكَبُ

وَلَسْـتَ بِمُسْتَبْقٍ أَخًا لَا تَلُـمُّهُ ... عَلَى شَعَـثٍ أَيُّ الرِّجَالِ المُهَـذَّبُ

فَإِنْ أَكُ مَظْـلُومًا فَعَبدٌ ظَلَمْتَهُ ... وَإِنْ تَـكُ ذَا عُتْبَى فَمِثْلُـكَ يُعْتِـبُ.

لِلْحِفْظِ خمسة أَبْيَاتٍ

معاني المفردات والتراكيب

المفردات	المعنى
أبيت اللعن	تحية الملوك في الجاهلية، أي: لا فَعلت ما يُوجِبُ اللّعن.
أهتم	أحزن.
أنصب	أتعب وأعيا.
العَائدات	الزائرات في المرض.
هِراسًا	الهِراس جمعُ هراسة، وهي: شجرة كبيرة الشوك.
يُقشب	يوضع من جديد.
الرّيبة	الشَّك.
لا تلمه	لا تجمعه إليك.
الشعث	اتساخ الرأس من الغبار.
الواشي	المُفتري، الكاذِب.
السورة	المنزلة والشَّرف.
يتذبذب	يضطرب.

مُناسَبةُ النّص:

كان النابغة الذبياني أثيرًا لدى النعمان بن المنذر، مفضلًا عنده، فحسده بعض الشعراء ووشى به إلى النعمان، فخاف الشاعر على نفسه، وفرَّ هاربًا من الحيرة، ثمَّ راجع ضميره فأخذ ينشئ قصائد الاعتذار للنعمان، ويستلين قلبه.

النعمان بن المنذر: أشهر ملوك الحيرة اللخميين وآخرهم (٥٨٠ - ٦٠٢ م)، قرّب النّابغة الذّبيانيّ؛ لكنه سُرعان ما غضبَ عليه؛ لمدح النّابغة الغساسنةَ، بقوله:

ولَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُوْلٌ مِنْ قِرَاعِ الكَتَائِبِ
تُوُرِّثْنَ مِنْ أزْمَانِ يَوْمِ حَلِيْمَةٍ إلَى اليَوْمِ قَدْ جُرِّبْنَ كُلَّ التَّجَارِبِ

ويومَ حَليمة: هو من أيام العرب، قتلَ فيه الحارثُ بن أبي شِمر الغسّاني المنذرَ بن ماءَ السماء والد النُعمان بن المنذر، ولكن مهارة النابغة في الاعتذار شفعت له عند النعمان فرضي عنه وقربه، وبقي مُلازمًا لهُ حتى آخرِ أيامهِ.

الاعتذار:

يُعدُّ النّابغة رائدَ هذا الفن من فنون الشعر الجاهلي فمنهجه في الاعتذار هو المنهج الذي سار عليه شعراء الجاهلية؛ ولكن لم يستطع الشعراء الآخرون أن يجيدوا القول في الاعتذار كما أجاد النابغة، فهو يعمد إلى التعليل وتفتيق المعاني والمناقشة، وإدخال المدح في قصيدة الاعتذار، وإيراد بعض الأبيات المشتملة على الحكمة؛ فإذا قرأنا قصائد النابغة الاعتذارية وجدنا هذه الصفات تتوافر فيها.

شِعرُهُ:

شعرُ النّابغة الذبيانيّ من أجود ما وصل إلينا من الشعر الجاهلي، وقد شهد له عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالجودة فعندما وفدت غطفان على عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال لهم يا معشر غطفان، أي شعرائكم الذي يقول:

حلفتُ فَلم أترُك لِنفسِكَ ريبَةً وَليسَ وَراءَ الله للمَرءِ مَذهَبُ.

قالوا: النابغة يا أمير المؤمنين.

قَالَ: هذا أشعر شُعرائكم. وقد عَدَّهُ ابن سلام صاحب طبقات فحول الشعراء من الطبقة الأولى؛ بل جعله بعد امرئ القيس مباشرة، وإذا نظرنا في شعر النابغة

وجدناه شعرًا قد أتقن صنعه، فهو يستحق المنزلة التي وضع فيها، فهذا الشعر يجمع بين رقة الحضارة وقوة البداوة وصاحبه يتعهده بالإتقان؛ لأنَّ مُعْظمه لا يقال إلاّ في ملك، ولا يلقى إلاّ في حضرة عدد كبير من الشعراء والنقاد. وقد قال النابغة الشعر في أغراض مختلفة منها: المدح والاعتذار والرثاء والوصف والحكمة، وللنابغة قصائد أخرى في الاعتذار لا تقل جودة عن هذه القصيدة.

الشرح والتحليل:

كان موقف النابغة دقيقًا كل الدقة، فقد قيلت عنه وشاية قاتلة، ولم يمكث لدى النعمان حتى تظهر براءته، بل خاف على نفسه وفر هاربًا يترقب ثم ضاعف سخط النعمان حين التجأ إلى أعدائه الغساسنة بالشام فمدحهم ونال جوائزهم، وحظي بمودتهم، فكأنه ضمَّ ذنبًا إلى ذنب، وقد تسلطت عليه الهواجس وظنّ أنه لا محالة واقع في يد النعمان مهما كان بعيدًا عنهُ، وذلك ما عناه حين قال في قصيدة أخرى:

فإنّكَ كَاللّيل الذي هُو مُدْرِكِي وإن خِلت أنّ المُنتأى عَنكَ واسعُ

وها هو ذا يُريد أن يستعطف فؤاده فقال فيما قال: لقد بلغني أيها الأمير العظيم أنك لمتني وأنا مهموم حزين لهول ما بلغني عنك، إذ طار من عيني النوم، فأقضي الليل الطويل كأني أتقلب على فراش مليء بالشوك، وكلما تذكرتك ضاق بي الهم، وغمرتني الوساوس وهذه الصورة وليدة خيال ممتاز، إنني أحلف لك بالله، وليس وراء الحلف بالله يمين آخر أكبر منه فأحلف به على أن الذي بلغك هذه الوشاية القبيحة كاذب دساس، فأنا ثابت على عهدك، وإن كنت قد تخوفت أن تصدق ما رميت به من إفك ففررتُ إلى أعدائك ملتمسًا سبيل النجاة، فأنا لَمْ أُسئ إليك في ذلك، ولكني كنت أتطلب مكانًا آمنًا أطمئن فيه على نفسي جوار ملوك مدحتهم كما يمدحك الشعراء، وقد حظيت بثنائهم واحتفالهم كفعلك فيمن تحب من الشعراء إذ يمدحونك بما ترضى عنه من الشعر، وليسوا بمذنبين حين يمدحونك، كما أني لستُ بمذنب حين أمدح من ألتمس لديه أسباب الأمن، وهأنذا أرجع إلى نفسي فأفزع من وعيدك، ويتحاماني الناس خوفًا منك كأني بعير أجرب قد دُهن بالقطران فتحامته النياق بعيدًا؛ لكَي لا تُصابَ بدائهِ!

ثم ناقش المخاطب فيما بلغه عنه وذلك في قوله: لإن كنت بلغت عني خِيانةً لمُبْلِغك الواشي أغش واكذب.

فيبدأ الشاعر حديثه بكلمة: أتاني ليدلل على أنه لا يعلم من الأمر شيئًا، وأنه بريء، مما نسب إليهِ، ويصور في البيت الثاني ما فعله به ملام الملك مشبهًا حاله في تلك الليلة وما ناله من ألم وأرق بحاله إذ يتقلب على الشوك، وقد استخدم كلمة العائدات وليدلل على مرضه. وفي البيت الثالث يستخدم القسم ليؤكد براءته.

أما في البيت الرابع فهو يعود للمشكلة من جذورها، وهي الوشاية، ليقول: إن من نقل لك الوشاية ليس غاشًّا وكاذبًا فحسب، بل هو أغش الناس وأكذبهم.

وتأتي هذه الصورة الجميلة في البيت الخامس التي يشبه فيها الملك مادحًا- مع بقية الملوك، وعلو شأنه بينهم بالشمس التي يطغى نورها عند طلوعها على سائر الكواكب، وفي البيت السادس يشبه حاله في حال غضب الملك عليه ووعيده له، وقد نفر منه الناس وابتعدوا عنه بالجمل الأجرب الذي تُبعد وتبتعد عنه الجمال، وقد طُلي بالقار، وفي البيت السابع يأتي بما يشبه النصح، ولست بمستبق أخاً لا تلمه على شعثٍ، مؤكداً خبر ليس بالباء لمعرفته تردد الملك في قبل ذلك، وكنى عن العيوب بكلمة (شعث)، ثم يردف باستفهام الغرض منه النفي (الرجال المهذب ؟!).

البيت الثامن يُصَدِّره باستفهام يريد به أن يحمل الملك على الإقرار بما ادعاه له، فهو هنا للتقرير. وفي استخدامه كلمة (يتذبذب) لتصوير عدم استقرار ملك من هم دون النعمان من الملوك، استعارة. وفي البيت التاسع والأخير يصل الشاعر إلى مبتغاه وهو طلب الصفح والعفو من (الملك مستخدماً كلمة والعتبى) وهي كلمة تكون بين المتحابين، فكأنما أراد أن يذكره بسابق العهد، وما كان بينهما من المحبة والودّ.

وفي آخر القصيدة أشار إلى أن الإنسان لا يخلو من العيوب، وذلك في قوله:

ولست بمُسْتَبْق أخاً لا تَلُمه على شعَثٍ؛ أي الرجال المُهذّبُ، وإن كان قد بدر مني

ما يسوؤك فاصفح؛ لأنك إذا لم تستبق الإخوان والأصدقاء على ما بهم من عيوب فلن تُبقي لك أخًا أو صديقًا، ثم انظر إلى مكانتك أيها الملك وما حباك الله من رفعة وشرف تجد ملوك الأرض دونك عروشهم غير مستقرة. وأنا إن ظلمتني فقد ظلمتَ فردًا من رعيّتك ولك الحق في ذلك، وإن صفحت فذلك كرم وإحسان منكَ.

المناقشة

١ للشّعر الجّاهليّ بوادر انطلق منها، بيّنها بإيجاز واضح، مع تحديد أول من سلكَ مسلك الشّعر.

٢ انسِب المصادر الآتية لمؤلفيها:

- طبقات فحول الشّعراء.
- الأصمعيات.
- المفضّليات.
- جمهرة أشعار العرب.

٣ اذكر أغراض الشعر الجاهلي إجمالًا.

٤ ما المعلقات؟ ولم سميت بذلك؟ ثم اذكر بعض أسمائها الأخرى التي اشتهرت بها؟

٥ اذكر مطالع المعلقات العشر، مع ذكر أصحابها.

٦ لِمَ لُقّبَ الشّاعر بالنّابغة؟

٧ لِمَ كان الشعراء يعرضون عليه أشعارهم؟ وماذا يعني ذلكَ؟

٨ ما سبب غضب الملك النعمان على الشاعر؟

٩ لم سئم النابغة العيش؟

١٠ لمن تقال (أبيت اللعن)؟

المناقشة

١١ بم توحي لك الكلمتان: العائدات – يقشب؟

١٢ كان النابغة معترفًا بوجود الله، أين تجد ذلك؟

١٣ الملك النعمان تتضاءل أمام سلطته وتختفي كل الملوك، كيف عبّر الشاعر عن هذا المعنى؟

١٤ غَضَبُ الملك على الشاعر جعل الناس ينفرون منه، كيف صوّر الشاعر ذلك؟

١٥ بين وجه الاتفاق في البيتين الآتيين:

ولست بِمُستبقٍ أخًا لا تلمهُ على شعثٍ أيّ الرجال المُهذّبُ

إذا كنت في كل الأمور مُعاتبًا صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

١٦ يرى بعض النّاس أنّ الاعتذار يقلل من قيمة المعتذر، ما رأيك بذلك بناء على فهمك للأبيات السابقة؟

الدَرس الثالث:
الأدَبِ في العَصرِ الجّاهليِّ
النّثرُ في العصر الجاهلي

كان العربُ مضرب المثل في بلاغة القول وفصاحة اللّسان، وقد نظموا الشعر الرائع، وقالوا النثر المبدع، وبَنوا مجدهم الأدبيّ في العصر الجاهلي على الشعر. ومع أن الكتابة كانت معروفة لديهم؛ فإن ما وصل إلينا من نثرهم قليل جدًا، وكانت الكتابة تقتصر على جوانب تتصل بحياتهم السياسية والاجتماعية والتجارية، من رسائل، وعقود ووصايا ومواثيق، وفي القرآن الكريم إشارات إلى كتابة الديون، وحديث عن رحلتي قريش ومثل هذه الرحلات التجارية تستدعي الكتابة والتسجيل.

مثل هذا النثر الفني قليل الوجود بين أيدينا بلفظه الأصلي الذي صدر عن أصحابه لأن حفظ النثر أصعب من حفظ الشعر، لكن الذاكرة الأدبية للرواة اكتسبت على مر العصور أصالة ومرانًا، مما أتاح لهم أن يحتفظوا بنصوص من ذلك النثر، في صورتها الأصلية، وبأخرى ليست موافقة لأصلها كل الموافقة؛ ولكنها صورة قريبة منه، يمكن عن طريقها تحديد خصائصه الفكرية والفنية. وهذه النصوص النثرية الجاهلية، الأصلية والقريبة من الأصل، وردت في طائفة من المصادر الأدبية والتاريخية القديمة.

أنواع النثر الجاهلي

١ **الخطابة:** ويلحق بها المُنافرات، وسَجْعِ الكُهَّانِ - ثم الحِكم والأمثال - ويلحق بها الوصايا والنصائح - ثم القَصَص، فالرسائل.

والخطابة من أبرز أنواع النثر في العصر الجاهلي، وتتلوها من ناحية الأهمية: الأمثال؛ لانتشارها بين عامة الناس وخاصتهم.

٢ **الحكم والأمثال:** هي عبارة عن جمل قصيرة، ولكنّها بليغة وخالية من الحشو، وهي تمثل تجربة مختصرة من الزمان، ولكنها موجزة بجملة بسيطة وسهلة

المعاني والتراكيب، من أجل سهولة تداولها بين الناس، وغالبًا ما تكون الأمثال مرتبطة بقصة، ومليئة بالحكمة التي أدت إلى وجودها.

٣ **الوصايا:** هي نثر فني يتضمن خلاصة تجربة صاحبها، لذلك فهي غالبًا تصدير من كبير في السن يتّصف بالحكمة لطول التجارب التي عاشها، والوصايا غالبًا ما تُصاغ بعبارات فنيّة مؤثرة، لترسخ في ذهن المتلقي، كما أنّها تمتاز بالجمال وبتناسب الجمل ورقتها وصياغتها.

٤ **سَجْعُ الكُهَّانِ:** هو نوع خاص من النثر عُرف في العصر الجاهلي واختفى بعد ظهور الإسلام، وهو نوع من السجع الذي يشغل الوظائف الدينية والمواضيع الوثنية في أماكن العبادات، ويُلاحظ في هذا السجع الغموض والتكلف، إضافة إلى التكرار في القوافي، ويُطلق على صاحب هذا النوع من النثر بالكاهن.

خصائص النثر الجاهلي

ليس المراد بالنثر الجاهليّ الكلامُ العادي الذي يتخاطب به الناس، وإنما المراد به النثر الأدبي أو الفني الذي يعنى صاحبه بتجويده، وإتقانه لينال إعجاب القارئ، من حكمة تقال، أو قصة تروى، أو مثل يضرب، أو خطبة تلقى، أو رسالة تدبّج، أو وصية بليغة تنقل.

فالنثر الفنّي: هو كلام اختيرت ألفاظه وانتقيت تراكيبه وأحسنت صياغة عباراته، بحيث يؤثر في المستمع عن طريق جودة صنعته فهو يختلف عن الكلام العادي الذي يتكلم به الناس في شؤونهم المُعتادة، ويتميّزُ النثر الجاهلي بجملة من الخصائص، ومن تلك الخصائص ما يأتي:

١ **وضوح وأصالة المعاني:** حيث يستمد النثر معانيه من القيم الخُلُقية، والفضائل الاجتماعيّة العريقة والمميزة.

٢ **صدق العاطفة:** فكلمات النثر تنبع من عاطفة صادقة، وتصدر من غير تكلّف، فهي عفو الخاطر ولا يشوبها أي تصنع.

٣ البعد عن الغموض.

٤ كثرة الحكم والأمثال: حيث كثر استخدام الحكم والأمثال التي تُعبّر عن حياة وتجارب الجاهليّين؛ ولذلك جاءت وصاياهم وخطبهم بسيطة تُعبّر عن بساطة الحياة.

٥ جمال الصياغة من دون تكلف، وصفاء التعبير، وقصر الجمل، وجمال الصياغة المستخدمة في النثر.

٦ قلّة التصوير الفنيّ: يقل استخدام الصور الفنيّة، والتشبيهات، والكنايات المختلفة في النثر الجاهليّ، وذلك لأنّ الإنسان الجاهليّ يلجأ إلى التقرير في عرض الأفكار، وعادة ما تكون التشبيهات مستمّدة من البيئة الحسيّة التي تحيط بالعرب، وخير مثال على ذلك قولهم: ((**أنْ تَرِدَ المَاءَ بِمَاءٍ أَكْيَسُ**))، حيثُ يُضرب هذا المثل في أخذ الحيْطة والحذر.

الخطابة في العصر الجاهلي

ازدهرت الخطابة عند العرب متأخرة في الزمن، لأن الشعر كان متفوقًا عليها، فلما أصبح الشعر مطية للتكسب صارت منزلة الخطيب هي المقدّمة. واشتهر في العصر الجاهلي خطباء كثيرون، مثل: (قس بن ساعدة الإيادي، وهانئ بن مسعود الشيباني، وعامر بن الظّرب العدواني، وعمرو بن كلثوم التغلبي، وأكثم بن صيفي، وعمرو بن الأهتم، وهاشم بن عبد مناف القرشي، وأبو طالب بن عبد المطلب... وغيرهم).

والخطابة: كلام جيد المعاني متين الأسلوب مؤثر في من يستمع إليه، يخاطب به جمهور من الناس، بهدف استمالته إلى رأي معين أو إقناعه بفكرة، أو إرشاده إلى طريقٍ يسيرُ فيه، أو منعه من الانحراف في ضلالة. والخطبة شائعة بين الناس في العصر الجاهلي؛ لأنهم يحتاجون إليها في حياتهم العامة وأكثر ما تقال في أماكن اجتماعاتهم مثل الأسواق أو اجتماعهم الحرب.

أغراض الخطابة:

أغراض الخطابة في العصر الجاهلي كثيرة ومتنوعة، ومنها:

١ حثُّ المقاتلين على القتال في الحرب. كما فعل هانئ بن مسعود الشيباني في يوم ذي قار.

٢ تهنئة الملوك. كما فعل عبد المطلب بن هاشم في تهنئة سيف بن ذي يزن عندما طرد الأحباش من اليمن.

٣ التفاخر بين أحياء العرب.

٤ الدعوة إلى السلم عندما تمل الحرب.

٥ التعزية والنصح والإرشاد.

سنن الخطباء:

كانت للخطباء سنن وتقاليد يتبعونها عند إلقاء خطبهم، كأن يقف الخطيب على مرتفع من الأرض، معتمدًا على قوسه، أو ممسكًا بعصا يشير بها، وقد يخطب راكبًا على ناقته، وبيده الرمح، وقد لاث العمامة على رأسه.

صفاتُ الخطيب الجّيد:

ومما يمدح به الخطيب عندهم الآتي:

١ أن يملك الخطيب زمام الفصاحة، ووضوح الكلام، وحضور البديهة.

٢ يتصف بقوّة الشخصية، وشدّة العارضة، وقلّة التلفت، وقوّة الجنان.

٣ أن يكون ظاهر الحجة، جهوري الصوت.

٤ قادرًا على الإقناع بما يراه حقًّا.

وفي مقابل ذلك كانوا يعيبون على الخطيب التنحنح، والانقطاع، والاضطراب، والتعثر في الكلام.

أسلوب الخطابة:

كانت من سنن خطباء هذا العصر أنّهم يحرصون على مراعاة السجع في مقامات الفخر خاصة، أما في خطب المحافل وإصلاح ذات البين، مثلًا فكانوا يستخدمون الأسلوب المرسل الذي لا يغفل صاحبه - في الوقت نفسه - تجويده وتنقيحه، والتروي فيه، سعيًا إلى إثارة السامعين واستمالتهم.

وهذا ما جعلهم يؤثرون قصر العبارة في خطبهم، وتوشيحها ببعض الحكم والأمثال، أما الخطبة نفسها فقد تطول، وقد تقصر، ولكل منهما مقام وموضع وقدر من العناية.

نَموذجٌ من خطب الجاهلية

من خُطبة هانئ بن مسعود الشّيباني في يوم ذي قار

النَّـصُ:

يَا مَعْشَرَ بَكْرٍ، هَالِكٌ مَعْذُورٌ خيرٌ مِنْ نَاجٍ فَرُوْرٍ، إِنَّ الحَذَرَ لا يُنْجِي مِن القَدَرِ، وَإِنَّ الصَّبْرَ مِنْ أَسْبَابِ الظَفَرِ، المَنِيَّةُ ولا الدَّنِيَّةُ، اسْتِقْبَالُ المَوْتِ خَيْرٌ مِن اسْتِدْبَارِهِ، الطَّعْنُ فِي ثُغَرِ النُّحُورِ أَكْرَمُ مِنْهُ فِي الأَعْجَازِ والظُّهُوْرِ، يَا آلَ بَكْرٍ، قَاتِلُوْا فَمَا لِلْمَنَايَا مِنْ بُدٍّ.

لِلْحِفْظِ

مُنَاسبةُ النّص:

كان النعمان بن المنذر قد خاف على نفسه من كسرى بعد أن امتنع من تزويجه إحدى بناته ففر إلى ديار بني شيبان، وسلّم أسلحته وحرمه إلى هانئ بن مسعود أمانةً لديه، ثم رحل إلى كسرى يستعطفه فبطش به وأرسل من يحمل ودائعه من هانئ ولكن البطل العربي أبى وَرَدَّ رسَل كسرى مغضبين، فَجهَّزَ عاهلُ الفرس جيشًا لغزو العرب، وتأديبهم، فقام هانئ بقيادة الكتائب العربية الباسلة وانتصر على الفرس في موقعة حاسمة تعرف بموقعة ذي قار، وكان قد جمع قومه وألقى فيهم هذه الخطبة قبل المعركة.

التَّعريفُ بالخَطيبِ:

هانئ بن مسعود بن عمرو الشيباني من سادات العرب وأبطالهم، وخطيب من خطبائهم، في الجاهلية اشتهر بالفروسية والحكمة والوفاء، تمسك به حتى عرض نفسه لحرب كسرى كي يظل خاضعًا لشرف العهد، وكان النعمان بن المنذر صَادِقَ الفراسة حين ترك له ودائعه، وقد عظُم على كسرى ألّا يأتمر هانىء بأمره، فجرّد جيشًا لقتاله، ولكنّ بطولة هذا الفارس تقدَّمت به إلى ميدان التضحية، وصَبَرَ وجَالَدَ حتى قهرت العربُ الفُرسَ لأول مرة في التاريخ على يده في يوم ذي قار، وهو يوم ميمون تحدث عنه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: ((اليَوْمُ أَوَّلُ يَوْمٍ انْتَصَفَتْ فِيهِ العَرَبُ مِنَ العَجَمِ))، ومات هانىء عن سن عالية ولم تعرف سنة وفاته.

معاني المفردات والتراكيب

المفردات	المعنى
هالك	ميت
فرور	هارب
الدنية	الفعلة الخسيسة الحقيرة.
استدباره	الفرار منه.
الحذر	الخوف.
ثَغر	جمع ثغرة وهي النقرة في أعلى الصدر.

النّحور	جمع نحر، وهو أعلى الصدر.
القَدر	مَا كُتِبَ وقُدِّر.
الظّفر	النصر.
المنايا	الموت.
مِن بُدّ	مناص ومهرب.

الشّرحُ والتّحليل:

هذه خطبة بطل قد احتقر الحياة في حجم الذل والاستكانة، ورأى الموت شرفًا في ساحة العزّ، وقد تكلّم بحديثه الموجز ليُعلن أن المسألة مسألة شرف وكرامة، وأن الموت في سبيلهما خير من الاستعباد.

ماهي إلاّ ساعات وكان الرجل حكيمًا مُجرِّبًا حين أخذ يسرد نصائحه العاقلة عن تأمل خبير، فأعلن أن الموت بعد الكفاح خير من الهرب إلى حياة ذليلة، وأنّ الصبر باب الفوز، فما حتى تنجلي المعركة عن نتائجها الحاسمة، وأنّ الموت أشرف من الهوان، والإقدام خير من الإحجام، واستقبال الموت خير من الفرار منه وإذا كانت الحياة تنتهي بالموت لا محالة، فالقتالُ سَبيلُ المناضل إذ لا مفر من الموت بعيدًا كان أو قريبًا .وقد تميزت هذه الخطبة بجملة من الخصائص، منها: إيجاز القول؛ لأنَّ الخطيب يريد أن يركز على أشياء دقيقة يعيها كل سامع، واتبع سبيل الخطبة الجاهلية التي لا تنسيق في إعدادها ولا تنميق، واستهدف القول الصائب والحكمة الموجزة، والمثل الدقيق.

المناقشـــة

١ ما أبرز أشكال النثر في عصر ما قبل الإسلام؟

٢ عرّف الخطابة، واذكر أبرز أغراضها في العصر الجاهلي.

٣ اذكر أشهر الخطباء العرب في عصر ما قبل الإسلام.

٤ تكلم عن الصفات التي ينبغي أن تتوفر في الخطيب الناجح.

٥ يتضح في نص خطبة هانئ بن مسعود الشيباني بعض خصائص الخطابة الجاهلية، فما تلك الخصائص.

٦ ضع عنوانًا مناسبًا لنص خطبة هانئ بن مسعود الشّيباني في يوم ذي قار.

٧ اشرح العبارة الآتية: (الطّعنُ في ثُغَرِ النّحورِ أكرمُ مِن الطّعنِ في الأعجازِ والظّهورِ).

٨ حدّد الأفكار الأساسية التي جاءت في النّص.

٩ استعن بالمُعجم اللّغوي بالتّعاونِ مع مُدرّسك وزملائك لبيانِ معاني المفردات الآتية:

- معشر
- الأعجاز

٣

الوَحْـدَةُ الثالثــة

الأدب العربي في عَصرُ صَدْرِ الإسلام

بعد الانتهاء:

من دراسة هذه الوحدة يتوقع من الطالب يكون قادرًا على أن:

١. يبين الخصائص التي اتصف بها الشعر في عصر صدر الإسلام.

٢. يعرف موقف الإسلام من الشعر.

٣. يعدد أغراض الشعر في عصر صدر الإسلام.

٤. يحفظ بعضًا من نصوص هذا العصر، ويمتلك القدرة على شرحها.

٥. يحدد خصائص النثر في عصر صدر الإسلام.

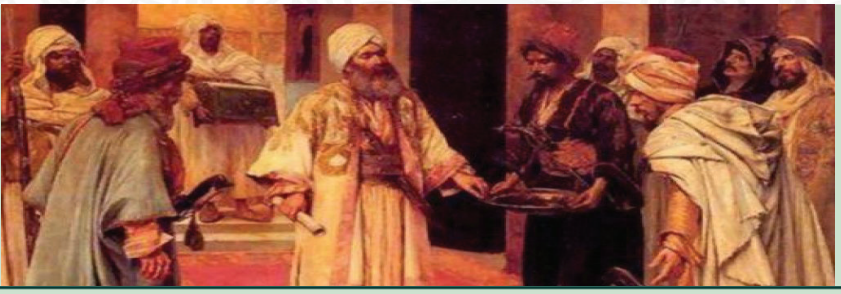

الدَرس الأول:

الأدَبِ في عصر صدر الإسلام

الشعر في عصر صدر الإسلام

١ خَصائِصُه

اتصف الشعر في هذا العصر بكثير من الخصائص التي ميزته عن العصر الذي سبقه، ولا سيّما في معانيه وأغراضه، ومن أبرزِ الخصائص التي اتسم بها الشعر في هذا العصر ما يأتي:

١ اتّجه الشعراء إلى المعاني الإسلامية والأغراض الدينية، مثل: وصف الفتوحات الإسلامية، وظهرت روح جديدة لدى شعراء هذا العصر، وقلّ من الشعراء من التزم بالطريق الجاهلي في بعض الأغراض، مثل: الحطيئة.

٢ ألفاظ الشعراء قد تأثرت كثيراً بالقرآن فظهرت كلمات من الذكر الحكيم بنصها، أما معاني القرآن فقد اقتبس الشعراء منها الكثير.

٣ سهولة الشعر ووضوحه وتهذيب لغته لدى بعض الشعراء في الإسلام كما في شعر (حسان بن ثابت).

٤ نقل المشاعر والأحاسيس بصدق وواقعيّة.

٥ انتشار الألفاظ والمعاني التي تدل على القيم التي أرساها الإسلام كـ(الصلاة والصوم، والزكاة، والإسلام والإيمان والجهاد، والجنة والنار، والحساب، والبرّ، والمعروف، وحدود الله تعالى...).

٦ البعد عن اللفظ الغريب، والكلمة غير المأنوسة.

٧ اتخاذ الشعر وسيلة لإصلاح المجتمع، وخدمة العقيدة الإسلامية.

٢ مَوقفُ الإسلام مِن الشّعرِ:

يظن بعض الدارسين للأدب أن الإسلام حارب الشعر، لكنَّ الصحيح أنه لم يحاربه لذاته، وإنما حارب الفاسد من مناهج الشعراء، ويتمثل هذا المعنى في الآية الكريمة التي صنفت الشعراء إلى فئتين: فئة ضالة، وأخرى مهتدية؛ إذ يقول تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء: ٢٢٤-٢٢٧]، بل إن الإسلام ذهب إلى أبعد من هذا، حين اتخذ الشعر سلاحًا من أسلحة الدعوة، وعَدَّه نوعًا من أنواع الجهاد؛ فجعل الشاعر على ثغرة من ثغور الإسلام لا يسدها إلا هو وأمثاله من الأدباء.

وقد أدرك الإسلام قيمة الكلمة الشعرية، وشدة تأثيرها؛ ولذا كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشجع الشعر الجيد المنطوي على مثل عليا، وكان يستمع إليه ويعجب بما اشتمل عليه من حكمة حتى قال «إن من البيان لسحرًا، وإن من الشعر لحكمة» ولما استأذن حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الرد على المشركين أذن له، وقال: «اهجهم ومعك روح القدس»، فكان حسان، ومعه عبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك ينشدون الشعر، ويذودون به عن الإسلام ورسوله، ومن ذلك قول عبد الله بن رواحة:

عَصَيْتُمْ رَسُولَ اللهِ أُفّ لِدِينِكُمْ وَأَمْرِكُمُ السّيّئِ الّذِي كَانَ غَاوِيَا

وقول كعب بن مالك:

ونردي اللّات والعزى وودّا ونسلبها القلائد والشّنوفا

وكذلك استحسن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قصيدة كعب بن زهير التي ألقاها في مسجده، والتي مطلعها:

بانت سُعادُ فقلبي اليومَ متبولُ مُتيّمٌ إثرها لم يفد مَكبولُ

وفيها مدح الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واعتذر له عمّا بلغه من هجاء، فقبل الرسول اعتذاره، وخلع عليه بردته الشريفة، كما كان يستزيد الخنساء من الشعر؛ فيقول:

«هيه هيه يا خناس» وهكذا كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حيث كانت سيرتهم تبعًا لما جاء به الرسول، فقد اقتفوا أثره، وتحروا سنته، فما نفع من الشعر أو حسن قبلوه، وشجَّعوا عليه، وما كان فيه ضرر أو قبح نبذوه، وحاسبوا عليه، فهذا سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -قد أوصى عامله على البصرة بتعليم الناس الشعر، وذلك بقوله: «إن الشعر يدل على معاني الأخلاق، وصواب الرأي، ومعرفة الأنساب».

وخلاصة القول: إن الإسلام لم يتخذ موقفًا معاديًا من الشعر بل وقف منه موقفًا وسطًا، فلم يؤيده ولم يعارضه، وإنما عدَّه كلامًا كأي كلام، فحسنه حسن وهو مقبول، وقبيحه قبيح، وهو مرفوض، وما يقال عن الشعر يقال عن بقية فنون الأدب الأخرى.

٣ حال الشعر في صدر الإسلام:

صادف الإسلام في العرب قلوبًا قاسية فألانها، وطباعًا جافية فرققها، ومن ثم صار الشعراء يختارون من الكلمات ألينها، ومن الأساليب أسهلها، وابتعدوا عن الألفاظ الجافة الغليظة، والتراكيب الوعرة. وشعر حسان في الجاهلية والإسلام خير شاهد على ذلك. لكن هذا لا يمنع أن الشعر قد تعرض لبعض الركود ولا سيما في أوائل هذا العصر؛ **وذلك للأسباب الآتية:**

١ انبهار العرب ببلاغة القرآن، وانشغالهم بالجهاد والفتوحات، وتثبيت أركان الدين الجديد، كل ذلك صرفهم عن قول الشعر إلا قليلًا.

٢ حاجة الدعوة إلى الخطابة أكثر من حاجتها إلى الشعر، أدى إلى خفوت صوت الشعراء.

٣ أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بترك رواية شعر نَفَرٍ من الشعراء الذين ظلوا على الشرك، وهجوا رسول الله من أمثال عبد الله بن الزِّبَعْرَى.

٤ إن الإسلام حارب العصبيات، وحرّم الخمر، وقاوم الهجاء المقذع، والغزل الفاحش، وكل هذه الأمور كانت وقودًا جزلًا لشعلة الشعر، فاقتصرت أغراض شعر المخضرمين على مناقضة شعراء المشركين، وعلى مدح الرسول وأصحابه...

ومع هذا لم يخل هذا العصر من أصوات شعرية متمكنة من أمثال: (حسان بن ثابت، وكعب بن زهير، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك)، وغيرهم.

المخضرمون: جمع مخضرم، وهم الشعراء الذين عاشوا عصرين مختلفين والمقصود بهم هنا من عاشوا في الجاهلية وأدركوا الإسلام، وأسلموا، من أمثال: (كعب بن زهير، وحسان بن ثابت).

٤ أغراض الشعر في صدر الإسلام:

لقد أسهم الإسلام في فتح آفاق واسعة لتطور الشعر وازدهاره، وتعدد أغراضه، وهذا ما تؤكده كتب التاريخ التي حوت تراثًا ضخمًا من القصائد والمقطوعات الشعرية، ومن أبرز أغراض الشعر في هذا العصر هي:

١ **الفخر**: وكان يختلف عن الفخر في الجاهلية، فكان يهدف إلى ترسيخ القيم والأخلاق الفاضلة مثل: الشجاعة والكرم، والاعتزاز بالإيمان والخوف من يوم الحساب، وممّا قيل في الفخر، ما جاء على لسان سيدنا علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مفاخرًا بصلة القرابة بينه وبين النبي ﷺ إذ يقول:

مُحَمَّدٌ النَّبيُّ أَخِي وَصِهْرِي وَحَمْزَةُ سَيِّدُ الشُهَدَاءِ عَمِّي

٢ **المدح**: يهدف إلى رفع راية الإسلام والإشادة به وبالرّسول الكريم محمّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يعد الشُّعراء المدّاحون يسعون بمدائحهم للعطايا والمال، بل كانوا يرجون نشر رسالة الإسلام ليدخل النّاس في دين الله، ومن أجمل ما قيل في مدحه -صلّى الله عليه وسلّم- قصيدة "البردة" التي ألقاها كعب بن زهير في حضرة النّبي الكريم، ومن أجمل أبياتها:

إنّ الرّسول لنورٌ يستضاءُ به مهنّدٌ من سيوفِ اللهِ مسلولُ

٣ **الهجاء:** كثر الهجاء بين شعراء مكّة وشعراء المدينة بعد هجرة النّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مكّة، إلّا أنّ المعاني المتداولة في هذا الهجاء اختلفت بين الطّرفين، فكان المسلمون مجدّدين في معانيهم بالإضافة إلى الهجاء بمعاني الجبن والتّخاذل والضّعف فقد دارت معانٍ جديدة حول الكفر والإشراك بالله تعالى وغير ذلك من مفاهيم طرحها الدين، إلّا أنّهم أجادوا في قصائد تظهر دور الشّعر في الدّفاع عن الإسلام في قصائد كثيرة منها قول الشّاعر:

أَلَا أَبلِغْ أَبَا سُفيانَ عنّي فَأنتَ مُجَوّفٌ نَخِبٌ هواءُ
هَجَوتَ مُحمّدًا فَأجبتُ عَنهُ وعندَ اللهِ في ذاكَ الجَزاءُ

٤ **الحماسة:** اختلف هذا النّوع في عصر صدر الإسلام عن حماسة الجاهليّة، فقد تخفّف مما حظره الإسلام من الغزل المحسوس، والتّغنّي باللّهو والعبث والشّراب، ولم يعد الشّعراء يتغنّون بالثّأر والإغارة والانتقام، فأصبحوا يتغنّون بالجهاد والفداء والبطولة في سبيل إعلاء كلمة الإسلام، ومن جميل هذا الشّعر قول أحدهم يخاطب فرسه:

أقــدمْ حذامَ إنّها الأساورة ولا تَغُرّنَـــكَ رجـــلٌ نَـادِرَة
أنا القُشَيْريُّ أَخُو المُهَاجِرة أَضربُ بِالسّيفِ رُؤوسَ الكَافِرة

٥ **الرثاء:** والرثاء في هذا العصر اقتصر على رثاء قتلى المسلمين واستشهادهم في سبيل الله تعالى، والدعاء لهم بالجنة، وعبر عن عاطفة الشاعر تجاه المرثي، ومن أشهر شعراء هذا العصر الخنساء، وأبو ذؤيب الهذلي الذي رثى أولاده الخمسة **بقصيدة مؤثرة، منها قوله:**

أَودى بَنِيَّ وَأَعقَبونـي غُصَّـةً بَعدَ الرُقـادِ وَعَبـرَةً لا تُقلِـعُ
وَلَقَد أَرى أَنَّ البُكاءَ سَفاهَـةٌ وَلَسَوفَ يولَعُ بِالبُكا مِن يَفجَعُ
سَبَقوا هَوَيَّ وَأَعنَقوا لِهَواهُمُ فَتُخُرِّموا وَلِكُلِّ جَنـبٍ مَصرَعُ
فَغَبَرتُ بَعدَهُمُ بِعَيشٍ ناصِبٍ وَإِخـالُ أَنّي لاحِـقٌ مُستَتبَعُ

٦ **الغزل:** نظم الشعراء شعرَ الغزل في صدر الإسلام كما فعل الشعراء الجاهليون، فالإسلام لم يمنع الغزل، بل شجعه وفق شروط أخلاقية محددة، فأغلب الشعراء اتسم شعرهم بالغزل العفيف، الذي لم يقف الإسلام بوجهه، لكن بالرغم من هذا ظلت طائفة من الشعراء تعاقر الخمر في أشعارها، وتشبب بالنساء وتتغزل بهن غزلً فاحشًا، ومن غزل تلك الحقبة قول حميد بن ثور:

حَلَفتُ بِرَبِّ الراقِصاتِ إِلى مِنىً ... رَفيقاً وَربِّ الواقِفينَ عَلى الحَبلِ

لَو انَّ لِيَ الدُّنيا وَما عُدِلَت بِهِ ... وَجُملٌ لِغيري ما أَردتُ سِوى جُملِ

أَتَهجُر جُملاً أَم تُلِمُّ عَلى جُمل ... وَجُملٌ عيوفُ الرِّيقِ جاذِبَةُ الوَصلِ

٧ **الوصف:** وصف شعراء الإسلام كل ما شاهدوه، ولا سيّما المعارك، والحروب التي خاضوها، وأبلوا فيها بلاء حسنا، على نحو ما نجد في قول كعب بن مالك:

قَضَى يَوْمَ بدرٍ أن نلاقيَ معشراً ... بَغَوْا وسَبِيلُ البَغْيِ بالناسِ جائِرُ

وَقَدْ حَشَدُوا واستَنْفَروا من يَلِيهِمُ ... منَ النّاسِ حتَّى جمعُهُمْ مُتَكَاثِرُ

وسَارَتْ إلينا لا تُحَاوِلُ غيرَنَا ... بأَجْمَعِهَا كَعْبٌ جميعاً وَعَامِرُ

وَفِينَا رَسُولُ اللهِ والأوسُ حَوْلَهُ ... لَهُ معقِلٌ منهُمْ غَزِيرٌ وَنَاصِرُ

وجمعُ بني النجّارِ تحتَ لوائِهِ ... يُمشيُّنَ في الماذيّ والنّفْعُ ثائِرُ

والجدير بالذكر أن الأغراض التي لا تتفق مع القيم الإسلامية الأصيلة والأخلاق السامية التي أكدها الإسلام قد انقرضت في هذا العصر أو كادت، ومنها الهجاء المقذع الفاحش، والغزل الكاشف الصريح، وشعر الخمر، وغيرها.

ثالثاً: دراسةٌ مُفصَّلة لبعض شُعراء صَدرِ الإسلام

١ حسّان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

حياته:

حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ينتسب إلى قَبيلة الخزرج، فهو حسّان بن ثابت بن المنذر من بني النجار أخوال النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم من الخزرج، والخزرج قبيلة قحطانية، ولد في يثرب قبل مولد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بثمان سنوات وعاش عمرًا مديدًا في الجاهلية.

وحسان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شاعر مشهور في الجاهلية اتصل بالغساسنة ومدحهم وأخذ جوائزهم، واتصل بالمناذرة ومدحهم وأخذ جوائزهم، وقد كان بين الأوس والخزرج أيام مشهورة في الجاهلية؛ ولذلك نجد حسانًا يدافع عن الخزرج ويهجو الأوس.

وبعد هجرة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة كان حسان هو شاعر الإسلام الأول؛ فقد دافع عن الإسلام بلسانه دفاعاً مجيدًا حتى أصبح زعيم المناقضات الشعرية بين المسلمين والمشركين، وقد امتد به العمر حتى شاهد كيف يزيل الإسلام دولة الفرس العظيمة وكيف يقهر المسلمون دولة الروم في الشام ومصر، فحسّان من المعمرين، عاش ستين سنة في الجاهلية وستين سنة في الإسلام وتوفي في خلافة معاوية سنة ٥٤هـ.

وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجلّ حسان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ويقدره؛ بل إنه يستمع إلى شعره في المسجد، وقد قال الشعر في الإسلام في الأغراض القديمة؛ ولكنه سخّر أغراضه في الإسلام لخدمة الإسلام ونشره والرد على مناوئيه، ومن الأغراض التي قال فيها الشعر في إسلامه: المدح، والهجاء والرثاء.

قصيدةُ حسّان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في رِثاء الرّسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

النَّـصُّ:

بَطَيبَةَ رَسْـمٌ لِلرَسـُـولِ وَمَعهَـدُ ... مُنيرٌ وَقَد تَعفو الرُسـُومُ وَتَهمَدُ

وَلا تَنْمَحي الآياتُ مِن دارِ حُرمَـةٍ ... بِها مِنبَرُ الهادي الَّذي كانَ يَصْعَدُ

وَواضِـحُ آثـارٍ وَباقِـي مَعـالِـمٍ ... وَرَبْعٌ لَهُ فيهِ مُصَـلّىً وَمَسجِدُ

بِها حُجُراتٌ كـانَ يَنـزِلُ وَسْطَهـا ... مِنَ اللّهِ نُـوْرٌ يُستَضـاءُ وَيُوْقَـدُ

مَعارِفُ لَمْ تُطْمَسْ عَلَى العَهْدِ آيُهـا ... أَتاهَا البِلَى فَالآيُ مِنْـهَا تُجَدَّدُ

عَرَفْتَ بِهَا رَسْـمَ الرَّسُوْلِ وَعَهْـدَهُ ... وَقَبْرًا بِهَا وَارَاهُ فِي الـتُرْبِ مُلْحِدُ

ظَلَلْتُ بِهَا أَبْكِي الرَّسُوْلَ فَأَسْعَـدَتْ ... عُيُوْنٌ وَمِـثْلاهَا مِنَ الجِفْنِ تُسْعَدُ

تَذَكَّـرُ آلاءَ الرَّسُـوْلِ وَمَـا أَرَى ... لَهَا مُحْصِـيًا نَفْسِي فَنَفْسِيَ تَبَلَّـدُ

مُفَجَّـعَةً قَدْ شَفَّهَا فَقْـدُ أَحمَـدٍ ... فَظَلَّـتْ لِآلاءِ الرَسُـوْلِ تُعَـدِّدُ

وَمَا بَلَغَـتْ مِنْ كُـلِّ أَمْرٍ عَشِـيْرَةٌ ... وَلَكِنَّ لِنَفْسِي بَعْضُ مَا فِيْهِ تُحْمَدُ

أَطالَتْ وُقُوفًا تَذْرِفُ العَيْنُ جُهْدَهَـا ... عَلَى طَلَلِ القَبْرِ الَّذي فِيْهِ أَحْمَـدُ

فَبُوْرِكْتَ يَا قَبْرَ الرَّسُـوْلِ وَبُوْرِكَـتْ ... بِلادٌ ثَوَى فِيْهَا الرَّشِـيْدُ المُسَـدَّدُ

وَبُوْرِكَ لَحْـدٌ مِنْـكَ ضُمِّـنَ طَيِّبًـا ... عَلَيْهِ بِنَـاءٌ مِنْ صَفِـيْحٍ مُنَضَّـدُ

وَمَا لَكَ لا تَبْكِيْـنَ ذَا النِّعْـمَةِ الَّتي ... عَلَى النَّاسِ مِنْـهَا سَابِغٌ يَتَغَمَّـدُ

فَجُوْدِي عَلَيْهِ بِالدُمُـوْعِ وَأَعْـوِلِي ... لِفَقْدِ الَّذي لا مِثْـلُهُ الدَّهْرُ يُوْجَدُ

وَمَا فَقَدَ المَاضُـوْنَ مِثْلَ مُحَمَّـدٍ ... وَلا مِثْلُهُ حَتَّى القِيَـامَةِ يُفْقَـدُ

أَعَفَّ وَأَوْفَـى ذِمَّةً بَـعْدَ ذِمَّـةٍ ... وَأَقْـرَبَ مِنْـهُ نَائِلاً لا يُنَكَّـدُ

وَأَبْـذَلَ مِنْهُ لِلطَّـرِيْفِ وَتَـالِدٍ ... إِذَا ضَنَّ مِعْطَـاءٌ بِمَا كَانَ يُتْلَـدُ

وَأَكْرَمَ صِيْتًا فِي البُيُوْتِ إِذَا انْتَمَى ... وَأَكْرَمَ جَدّاً أَبْطَـحِيّاً يُسَـوَّدُ

وَلَيسَ هَـوَايَ نَازِعًـا عَنْ ثَنَائِـهِ ... لَعَلِّي بِهِ فِي جَنَّةِ الخُـلْدِ أَخْلُدُ

مَعَ المُصْـطَفَى أَرْجُو بِذَاكَ جِوَارَهُ ... وَفِي نَيْلِ ذَاكَ اليَوْمِ أَسْعَى وَأَجْهَـدُ

للحفظ ستة أبيات

معاني المفردات والتراكيب

المفردات	المعنى
طيبة	المدينة المنورة.
رسم	أثر باق.
المعهد	المنزل المعروف.
تعفو	تزول، وتمحي.
تهمد	تبلى وتندثر.
الآيات	العلامات
دار الحرمة	ما لا يحل انتهاكه، وهو مسجد الرّسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
الربع	المنزل.
البلى	الزوال.
ثوى	أقام.
المسدد	الموفق للصواب.
أسعد	مفرده سَعْد، وهي حظوظ سعيدة.

مُناسَبة النّص:

في العام السابع من الهجرة عقد صلح الحديبية بين الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبين قريش على أن يدخل المسلمون مكة للحج بعد عام؛ ولكن قريشًا نقضت العهد، فجهّز الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جيشًا قويًا لمحاربة المشركين، وفتح مكة، ولما كان الشعر في العصور القديمة هو وسيلة الإعلام العامة، فقد نزل ميدان الحرب، واستخدمته الأطراف المتحاربة وأمر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ به، فقال: "اهجهم يا حسان فإن شعرك أشد عليهم من وقع السيوف"، لذلك انبرى حسان يهجو قريشًا ويشيد ببطولة المسلمين؛ مهاجرين وأنصار وبشجاعتهم، ويعلن تصميمهم على قتال المشركين وفتح مكة ما لم توافق قريش على دخول مكة، وأدائهم العمرة، ويرد على أبي سفيان بن الحارث، الذي هجا النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

العاطفةُ المُسيطرة على النّص:

عاطفة صادقة حارة منبعها:

١ حب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واعتزازه بالإسلام.

٢ الإعجاب بخيول المسلمين وبسرعتها.

٣ الفخر بشجاعة المسلمين.

٤ السخرية اللاذعة من المشركين وتوبيخهم.

الشّرحُ والتّحليل:

هذه الأبيات جزء من قصيدة لحسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رثى بها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فالفكرة التي عرضها الشاعر في أبياته هذه إنّما هي تعبير عن الأسى والحزن والألم الذي يحس به كل مسلم بعد موت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

تبدأ القصيدة بداية طللية فيستهل الشاعر قصيدته بالوقوف على الأطلال، ولكنها ليست كالتي عهدها شعراء الجاهلية من الوقوف عند ديار المحبوبة ثم الغزل والبكاء، إنما الوقوف على قبر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكيف أن الأماكن في طيبة (المدينة المنورة) منيرة بخطواته التي فيها الخير والبركة والخلود، وقد عبّر فيها عن حزنه لوفاة الرسول الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ قال: إنّ في المدينة المنورة آثارًا وأماكن تشهد على عظمة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهي مضيئة وباقية كدليل على عظمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في حين المعروف أن الآثار قد تزول وتفنى بمرور الزمن إلا آثاره فهي باقية بقاء الدهر، بخطواته عليها التي طبعت فيها البركة، والخير، والنماء، وجعلتها خالدة لا يمكن أن تزول.

وقد وقف الشاعر أمام قبر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبكي بكاءً شديدًا على فراقه ويدعو بالبركة لقبره، وبالبركة للمدينة المنورة التي أقام بها.

واستخدم الشاعر المعجم الإسلامي حيث تأثر حسان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بألفاظ القرآن الكريم ومعانيه، ومصطلحات الإسلام ومبادئه، مثل: (طيبة، منبر، الآيات، مصلى، مسجد، نور، يستضاء، آلاء...)، والتراكيب تبدو عليها البساطة فهي بعيدة عن التعقيد، لذلك فإن سهولة الأسلوب جعلت النص يفهم دون أي عناء فهو أسلوب سهل واضح لا لبس فيه.

خلاصةُ القصيدة :

فإذا كان رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قد اختاره الله إلى جواره فإن آثاره باقية في المدينة يحيط بها النور الذي يبقيها واضحة إذا زالت الآثار الأخرى وانطمست.

والآثار معرضة للزوال، ولكن آثار رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في دار لا يحل انتهاكها وهي المدينة المنورة إذ تشتمل على المنبر الذي كان مصدر إشعاع وهداية للبشر.

إن العلامات الدالة على مكان إقامته الواضحة، فمنزله ومسجده وأماكن صلاته كلها تذكر بما للنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من المنزلة في نفوس المسلمين.

المناقشـــة

١ ما حال العرب قبل الإسلام؟ وما أعظم أثر تركه فيهم؟

٢ ما الآثار التي أحدثها الإسلام في لغة العرب وأدبهم؟

٣ يظن بعض الدارسين للأدب أن الإسلام حارب الشعر، كيف ترد على ذلك؟ وما دليلك؟

٤ للشعر في صدر الإسلام عدة خصائص فنية، اذكر خمسًا منها.

٥ ما موقف الإسلام من غرضي "المدح والهجاء"؟

٦ علل للظواهر الأدبية الآتية:

- قلة الغزل في العصر الإسلامي.
- تعرض الشعر لبعض الركود في العصر الإسلامي.
- يُعد الشعر في عصر صدر الإسلام امتدادًا لسابقه في العصر الجاهلي.
- تحدث عن الرثاء في صدر الإسلام، وما أشهر شعرائه؟ مستشهدًا بنص شعري.

٧ استهلَّ حسّان قصيدته بعبارة: (بطَيْبَةَ رَسْمٌ)، فما المقصود بذلك؟

٨ عبَّر الشّاعر في قصيدته عن آثار وفاة الرَّسول -صلّى اللّه عليه وسلَّم- على المسلمين، كيف توضح ذلك من قراءتك للقصيدة؟

٩ ما العاطفة المسيطرة على النص الشعري؟

١٠ ما مدى تأثر الشاعر بألفاظ الإسلام ومصطلحاته؟ استشهد على ذلك من شعره.

١١ اذكر خمسًا من مناقب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الواردة في النصّ.

الدَرس الثاني:
الأدَبِ في عَصرِ صَدرِ الإسلام
النّثرُ في عَصرِ صَدرِ الإسلام

كان النثر في هذه الحقبة أكثر استجابة لدواعي التطوير من الشعر، ومن هنا كان الأكثر تصويرًا للحياة الإسلامية من الشعر، فضلًا عن أن القرآن الكريم كان معجزة بلاغية ألقت ظلالها على نتاج الخطباء فطُبِع بطابع إسلامي واضح القسمات، فكان النثر في هذه الحقبة إسلاميًّا، سواء في سماته الفنية أم في أغراضه ومعانيه.

وتمثل النثر في هذا العصر في الخطابة والرسائل، وإذا كان القصد الأدبي هو التأثير وإثارة العواطف، فإن الخطبة والرسالة لهما الأثر الكبير في إثارة العواطف ومن ثُمَّ التأثير في الناس على أن الخطبة تؤثر في الناس أكثر من تأثير الرسالة.

وقد حاول الخطباء وكُتَّاب الرسائل تجنب بعض السمات التي عرفها النثر الجاهلي، والسجع خاصة، كراهة محاكاة سجع الكهان.

سمات النثر الأدبي في صدر الإسلام:

ظل النثر الأدبي بوجه عام وفيًّا للأعراف المستمدة من الطريقة العربية المتوارثة من حيث إيثار الإيجاز في العبارة، وتجنب التكلف، والزهد في الزخرف والحلي اللفظية، ووضوح المعاني، وتوخي الجزالة والرصانة في الأسلوب.

الخطابة في عصر صدر الإسلام

تعد الخطابة من أظهر الآثار الإسلامية في نثر تلك الحقبة، وقد حرص الخطباء على استهلال خطبهم بذكر اسم الله، وحمده، والصلاة على نبيه، وتضمين خطبهم بعضًا من آي القرآن، حتى لقد سموا الخطبة بـ(بتراء) إن لم تبدأ بذكر اسم الله وحمده، وسموها بـ(شوهاء) إن خلت من آي التنزيل الكريم، هذا إلى جانب الاستمداد من المعاني الإسلامية، ومحاكاة الأسلوب القرآني والاستعانة بالصور

والأمثال القرآنية، وما وجد في الخطابة يصدق كذلك على الرسائل والنثر عامة إبَّان تلك الحقبة.

وكانت الخطابة هي الوسيلة التي توصل تعاليم الإسلام إلى قريش خاصة، ثم إلى العرب عامة، وقد كانت خطب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مكة قبل أن يهاجر إلى المدينة من أقوى الخطب التي يسمعها العرب، كيف لا وهو من أوتي جوامع الكلم ولولا تأثير تلك الخطب في قريش ثم في العرب القادمين للحج لما حدثت الخصومة بين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأهل مكة. ومن خطبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مكة خطبته في قريش عندما نزل عليه قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [الشعراء:٢١٤]، فقد جمع قريشًا وخطب فيهم، ومن تلك الخطبة: "إن الرائد لا يكذب أهله، والله لو كذبت الناس جميعًا ما كذبتكم، ولو غررت الناس جميعًا ما غررتكم، والله الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم حقًا وإلى الناس كافة"، وعندما هاجر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة أصبحت خطبه توضح التشريع الإسلامي، وقد شرع الإسلام خطبة الجمعة والعيدين وخطبة الحج.

وأخذت الخطابة تثبت أقدامها؛ لحاجة المسلمين إليها عصرئذ، وبدأت تسير في طريق النماء والنضج بشتى أنواعها، وفي حين توارى سجع الكهان، ظهرت مكانة الخطابة الدينية، فكان الرسول يخطب في المسلمين، موضحًا لهم شؤون عقيدتهم، وجاء الخلفاء الراشدون بعده فساروا على نهجه، وكانوا يعظون المسلمين في خطبهم ويحضونهم على مكارم الأخلاق.

١ عوامل ازدهار الخطابة في هذا العصر

في عصر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والخلفاء الراشدين علا شأن الخطابة وازدهر، فنهضت نهضة قوية، وتبوَّأت منزلة رفيعة، ونفخ فيها الإسلام من روحه، فأمدها بألفاظه ومعانيه ومقاصده العظيمة، وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخلفاؤه وكبار الصحابة والقادة خُطباء زانوا المنابر وهزوا بالبلاغة أوتار القلوب، وترجع أسباب نهضة الخطابة في هذا العصر إلى جملة عوامل أهمها ما يأتي:

١ إنّها أصبحت لسان الدعوة الإسلامية ووسيلة نشرها، فهي أكثر مرونة من الشعر في تحمُّل المعاني، وليس من السهل أن نودع الشعر حججًا وبراهينَ ومناقشاتٍ؛ لأنه مقيد بالأوزان والقوافي، أما الخطابة فهي لا تعجز عن ذلك.

٢ إنّ الإسلام شجّع الوعظ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعل الخطابة البليغة من شعائره في الجمعة والعيدين، وفي يوم الحج الأكبر، فأصبح الخلفاء والقادة والأمراء خطباء بالضرورة؛ لأنهم مضطرون لأن يقفوا أمام الجماهير في كل جمعة وعيد ومناسبة.

٣ استُعملت الخطابة في تحميس الجنود في معارك الفتوحات، ومن المعروف أن العصر الإسلامي كان عصر فتوحات، ومعارك خالدة، كمعركة القادسية واليرموك وغيرهما، وكان الأبطال يخطبون إبّان المعارك لإثارة روح الجهاد.

٢ أنواع الخطابة

للخطابة في عصر صدر الإسلام أربعة أنواع هي:

١ **الخطابة الدينية:** كخطب الجمعة والعيدين ويوم عرفة، وخطب الوعظ والإرشاد.

٢ **الخطب السياسية:** كخطب سيدنا علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في أعقاب التحكيم.

٣ **خطب المعارك:** كخطب الأبطال التي روتها الكتب إبان المعارك، وخاصَّة يوم اليرموك.

٤ **خطب الوفود:** وهي الخطب التي كان يلقيها رؤساء القبائل والوافدون على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى الخلفاء من بعده للمبايعة أو الشكوى.

٣ مميزات الخطابة في هذا العصر

امتازت خطابة صدر الإسلام عن الخطابة الجاهلية في الموضوع بأمور منها:

١ الدعوة إلى الدين الجديد، تتطلب توحيد الله، وترك الأصنام وغيرها مما كانوا يعبدون، ومثل ذلك يحتاج إلى البراهين المقنعة، وتبصير العقول بالكون،

والتحذير من مخالفة الله، وشرح أصول الإسلام وأحكامه، وميدان ذلك الخطابة.

٢ حث المسلمين على الجهاد في سبيل الله والصبر وطلب الشهادة.

٣ إخبار المسلمين بما أفاء الله على المحاربين وعلى المسلمين من النصر.

٤ تحدي الأعداء وتهديدهم، بتقديم صور المسلمين في استماتتهم وقوتهم، وكثر ذلك اللون عند فتوحات الفرس والروم، و(وفود المفاوضات).

٥ عرض المشكلات أو الأحداث وشرح وجهات النظر فيها.

٦ خطب البيعات والولايات، وخطب الولاة في البلاد التي يلون أمرها؛ لتأييد البيعات أو شرح، المبادئ الجديدة.

٤ سمات الخطابة في صدر الإسلام

١ أصبحت جميع الخطب تُفْتَتح بحمد الله والثناء عليه والصلاة على نبيه، ولم يكن لأي خطيب أن يشذَّ عن هذه الخاصيّة المتعارف عليها.

٢ تأثرت الخطابة في عصر صدر الإسلام بالقرآن الكريم، الذي امتلأ بالعذب السهل من اللفظ الذي يدركه كل عربي، وبحديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي اتى بجوامع الكلم، فجاءت سهلة في ألفاظها، بعيدة عن الغريب.

٣ وامتازت باختيار الجمل القصيرة أو المتوسطة، وعُني خطباء صدر الإسلام بالربط بين الفقرات والجمل، والخطبة الإسلامية مناسبة للمقام إيجازًا وإطنابًا.

٤ قلّ السجع في الخطب الإسلامية، إلا ما جاء عفوًا، وهو سجع في غاية الجمال والأصالة، كما في قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خطبة الوداع: ((لكم عليهنَّ ألاَّ يوطئن فُرُشكم غيركم، ولا يُدْخِلْنَ أحدًا تكرهونه بيوتكم))، وكقول علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ((يُغار عليكم ولا تغيرون، وتُغزون ولا تغزون، ويُعصى الله وترضون)).

٥ أصبحت ألفاظ الخطابة الإسلامية أكثر رقة وعذوبة وأهدأ موسيقا، وأحسن ملاءمة للمعاني.

٦ اتسمت معاني الخطب بالعمق، واكتشاف المعاني الدقيقة التي أرسلها خطباء الإسلام، وأصبحت أهدافها ومقاصدها سامية تدور كلُّها في فلك الدعوة إلى الله، وترسيخ الإيمان والفضائل.

٧ اغْتَنَتْ الخطابة بالحجة والبرهان المستمدين من الإسلام؛ لأنَّها تخاطب العقول أكثر مما تخاطب العواطف، وترمي إلى القناعة المنطقية، ليكون تبني المبادئ أكثر عمقًا في النفوس.

نَماذجُ مِن الخطابة في العصر الإسلامي

١ من خطبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حجة الوداع:

النَّـصُّ:

للحفظ إلى قوله: (فمن زاد فهو من أهل الجاهلية)

«**أَمَّا بَعْدُ:** أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعوا مِنِّي أُبيِّنْ لَكُمْ، فإنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا، فِي مَوْقِفِي هَذا.

أيُّهَا النَّاسُ: إنَّ دِمَاءَكُم وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ إلى أن تَلْقَوْا رَبَّكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللَّهُمَّ اشْهَدْ. فَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ فَلْيُؤَدِّهَا إلَى مَنِ ائْتَمَنَهُ عَلَيْهَا.

وَإِنَّ رِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَلَكِنْ لَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ قَضَى اللهُ أَنْ لَا رِبَا، وإنَّ أَوَّلَ رِبَا أَبْدَأُ بِهِ رِبَا عَمِّي العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وإنَّ دِمَاءَ الجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ...وإنَّ مَآثِرَ الجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ غَيْرَ السِّدَانَةِ وَالسِّقَايَةِ والعَمْدُ قَوَدٌ، وشِبْهُ العَمْدِ مَا قُتِلَ بالعَصَا والحَجَرِ، وَفِيهِ مِئَةُ بَعِيرٍ، فَمَنْ زَادَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ.

أَيُّهَا النَّاسُ: إنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يُعْبَدَ فِي أَرْضِكُمْ هَذِهِ، وَلَكِنَّهُ قَدْ رَضِيَ أَنْ يُطَاعَ فِيهَا سِوَى ذَلِكَ مِمَّا تُحَقِّرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ.

أيُّهَا النَّاسُ: إنَّ لِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ حَقٌّ، لَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَلَّا يُوَطِّئْنَ فُرُشَكُمْ غَيْرَكُمْ، وَلَا يُدْخِلْنَ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ بُيُوتَكُمْ إلَّا بِإِذْنِكُمْ، وَلَا يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَعْضُلُوهُنَّ، وَتَهْجُرُوهُنَّ فِي المَضَاجِعِ، وتَضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ فَإِنِ انْتَهَيْنَ وَأَطَعْنَكُمْ فَعَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالمَعْرُوفِ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، وَاسْتَوْصُوا بِهِنَّ خَيْرًا أَلا هَلْ بَلَّغْتُ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَدْ.

أيُّهَا النَّاسُ: إنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ، فَلَا يَحِلُّ لامْرِئٍ مَالُ أَخِيهِ إلَّا عَنْ طِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللَّهُمَّ اشْهَدْ.

فَلَا تَرْجِعُنَّ بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، فَإِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ؛ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللَّهُمَّ اشْهَدْ.

أيُّها النَّاسُ: إِنَّ رَبَّكُم وَاحِدٌ، وإِنَّ أَبَاكُم واحدٌ، كُلُّكُمْ لِآدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ، وَلَيْسَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ فَضْلٌ إلا بالتَّقْوَى، ألا هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللَّهُمَّ اشْهَدْ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبُ، وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ».

معاني المفردات والتراكيب

المفردات	المعنى
موضوع	باطل ساقط، وملغي.
دماء الجاهلية	دماء القتلى الذين قتلوا في الجاهلية.
المآثر	ما يرثه الخلف من السَّلف من الأفعال والأقوال.
السّدانة	خدمة الكعبة.
السقاية	ما كانت قريش تسقيه الحجاج من الزبيب المنبوذ في الماء.
العمد	القتل عمدًا.
القَود	أي قِصَاص، أي مَنْ قتل عمداً يُقتل.
تعضلوهن	تضيقوا عليهن.
غير مبرح	غير شديد.
عن طيب نفس منه	بموافقته وبلا إكراه.

مناسبة الخطبة:

حج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حجته الوحيدة في السنة العاشرة للهجرة، واستصحب معه جميع أهله وأصحابه، وانضم إليهم خَلقٌ كثير حتى احتشد في الموسم أكثر من مئة ألف، وفي يوم الحج الأكبر وقف النبي يخطب الناس وفي كلامه لهجة المودّع، الموقن بقرب الأجل، ولهذا كان يسأل الناس عقب كل مقطع قائلًا: ألا هل بلغت؟ ثم يقول اللهم اشهد، ولأن النبي توفي بعدها بثلاثة أشهر، فقد سُمِّيت خطبة الوداع.

الشرح والتحليل:

ارتجل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الخطبة في موسم الحج، وقد نهى فيها المسلمين فيها عن الظلم والعدوان، والعادات والتقاليد القديمة المضّرة صاغها بأسلوب سهل ومعانٍ واضحة، محتذيًا فيها أسلوب القرآن الكريم وطريقة تصويره.

وقد تضمنت هذه الخطبة الكريمة على إيجازها من الأحكام ما يضعُ الأسس القويّة لبناء المجتمع المسلم القوي الصالح المتعاون، الذي يسوده الأمن وتجمِّله الفضائل والأخلاق، ولقد كان لهذه الخطبة أثرها، لأنها ألقيت في جموع الحجيج في يوم الحج الأكبر، وكانت تلك سُنَّةً كريمة شرعها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وإذا استغلّها أئمة المسلمين في كل زمان في موسم الحجّ فإنها تحقق للإسلام فوائد عظيمة.

وقد اشتملت خطبة الوداع على الأحكام والآداب الآتية:

١. حُرْمة الأموال والدماء وقداستها، فمن أكل مال مسلم أو سفك دمه، أو تمتع بامتيازات موروثة عن الآباء، فكأنّما انتهك حرمة يوم عرفة في الشهر الحرام، وفي البلد الحرام؛ ولكي تسود المحبة ويعمّ الوفاق بين أفراد المجتمع، نهاهم عن الظلم بكُلِّ ألوانه.

٢. دعاهم إلى تأدية الأمانات إلى أصحابها، وأن يبلّغ كُلّ منهم الرسالة الإسلامية الخالدة إلى الناس كافة.

٣. إلغاءُ الربا والنهي عنه؛ لأنه ظلم وربح بلا جهد، مبتدئًا بأقرب الناس به.

٤. حرم عليهم الأخذ بالثأر، لأنّه يشق الصف، ويورث الشقاق، وتراثها غير خدمة البيت الحرام وسقاية الحجيج.

٥. إن القاتل عمدًا يُقتَل، والقتل شبه العمد يكون بأداة غير حادة، وفيه دية مغلّظة وهي مِئَةٌ من الإبل.

٦. إنّ ترك الشرك وحده لا يكفي، وإنّما يجب أن يترك المؤمن سائر الذنوب.

٧ على الرجال أن يقوموا بحقوق النساء، وأن تقومَ النساءُ بحقوق الرجال.

٨ وجوب الاعتصام بكتاب الله مهما فشا في العالم الضَّلال.

٩ حذّرهم من مكايد الشيطان منبهًا على وجوب التزام اليقظة والحذر من وسائل إفساده للأخوّة بين المسلمين وتفريق صفوفهم، بعد أن عجز عن تكفيرهم وإشراكهم، وقد يكون الشيطان من الجن أو الإنس، وجعل تلك الفرقة لوناً من الكفر، فلا عنصرية ولا تفاضُل، إلّا بالتقوى.

وتُعَدُّ خطبة الوداع من أعظم الخطب في أدبنا، وقد امتازت بما يأتي:

أ - الإيجاز البليغ، الذي يجمع المعاني العظيمة الواسعة في الألفاظ القليلة.

ب- لهجة المودّع، فقد افتتحها صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بما يوحي أنه قد يموت فلا يلقاهم بعد عامه ذلك، وكان بين الآونة والأخرى يُشهِد الله على أنّه بلّغَ الرسالة بعد أن يسألهم: ألا هل بلّغت؟

ت- البساطة في الألفاظ؛ وذلك لأن الخطبة تعليمية والأسلوب التعليمي يجب أن يخلو من الصعوبة والتعقيد والتكلف.

ث- حلاوة النغمة وجمال التقسيم في الجمل، مع وقوع بعض السجع في غير تكلُّف أو إكثار.

ج- الإفادة الواضحة من ألفاظ القرآن، ومن معانيه العظيمة ومقاصده الكريمة فقوله صلى الله عليه وسلم «أكرمكم عند الله أتقاكم» هو ترديد للآية: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات:١٣]، وجميع الأحكام التي أوردها ما هي إلا صدى لصوت القرآن الكريم.

ح-والتكرار البليغ الذي يهدف إلى التأكيد والإقناع الملزم؛ لكي يقفل باب اللجاج، ولكيلا يكون للناس حجة.

٢ من خطبة سيدنا أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم تولى الخلافة:

النَّـصُّ:

«**أيّهَا النَّاسُ**: إنّي قَدْ وُلِّيتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ، فإنْ رَأَيْتُمُوني عَلَى حَقٍّ فَأعِينُوني، وَإنْ رَأَيْتُمُوْنِي عَلَى بَاطِلٍ فَسَدِّدُونِي، أطِيْعُوْنِي مَا أطَعْتُ الله فِيْكُمْ، فَإذَا عَصَيْتُهُ فَلاَ طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ، أَلَا إنَّ أَقْوَاكُمْ عِنْدِيَ الضَّعِيفُ حَتَّى آخُذَ الحَقَّ لَهُ، وَأضْعَفَكُمْ عِندِيَ القَوِيُّ حَتَّى آخُذَ الحَقَّ مِنْهُ، أقُوْلُ قَوْلِي هَذَا وأسْتَغْفِرُ الله العَظِيمَ لِي وَلَكُم».

للدرس فحسب

معاني المفردات والتراكيب

المفردات	المعنى
وُلِّيت عَلَيْكُمْ	صرت واليًا عليكم.
فأَعِينُونِي	ساعدوني.
فسددوني	قوموا اعوجاجي
أطيعوني ما أطعت فيكم	: أي زمن طاعتي له،
عصيته	خالفت.

مناسبة الخطبة:

بعد وفاة الرسول اجتمع الأنصار وبعض المهاجرين في سقيفة بني ساعدة؛ لاختيار خليفة للمسلمين، وانتهى الاجتماع على اختيار أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خليفة للمسلمين، وتمت البيعة له تحت تلك السقيفة، ثم اجتمع المسلمون في المسجد فألقى فيهم هذه الخطبة الموجزة وهي أول خُطبة ألقاها أبو بكر بعد تولّيه الخلافة، وهي على اختصارها تضع أعظم أساس للعلاقة بين الحاكم والرعية.

الشرح والتحليل:

يُدْهِشك في هذه الخطبة هذا الإيجاز البليغ الذي يستعمل الكلمة، فيمتد ظلالها إلى بعيد، ويُودِع العبارة القصيرة من المقاصد العظيمة ما يحتاج في شرحه إلى كتاب، إن أعظم أُسُسِ الشورى تُرسَى هنا، والحاكم المسلم، كما يمثله أبوبكر الصديق يمتاز بأعظم ما يتح به الحاكم العادل الرشيد:

١ فهو يعتقد أنه ليس أفْضَل المسلمين وأن في المسلمين من هو أفضل منه، وهذا الاعتقاد يبعد به عن طبيعة الاستبداد والطغيان، ويجعله أبدًا متواضعًا لشعبه متقبّلًا منهم مشورتهم وآراءَهم البنَّاءَة.

٢ وفي قوله: فإن رأيتموني على حقٍّ فأعينوني، وإن رأيتموني على باطل فسددوني يفتح هذا الخليفة الراشد للمسلمين باب النقد والثناء على مصراعيه، فهو يطلب تشجيعه لدى الإحسان وإرشادَه إلى السّداد لدى الخطأ.

٣ أمَّا كلامه عن مقياس القُوَّة والضعف، فأروع ما يمكن أن يتمخَضَ عنه الضمير الحيّ المنصف؛ لأنّه يعلم أنّ أقوى الناس عنده هو الضعيف المظلوم، وأنّ أضعف الناس عنده هو القوي الظالم، إلى أن يعود للأول حقُّه، ويتخلّى الثاني عن باطله، هنالك يعودان في منزلة واحدة من المساواة.

الرسائل في عصر صدر الإسلام

كانت الكتابة موجودة قبل الإسلام ولكنها قليلة جدًّا، فلم يكن يعرفها إلا النَزْر اليسير من العرب عامة وبضعة عشر رجلاً من قريش خاصة، فلما انتصر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على قريش في يوم بدر أسر منهم جماعة كان فيهم بعض الكتاب، فقبل الرسول أن يفتدي كل منهم نفسه بتعليم عشرة من صبيان المسلمين الكتابة، فكثر سواد الكاتبين، وانتشرت الكتابة بعد ذلك في العرب.

وبدأ فن الرسائل يخطو خطواته الأولى في طريق النضج في عصر صدر الإسلام؛ لأنَّ قيام الدولة الإسلامية استدعى وجود كتاب يوجهون الرسائل إلى الملوك والأمراء، والعمال والقبائل في مختلف أقطار الدولة، فضلًا عن الرسائل الشخصية.

فكان للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتّابه، كما كان لخلفائه وولاتهم من بعده كتابهم، ومن الكتاب الذين استعان بهم الرسول، لكتابة الوحي؛ وكتابة الرسائل: (علي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان، وأبان بن سعيد، وخالد بن سعيد، والعلاء بن الحضرمي، وأبي بن كعب، وزيد ابن ثابت).

خصائص أسلوب الرسائل:

تميز أسلوب الرسائل بالإيجاز والاقتصار على ما يؤدي المعنى ويوضِّحه دون مبالغة أو تهويل أو زخرفة، فالألفاظ محدَّدة واضحة، إذ لم يكن من شأن الكتاب أن يكثروا القول تزيُّدًا أو مباهاة، ولكن كان من شأنهم أن يفصحوا عن خواطرهم بوضوح تام، ولذا لم يكن هناك تَفَنُّن في البدء والختام، فكانت أشبه بالبرقيات في العصر الحاضر، حتى جاء عبد الحميد الكاتب آخر الدولة الأموية فأسهب فيها، وأطال التحميدات في أوّلها، وسلك طريقه من أتى بعده.

١ رسالة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى النجاشي

بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ

«مِنْ مُحَمّدٍ رَسُولِ اللّهِ إلَى النّجَاشِيّ مَلِكِ الْحَبَشَةِ:

سِلْمٌ أَنْتَ، فَإِنّي أَحْمَدُ إلَيْكَ اللّهَ الّذِي لَا إلَهَ إلّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدّوسُ السّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ، وَأَشْهَدُ أَنّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رُوحُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إلَى مَرْيَمَ الْبَتُولِ الطّيّبَةِ الْحَصِينَةِ، فَحَمَلَتْ بِعِيسَى مِنْ رُوحِهِ وَنَفْخِهُ كَمَا خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ ونَفْخِهِ، وَإِنّي أَدْعُوكَ وَجُنُودَكَ إلَى اللّهِ عَزّ وَجَلّ، وَقَدْ بَلّغْتُ وَنَصَحْت فَاقْبَلُوا نَصِيحَتِي وَالسّلَامُ عَلَى مَنْ اتّبَعَ الْهُدَى».

للدرس فحسب

٢ رسالة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى كسرى

«مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُوْلُ اللهِ إلَى كِسْرَى عَظِيْمِ فَارِسٍ:

سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى وَآمَنَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَشَهِدَ أن لَا إلَهَ إلاَ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وأنَّ مُحَمّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وأَدْعُوكَ بِدُعَاءِ اللهِ تَعَالَى، فَإِنِّي أنَا رَسُولُ اللهِ إلَى النَّاسِ كَافَّةً، لأُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ القَوْلُ عَلَى الكَافِرِينَ، فَأَسْلِمْ تَسْلَمْ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَإِنَّ إثْمَ المَجُوسِ عَلَيْكَ».

للدرس فحسب

الشرح والتحليل:

عندما ننظر في هاتين الرسالتين اللتين أرسلهما الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى ملكي الحبشة وفارس يدعوهما إلى الإسلام نجد أنهما تمتازان بالإيجاز الشديد فليس فيهما إطالة، لسبب واحد فهو يريد منهما أن يشهدا أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله، ولهذا أيضًا تميزتا بالوضوح التام، فجاءتا أشبه بالبرقيات في عصرنا الحاضر، التي تهدف إلى إيصال معنى محدد، دون أن تكون هناك ألفاظ زائدة عليه.

المناقشة

١ لماذا سُمِّيت خطبة الوداع بهذا الاسم؟

٢ ما البداية المؤثرة التي بدأ بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطبته؟ ولماذا اختارها؟

٣ كيف عبّر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن قداسة أموال المسلمين وحرمتها؟

٤ لماذا اختار ربا العباس بن عبد المطلب ليكون أول ربًا مُلغى؟

٥ كرّر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألفاظًا بعينها عقِب كل عبارة، حدد هذه العبارات، بينْ هدف هذا التكرار.

٦ تظهر بعض عبارات القرآن واضحة في الخطبة، أذكرُ ما يدل على ذلك.

٧ ما معنى قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا ترجعُنَّ بعدي كُفَّارًا »؟ ولماذا يشبه النزاع والشقاق بالكفر؟

٨ ما مقياس الكرامة، كما رسمه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نهاية الخطبة؟ وكيف أثبت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الناس سواسية؟

٩ ما الأمر الذي لا يُضَلُّ المسلمون ما تمسكوا به؟

١٠ ما الذي ميز أسلوب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خطبته؟

١١ اذكر أنواع الخطابة في عصر صدر الإسلام، ومثل لواحد منها.

١٢ تحدث عن خمس من سمات الخطابة في عهد صدر الإسلام.

المناقشـــة

١٣ علل لما يأتي:

أ-تقدم الخطابة على الشعر في عصر صدر الإسلام.

ب-اختلاف الخطابة في عصر صدر الإسلام عنها في العصر الجاهلي.

ت-تجنب بعض السمات التي عرفها النثر الجاهلي في عصر صدر الإسلام.

١٤ اختلفت الخطابة في عصر صدر الإسلام عن العصر الجاهلي في الموضوع، وضح ذلك.

١٥ ازدهرت الخطابة في عصر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ والخلفاء الراشدين وعلا شانها ونهضت نهضة قوية، تكلم على العوامل التي ساهمت في نهضتها .

١٦ علامَ يدل قول أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ "إنّي وليت عليكم، ولست بخيركم"؟

١٧ يؤسِّس سيدنا أبوبكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في هذه الخطبة مبدأً مهمّا من أسس الحكم. فما هو؟ وكيف دعا إليه؟

١٨ بِمَ امتاز أسلوب تلك الخطبة؟

١٩ من القوي؟ ومن الضعيف في نظر سيدنا أبي بكر أثناء خطبته؟ ولماذا؟

٢٠ يقال: «إنَّما الطاعةُ في المعروف» التقط من الخطبة ما يتوافق مع هذه القاعدة الإسلامية الجليلة.

المناقشـــة

٢١ تحدث عن الرسائل في هذا العصر، واذكر أهم ما يميزها.

٢٢ لماذا أصبحت الحاجة مُلِحَّة إلى وجود الرسائل في عصر صدر الإسلام؟

٢٣ اذكر بعض الكُتَّاب الذين كتبوا الوحي لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٢٤ ما الغرض الذي من أجله أرسل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسالتيه إلى النجاشي وكسرى؟

٢٥ بماذا تميزت رسالتا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى النجاشي وكسرى؟

٤

الوَحْـدَةُ الرابعـة

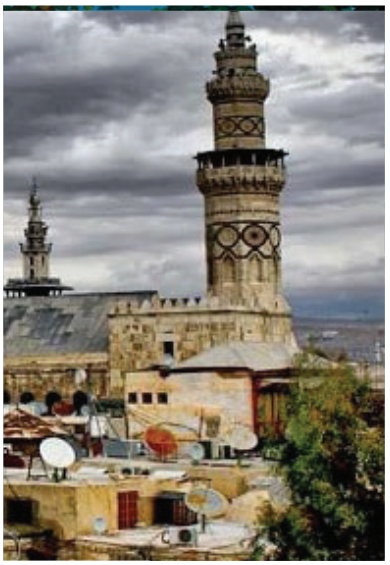

الأدب العربي في العصر الأموي

بعد الانتهاء:

من دراسة هذه الوحدة يتوقع من الطالب أن يكون قادرًا على أن:

١. يوضح تطور مفهوم الأدب في العصر الأموي.
٢. يحدد العوامل التي أدت إلى انتشار الفنون الشعرية والنثرية في العصر الأموي.
٣. يذكر الأسباب التي أدت إلى ظهور بعض الفنون الأدبية في العصر الأموي.
٤. يحفظ بعضًا من نصوص هذا العصر، ويمتلك القدرة على شرحها.
٥. يذكر أهم أغراض الشعر والنثر في العصر الأموي.
٦. يحدد خصائص الشعر والنثر في العصر الأموي.

الدرس الأول

تمهيد: الأدب العربي في العصر الأموي

يبتدئ العصر الأموي بخلافة معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة (٤١هـ) بعد تنازل الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا له عن الخلافة، وينتهي بمقتل مروان بن محمد آخر خلفاء بني أميّة سنة (١٣٢هـ) وقيام الدولة العباسية.

وقد عُنيَ الأمويون بالأدب واللغة في هذا العصر، إذ أدركوا أن هذا الأمر هو الحلُّ للحفاظ على اللغة العربية لغة القرآن الكريم، تلك اللغة التي شابها اللّحن؛ نتيجة لكثرة الفتوحات واختلاط العرب بالأعاجم، فصار لزامًا العناية بها وبفنونها من شعر ونثر، وتعليمها للشعوب الداخلة في الإسلام حديثًا؛ ولا ريب فهي المفتاح إلى الدخول في الإسلام؛ إذ لا يجوز قراءة القرآن الكريم إلا باللغة العربية، وهي الأداة لتفسير كتاب الله عز وجل وأحاديث نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللذان هما مصدرا الشريعة الإسلامية.

تطور مفهوم الأدب في العصر الأمويّ:

أخذت كلمة (أدب) في عصر بني أمية معنى تهذيب السلوك الذي دلت عليه كلمة (أدب) في عهد النبوة، لكن اتسع هذا المعنى التربوي التهذيبي، فأصبح معنىً تربويًّا تعليميًا تثقيفيًا وتهذيبيًا، فقد ظهرت في العهد الأموي شخصية (المؤدب)، وهو المعلم أو الأستاذ، الذي كان يختاره الخلفاء والأمراء ومَن في حكمهم لتعليم أبنائهم وتهذيبهم، وكان ذلك التعليم شاملاً لكل علوم العصر بلا استثناء.

وظل معنى (التثقيف) مفهومًا من كلمة التأديب في هذا العصر، حتى أطلق على طائفة من ممتازي الأساتذة اسم (المؤدبين)، وهم القائمون بأمور التعليم على النحو المعروف أيام بني أمية، وهو التعليم بطريق الرواية للشعر والأخبار وما يتصل بالعصر الجاهلي.

وصارت كلمة (أدب) تدل منذ العصر الأموي على هذا النوع من الثقافة، وأتاح هذا الاستعمال الجديد لكلمة (الأدب) أن تصبح مقابلة لكلمة (العلم) الذي كان يطلق حينئذٍ على الشريعة الإسلامية وما يتصل بها من دراسة الفقه والحديث النبوي وتفسير القرآن الكريم.

الدَرس الثاني:
أقسَامُ الأدَبِ في العَصرِ الأموي
الشعر في العصر الأموي

اتجاهاته وأغراضه

بعد أن خَفت أصوات الشعراء في مطلع العصر الإسلامي عاد خلفاء بني أمية فشجعوا الشعر والشعراء، وقربوهم في مجالسهم، وبذلوا لهم العطايا، واستعملوا الشعراء أداة للدفاع عن دولتهم، فانتعش نتيجة لذلك الشعر السياسي، كما ظهرت أغراض أخرى نتيجة للتعصب القبلي أبرزها الفخر بالأنساب والأحساب، وانتشر لون من ألوان الهجاء سُمّيَ بالنقائض، كان من أبرز رواده (جرير) و(الفرزدق)، كما كان للحروب والفتوح الإسلامية أثر في بروز شعر الوصف وشعر الحنين إلى الوطن؛ لابتعاد هؤلاء الفاتحين عن بلادهم.

وقد اتخذ الشعر في هذا العصر سمات تنسجم مع التغيرات السياسية والاجتماعية التي عمّت البلاد في عصر الأمويين، فانحسر الطابع البدوي الذي كان سائدًا في القصيدة الجاهلية، وتخلّص بعض الشعراء من قيود مقدمات القصائد الجاهلية ولا سيما البكاء على الأطلال، كما خضعت الألفاظ للتطور انسجاماً مع الواقع الاجتماعي والسياسي الجديد.

وتركت الحياة الاقتصادية المُترفة أثراً في توجيه أغراض الشعر؛ إذ نشأت طبقة من المُترَفين كرست نفسها للغناء والموسيقى فنما بينها الغزل غير العفيف الذي كان يدور على ألسنة الموالي والجواري ولا سيما في المدن، مما أدى إلى الخروج عن القيم الإيجابية التي كانت سائدة قبل هذا العصر.

ومن جانب آخر اتخذت طائفة أخرى مسلكًا آخر في الغزل مبتعدة عن الغزل غير العفيف وملتزمة بنوع من أنواع الغزل العفيف الذي انتشر في البادية سُمّي بـ(الغزل العُذري)؛ نسبة إلى قبيلة بني عُذرة التي اشتهر شعراؤها بهذا النوع من

الغزل العفيف الذي يتناول المرأة بصورة مثالية وسامية، متناسبة مع التقاليد العربية المحافظة والتعاليم الإسلامية الحميدة.

الغزل العذري: مأخوذ من قبيلة عُذرة، وهي قبيلة من اليمن تُدعى قبيلة عُذرة، يعود نسبها إلى قضاعة، وهذه القبيلة قد كفّت نفسها عن الشّهوات، وقد كانت هذه القبيلة معروفة بالعشق والعفّة، ومن شعرائها عروة بن حزام صاحب عفراء الذي يعدّ أوّل رائدٍ من روّاد الغزل العذري، وإليهم ينسب الغزل العذري.

٢ خصائصه الفنية

يمكن أن نلخص خصائص الشعر في العصر الأموي بما يأتي:

١ تنوعت أغراضه وتوسعت فظهرت فيه أغراض جديدة فرضها الواقع السياسي والاجتماعي الجديد كالشعر السياسي، والنقائض، وشعر الفتوح والدعوة الإسلامية، وشعر الحنين إلى الوطن، والغزل العذري وغير العذري، فضلًا عن الأغراض القديمة كالمدح، والرثاء، والوصف، والحكمة.

٢ ابتعد بعض شعراء الغزل عن بناء القصيدة التقليدي الذي كان يبدأ بالبكاء على الأطلال ثم الغزل ثم الدخول في الغرض الرئيس للقصيدة.

٣ تطورت لغة الشعر وألفاظه نتيجة لتغير الحياة الاجتماعية والسياسية وظهور ألفاظ مستحدثة تتناسب مع الواقع الجديد، فتميزت تلك الألفاظ بالجزالة والقوة في الفخر والهجاء، وبالسهولة والعذوبة والرقة عمومًا ولا سيّما في الغزل، إلّا في شعر الرجز، فقد كان خشن الألفاظ غريبها.

٤ ظل الخيال مُستَمدًّا من البيئة العربية مع تأثر الشعراء بالقيم الإسلامية.

٥ لم يظهر أي تجديد في القالب الشعري؛ إذ ظلَّ الشعراء ملتزمين بالوزن الواحد والقافية الموحدة في القصيدة كما كانت في عصر صدر الإسلام والعصر الجاهلي.

وتلك كانت أبرز الخصائص والأغراض التي انماز بها الشعر في العصر الأموي، ومعظمها امتداد وتطور لما سبق من أغراض العصرين السابقين، إلا أن أهم الأغراض التي احتلت حيّزاً واسعاً في هذا العصر هي: الشعر السياسي، وشعر الفتوح والدعوة الإسلامية، وشعر الحنين إلى الوطن، وشعر النقائض، والغزل.

الرجز: أحد بحور الشعر العربي، ومن صوره أن يجعل صدر البيت وعجزه على حرف واحد، وربما يكون لكل بيت في الأرجوزة في صدره وعجزه قافية مختلفة عن قوافي الأبيات الأخرى.

ونظم كثير من العلماء أراجيز في علومهم المختلفة مثل: (ألفية ابن مالك في النحو) و(طيبة النشر في القراءات العشر لابن الجزري).

نماذج من الأغراض في العصر الأموي

١ الشعر السياسي

يعد العصر الأموي عصر ازدهار للأدب السياسي؛ لكثرة الفرق والأحزاب واشتداد الصراع على السلطة واستمراره بينها، فكان لكل فئة شعراؤها الذائدون عنها، فالأمويون أصحاب السلطة كان في صفّهم ألسن الشعراء وأبلغهم، كالأخطل، والفرزدق، وجرير، والنابغة الشيباني، وعديّ بن الرقاع.

أما الخوارج فمن شعرائهم: عمران بن حطّان، وقطري بن الفجاءة، والطرمّاح بن حكيم، ومن شعراء الشيعة: الكميت الأسدي، وكُثَيِّر عزّة، ومن شعراء الزبيريين: عبد الله بن قيس الرقيّات.

ومن شعراء هذا الغرض: (جرير):

هو أبو حزرة بن عطية بن الخطفي التميمي اليربوعي: أحد فحول الشعراء الأمويين، وبلغاء المداحين الهجائين، وهو من بني يربوع أحد أحياء تميم، ولد باليمامة سنة ٤٢ هـ ونشأ بالبادية وفيها قال الشعر ونبغ، وكان يتردد إلى البصرة في طلب العطاء ومدح الكبراء، فما زال به بنو يربوع حتى أقدموه البصرة واتصل بالحجاج ومدحه فأكرمه ورفع منزلته عنده، فعظم أمره وشرّق شعره وغرّب حتى بلغ الخليفة عبد الملك، فأوفده الحجاج مع ابنه محمد إلى الخليفة بدمشق، فأكرمه وقرّبه، وكان في جرير على هجائه للناس عفة ودين وحسن خلق ورقة طبع. توفي باليمامة سنة ١١٠هـ، عن عمر يتجاوز الثمانين عاماً.

شعره:

فضَّل كثير من النقّاد جريراً على أقرانه من الشعراء، كالفرزدق والأخطل، وقد وصف شعره بعضهم مقارنة بشعر الفرزدق بأنّ جريرًا (يغرف من بحر والفرزدق ينحتُ من صخر)، وكان لجرير في كل باب من الشعر أبياتاً سائرة هي الغاية التي يضرب بها المثل فيقال أن أغزل شعر قالته العرب هو قوله:

إِنَّ العُيونَ الَّتي في طَرفِها حَوَرٌ قَتَلنَنا ثُمَّ لَم يُحيينَ قَتلانا
يَصرَعنَ ذا اللُبَّ حَتّى لا حِراكَ بِهِ وَهُنَّ أَضعَفُ خَلقِ اللَهِ أَركانا

وإن أمدح بيت قوله:

أَلَستُم خَيرَ مَن رَكِبَ المَطايا وَأَندى العالَمينَ بُطونَ راحِ

وإن أفخر بيت قوله:

إذا غَضِبَتْ عَلَيكَ بَنُو تَمِيمٍ حَسِبْتَ الناسَ كُلَّهُمُ غِضَابَا

وإن أهجى بيت مع التصون عن الفحش قوله:

فَغُضّ الطَرفَ إِنَّكَ مِن نُمَيرٍ فَلا كَعبًا بَلَغتَ وَلا كِلابا

وإن أصدق بيت قوله:

إِنّي لَأَرْجُو مِنْكَ خَيْرًا عَاجِلًا وَالنّفْسُ مُولَعَةٌ بِحُبِّ العَاجِلِ

وإن أشدَّ بيت تهكماً قوله:

زَعَمَ الفَرَزدَقُ أَن سَيَقتُلُ مَربَعاً أَبشِر بِطولِ سَلامَةٍ يا مَربَعُ

من قصيدة جرير أتصحو بل فؤادك غير صاح

النَّـصُّ:

تَعَـزَّت أُمُّ حَـــزرَةَ ثُمَّ قالَـــت رَأَيـتُ الوارِدينَ ذَوي اِمتِـــاحِ
تُعَلِّلُ وَهـــيَ ساغِبَـــةٌ بَنيهـــا بِأَنفاسٍ مِنَ الشَبِـــمِ القَـــراحِ
سَأَمتـــاحُ البُحـــورَ فَجَنِّبينـــي أَذاةَ اللَومِ وَاِنتَظِري اِمتِيـــاحي
ثِقـــي بِاللَهِ لَيسَ لَـــهُ شَريـــكٌ وَمِن عِندِ الخَليفَـــةِ بِالنَجـــاحِ
أَغِثنـــي يا فَـــداكَ أَبـــي وَأُمّـــي بِسَيبٍ مِنـــكَ إِنَّكَ ذو اِرتِيـــاحِ
فَإِنّـــي قَـــد رَأَيـــتُ عَلَـــيَّ حَقّـــاً زِيارَتِـــيَ الخَليفَـــةَ وَاِمتِـــداحي
سَأَشكُـــرُ أَن رَدَدتَ عَلَيَّ ريشـــي وَأَثبَتَّ القَـــوادِمَ فـــي جَناحـــي
أَلَستُم خَيـــرَ مَن رَكِبَ المَطايـــا وَأَنـــدى العالَميـــنَ بُطـــونَ راحِ
أَبَحـــتَ حِمى تِهامَـــةَ بَعدَ نَجـــدٍ وَمـــا شَـــيءٌ حَمَيـــتَ بِمُستَبـــاحِ
لَكُم شُمُّ الجِبـــالِ مِنَ الرَواســـي وَأَعظَـــمُ سَيلِ مُعتَلِجِ البِطـــاحِ
دَعَـــوتَ المُلحِديـــنَ أَبا خُبَيـــبٍ جِماحاً هَل شُفيتَ مِنَ الجِماحِ
فَما شَجَراتُ عيصِكَ في قُرَيشٍ بِعَشّاتِ الفُـــروعِ وَلا ضَواحِـــي
رَأى الناسُ البَصيرَةَ فَاستَقامُـــوا وَبَيَّنَتِ المِراضُ مِنَ الصِحَـــاحِ

للحفظ خمسة أبيات

معاني المفردات والتراكيب

المفردات	المعنى
الموردون	أصحاب الإبل يوردونها الماء.
الساغبة	الجائعة.
النفس من الماء	ما كان مرويًا كافيًا.
الشبم	البارد.
القراح	الصافي.
امتياحي	عطائي، يقال ماحه يميحه؛ بمعنى أعطاه.
الارتياح	التحرك للعطاء والهشاشة له.
القوادم	عشر الريشات التي في مقدم الجناح، وما فوق ذلك الخوافي.
اعتلاجه	كثرته وركوب بعضه بعضًا.
الجماح	العناد.
الملحد	المخالف، ومن هذا لحد القبر لأنه في ناحية.
العشَّات	الدقيقات.
الضواحي	البادية العيدان لا ورق عليها.

مناسبة القصيدة:

كان جرير يقيم في العراق فتقرّب إلى الحجّاج ومدحه فاستحسن الحجّاج مديحه، فأرسله إلى عبد الملك بن مروان ومعه خطاب إليه، وكان جريرٌ قد أعد هذه القصيدة، فلمّا أُذِنَ له بالدخول على عبد الملك أنشده هذه القصيدة فاستحسنها، فقال لمن حوله: من مدحنا منكم فليمدحنا بمثل هذا أو ليسكت. فأجزل لجرير العطاء وقرّبه منه وأكرمه.

الشرح والتحليل:

يبدأ الشاعر قصيدته بمقدمة يصف فيها ضعف حاله ومعاناته مع شظف العيش وقلة المُعين ولوم (أم حزرة) له، وأم حزرة هي إحدى زوجاته، ثم يطلب منها أن تكف عنه أذى لومها وتنتظر منه الخير الكثير؛ إذ إنّه سيقصد بني أمية الذين هم في كرمهم كالبحور، ثم يخرج من هذه المقدمة إلى مدح الخليفة عبد الملك بن مروان ويطلب منه العطاء، ثم لم يلبث أن أخذ يهاجم من ثار على عبد الملك مثل عمرو الأشدق بن سعيد بن العاص. ووقف عند عبد الله بن الزبير يصوّر فتنته وكيف قضى عليه عبد الملك، ثم مضى يمدح عبد الملك وأسرته وأنهم الجديرون من بين القرشيين بالخلافة، منوها بانقياد الأمة له واجتماعها تحت لوائه.

وجرير في هذه القصيدة ليس مادحًا فحسب، بل هو محام عن عبد الملك وحكمه، يدافع عن حقه في الخلافة، ويهاجم خصومه هجومًا عنيفًا، وقد أفنى بقية حياته يقرر في مدائحه لعبد الملك ومن خلفوه حقهم في الخلافة على الناس، وهو من هذه الناحية يعدّ شاعرًا سياسيًا بالمعنى التام، شاعرًا يدافع عن نظرية الأمويين في الحكم ويناضل عنهم وما انفك يسدّد سهامه إلى خصومهم، وهو في تضاعيف ذلك يحفّهم بإطار رائع من التقوى والعمل الصالح، مقررًا أن شيعتهم على الحق، وأن من يخالفهم من الشّيع أهل باطل وضلال وأهواء وبدع.

٢ شعر الفتوح والدعوة الإسلامية:

يعدُّ شعر الفتوح والدعوة الإسلامية في العصر الأموي امتدادًا لشعر الدعوة والفتح الإسلامي في عصر صدر الإسلام، فعلى الرغم من كثرة الفتن في العصر الأموي استمرت الفتوحات حتى وصلت إلى الصين شرقاً والأندلس وفرنسا غرباً، فكان في الجيوش الفاتحة كثير من الشعراء الفرسان، الذين صوروا تلك الفتوح في شعرهم تصويراً يصف إيمان الجندي المسلم وثباته في الحروب، والحث ونشر الحماسة بين الجنود وحثهم على الجهاد وقتال الأعداء، ولم تكن اشعارهم تخلو من حنينهم إلى أوطانهم التي فارقوها في سبيل نصرة الدين الإسلامي وإعلاء

راية الحق، كما اشتملت تلك الأشعار على رثاء الأبطال الذين استشهدوا في أرض المعركة تخليداً لبطولاتهم وتثميناً لتضحياتهم في سبيل الله.

ومن شعراء هذا الغرض: (الصمَّة الْقشيري):

هُوَ الصمَّة بن عبد الله بن الطُّفَيْل بن قُرَّة بن هُبَيْرَة بن عَامر بن سَلمَة الْخَيْر بن قُشَيْر يَنْتَهِي نسبه إِلَى نزار، شَاعِر اسلامي من شعراء الدولة الاموية، ولجدّه قرّة بن هبيرة صحبة بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، شعره قَلِيل اغلبه فِي الْغَزل وغزله عذب رَقِيق، نشأ في بادية نجد في قبيلة عُرِف فيها الشعر بكثرة، وفي ديار خصبة عمّتها خيرات الماء، قال الشعر في سنٍّ صغيرة، رحل عن دياره إلى الشام ومنها إلى بعض الثغور في طبرستان، شارك في حروب المسلمين ضد الديلم، ولم يزل يحنُّ إلى دياره ومرتع صباه حتى توفي في طبرستان قريباً من سنة (٩٥هـ).

من قصيدة الصمَّة الْقشيري في حنينه إلى دياره

النَّـصُّ:

أَقولُ لِصاحِبي وَالعيسُ تَهوي ... بِنا بَينَ المُنيفَةِ فَالضِمـارِ

تَمَتَّع مِن شَميمِ عَرارِ نَجـدٍ ... فَما بَعدَ العَشيَّةِ مِن عَـرارِ

أَلا يا حَبَّـذا نَفَحـاتُ نَجـدٍ ... وَرَيّا رَوضِهِ بَعْـدَ القِطـارِ

وَأَهلُكَ إِذ يَحِلُّ الـقَوْمُ نَجـدًا ... وَأَنتَ عَلى زَمانِكَ غَيـرُ زارِ

شُهورٌ يَنقَضينَ وَمَا شَعَرْنَـا ... بِـأَنصـافٍ لَهُـنَّ وَلا سَـرارِ

فَأَمّـا لَيلُهُـنَّ فَخَيـرُ لَـيـلٍ ... وَأَطـوَلُ ما يَكونُ مِنَ النَهـارِ

أَيِسْتُ مِنَ الحَيَاةِ وَطَالَ حُزْنِي ... فَقَـلْبِي مُوجَعٌ والدّمـعُ جـارِ

للحفظ ثلاثة أبيات

معاني المفردات والتراكيب

المفردات	المعنى
العيس	الإبل البيض التي يخالط بياضها شيء من الشقرة.
المنيفة فالضمار	المنيفة ماء لبني تميم، والضمار اسم موضع.
تمتع من شميم عرار نجد	تمتع من طيب رائحة عرار نجد، والعرار: وردة ناعمة صفراء.
النفحات	النسيم الطيب الرائحة.
ريا روضه	ارتواء روضه.
القطار	جمع قطر، وهو المطر.
زار	زرى عليه عابه وانتقص منه.
سرار	سرار الشهر آخره.

الشرح والتحليل:

يصور الشاعر حنينه إلى وطنه بأسلوب محادثة بينه وبين رفيق له، إذ تسير بهم النوق سيراً سريعاً عبّرَ عنه الشاعر بلفظة (تهوي) بدلاً من (تسير) فكأنها من سرعتها تنحدر انحداراً، ثم يمضي الشاعر في حديثه مع صاحبه فيطلب منه التمتع بعطر زهور نجد فهما راحلان إلى بلاد ليس فيها من زهر نجد، فخصَّ من ذلك الزهر (العرار) الذي ينمو هناك بكثرة.

ثم يبدأ الشاعر بالحديث عن ذكرياته وطيب أوقاته في دياره نجد، فيذكر تفاصيلاً دقيقة تعلق في ذهن المغترب عن بلاده، فتهيج أشجانه كلما مرّت منها ذكرى في خاطره، فتراه يصف طيب رائحة بلاده بعد سقوط المطر، ثم يكيل المدح للزمان الذي كان فيه أهلُه يحلّون في نجد، ذلك الزمان الذي كانت شهوره تمرُّ بسرعة في ليلها ونهارها؛ لطيب أوقاتها ولذة العيش فيها.

ثم يختم الشاعر قصيدته بإظهار لوعته وشدّة حزنه على مفارقته لدياره، فهو لا يرى السعادة والهناء إلا فيها، وهذا حال كل مغتربٍ عن الأهل والوطن فهو لا يشعر بطيب العيش إلا بين أهله.

٣ النقائض:

النقائض هي قصائد ينقض بعضها بعضاً، وذلك بأن يقول شاعر قصيدة يفتخر فيها بنفسه وقومه ويُعرِّضُ بشاعرٍ آخر فيهجوه ويسخر منه ومن قبيلته، فيجيبه ذلك الشاعر بقصيدة -على وزنها وقافيتها في الغالب - ناقضاً ما جاء به الشاعر الأول من معان وصور، مفتخراً بقومه وهاجياً من عرّضَ به.

وقد عُرِفت النقائض في العصر الجاهلي، ثم توسع فيها شعراء مكة والمدينة قبل فتح مكة، وفي العصر الأموي ازدهر شعر النقائض؛ لوجود مسرح دائم للشعر وهو سوق (المِربَد) في البصرة، الذي اتخذه شعراء النقائض منبراً لإلقاء قصائدهم، ويجد الشاعر في جمهور ذلك السوق خير معين له على التشهير بخصمه، وقد تحولت قصائد النقائض بشعرائها وجمهورها إلى نوع من أنواع التسلية في ذلك السوق الذي تحتشد فيه جموع غفيرة من القبائل العربية.

ولم يكن لتلك النقائض أدنى أثر في علاقة المتباريين وما قد يكون بينهما من صداقة، وليس أدلّ على ذلك من رثاء جرير للفرزدق بقصيدة جيدة نسب إليه فيها خير الصفات — وهما قطبا هذا اللون من الشعر- ثم وصف فقده بقوله:

لَعَمرِي لقد أشجى تميمًا وهدّها على نَكباتِ الدّهرِ موتُ الفرزدقِ

ومن أشهر شعراء النقائض في العصر الأموي: جرير، والفرزدق، والأخطل، والبعيث المُجاشعي، والراعي النميري.

وأشهر نقائض عُرِفت في العصر الأموي تلك التي كانت بين جرير والفرزدق، فقد استمرت النقائض بينهما خمسة وأربعين عاماً، وفيما يأتي إنموذج لإحدى نقائضهم مع تعريف بالشاعر الفرزدق، أما جرير فقد سبق التعريف به.

الفرزدق:

هو أبو فراس همّام بن غالب بن صعصعة، بن مُجاشع بن دارم التميمي، ومعنى (الفرزدق) هو الرغيف الذي يسقط من التنور، وقد غلب عليه لقبٌ الفرزدق؛ لِغلظ وجهه وشبهه بالرغيف.

وِلِدَ عام (٢٠هـ) في بيت يكتنفه الشرف من كل جانب، فأبوه غالب كان أحد أجواد العرب، وعُرِف جدّه صعصعة بأنّه محيي الموؤدات في الجاهلية، قيل: إنّه كان يشتري البنات ويمنع وأدَهُنَّ.

ولد في البصرة، ونشأ نشأة بدوية فكان لذلك أثراً واضحاً في جفاء طباعه وقوة شكيمته، وقد نظم الشعر في الخامسة عشرة من عمره، واشتهر بمهاجاته جريراً والأخطل، فيما سُمّي بشعر النقائض، وقد توفي الفرزدق سنة (١١٤هـ) في بادية البصرة.

وفيما يأتي أبيات أبياتٌ من نقيضة له يفخر فيها على جرير وقومه ويهجوهم:

النَّـصُ:

إنَّ الذي سَمَكَ السَّماءَ بَنى لنا ... بيتاً دعائمُهُ أعـزُّ وأطـولُ

بيتاً بناهُ لنا المليكُ، وما بَنى ... حَكَمُ السَّماءِ فإنَّهُ لا يُنقَلُ

بيتاً زُرارةُ مُحتَبٍ بفنائهِ ... ومُجاشِعٌ وأبو الفوارسِ نَهشَلُ

لا يحتَبي بفناءِ بيتِكَ مِثلُهُمْ ... أبَداً إذا عُدَّ الفَعالُ الأفضلُ

ضَرَبَتْ عليكَ العنكبوتُ بِنَسجِها ... وقَضَى عليكَ بِهِ الكِتابُ المُنزَلُ

إنَّ الزِّحامَ لغيرِكُمْ فَتَحيَّنوا ... وِرْدَ العَشِيِّ إليهِ يصفو المَنهَلُ

أحلامُنا تَزِنُ الجِبالَ رَزانَةً ... وتخالُنا جِنّاً إذا ما نَجهَلُ

فَادفَعْ بكَفِّكَ إن أردتَ بِناءَنا ... ثَهلانَ ذا الهضباتِ هَلْ يتَحلحَلُ؟

للدرس فحسب

معاني المفردات والتراكيب

المفردات	المعنى
سَمَكَ السَّماءَ	رَفَعها
الدعائم	الأعمِدة التي يقوم عليها البيت
زرارة ومُجاشع ونهشل	أجداد الفرزدق
مُحتَبٍ	هو أن يجمع الرَّجل ساقيه إلى بطنه في جلوسه
الفَعالُ	الفعلُ الحميدُ العظيم
ضَرَبَتْ	بَنَتْ
المنهل	موردُ الماء
لغيركم	يريد الأقوياء لا أنتم
فتحيَّنوا	انتظروا
ورد العشي	إتيان الماء ليلاً
أحلامنا	عقولنا
تزن الجبال	تعدلها وتساويها ثباتاً ورسوخاً
إذا ما نجهل	إذا ما حملنا أحد على الغضب
ثهلان	جبلٌ عظيمٌ بنجد

الشرح والتحليل:

يفخر الفرزدق على جرير بأنّ الله الذي رفعَ السَّماء هو الذي بنى مجد قومه من العزة والجاه والحكم، فجاء هذا البناء عالياً منيعاً، قوي الدعائم، طويلُ العمد، وهو شرفٌ ثابت لهم لا ينقطع، وهذا الشَّرف قد بناه الله عَزَّوَجَلَّ وما يبنيه الله لا يحلحله أحد. وقد حمل هذا الشّرف سادة عظماء هم: زرارة ومجاشع ونهشل، وهم آباء الفرزدق.

ثم يقول الشاعر: ليس في آبائك يا جرير من كان مثلهم مهابة وكرماً، أو من

يدانيهم إذا عُدّت الأفعال الفاضلة، أو تذاكر الناس المعروف والفضائل، فأنت يا جرير من بيت ضعيف مغمور، كأنما نسجت عليه العنكبوت بيتاً لا قيمة له.

ثم يمضي الفرزدق في هجاء قوم جرير فيصورهم بأنهم من ضعفهم لا يردون الماء إلا مساءً حين يزول الزحام، فهم ليست لديهم القوة والجرأة لمنافسة ومزاحمة غيرهم.

واستمر الفرزدق في فخره بقومه، فوصفهم بأن لهم من رجاحة العقل ما يجعلهم كالجبال ثباتاً واتّزاناً، أما إذا حملهم أحدٌ على الغضب تراهم كالجنِّ لا قِبلَ لقوم بهم، ولا قدرة لأحد عليهم.

ثم يختم قصيدته باستهانته من جرير ومحاولة انتقاصه من قومه ويطلب منه أن يدفع بناء مجد قومه ما شاء، فهو بناء ثابت لا يتزحزح كجبل ثهلان.

وشعر الفرزدق يمتاز بجزالة الأسلوب، وقوة التراكيب، وانتقاء الألفاظ، والجرس الموسيقي المؤثر، وتوليد المعاني في الفخر، وهو في هذا الفن متميز عن غيره من الشعراء، وقد ساعده في ذلك ظروفه وبيئته التي عاش فيها، ونسبه العريق في قومه.

ولمّا بلغت هذه القصيدة جريرًا نقضها بقصيدة على وزنها وقافيتها، هاك أبياتاً منها:

النَّـصُّ:

للدرس فحسب

أَعـدَدتُ لِلشُعَـراءِ سُمّـاً ناقِعـاً ... فَسَقَيـتُ آخِـرَهُم بِكَـأسِ الأَوَّلِ

لَمّا وَضَعتُ عَلى الفَرَزدَقِ مَيسَمـي ... وَضَغا البَعيثُ جَدَعتُ أَنفَ الأَخطَلِ

أَخزى الَّذي سَمَكَ السَماءَ مُجاشِعاً ... وَبَنى بِناءَكَ في الحَضيضِ الأَسفَلِ

وَلَقَـد بَنَيـتَ أَخَسَّ بَيـتٍ يُبتَنى ... فَهَدَمـتُ بَيتَكُـمُ بِمِثلَي يَذبُـلِ

إِنّي اِنصَبَبتُ مِنَ السَمـاءِ عَلَيكُـمُ ... حَتّى اِختَطَفتُـكَ يا فَـرَزدَقُ مِن عَلِ

أَحلامُنـا تَزِنُ الجِبـالَ رَزانَـةً ... وَيَفـوقُ جاهِلُنـا فَعالَ الجُهَّـلِ

أَبلِغ بَني وَقبـانَ أَنَّ حُلومَهُـم ... خَفَّـت فَمـا يَزِنونَ حَبَّـةَ خَـردَلِ

إِنَّ الَّذي سَمَـكَ السَمـاءَ بَنى لَنا ... بَيتاً عَـلاكَ فَمـا لَـهُ مِن مَنقَـلِ

معاني المفردات والتراكيب

المفردات	المعنى
ناقعاً	قاتلًا
الميسم	المكواة التي توسم بها الدواب
ضغا	انكمش وذل
البغيث	اسم شاعر من قوم الفرزدق
جدع الأنف	قطعه
مجاشع	أحد أجداد الفرزدق
الحضيض	المكان المُنخَفِض
يَذبُل	جبل بنجد
وقبان	: لقب لبني مجاشع
حلومهم	جمع حلم؛ وهو العقلُ والرزانة
مَنقَلِ	تحوّل وانتقال

الشرح والتحليل:

في هذه الأبيات ينقض جرير قصيدة الفرزدق السابقة، ويهجوه منددًا بعشيرته ومجدها، ويجردها من المكارم التي نسبها إليها الفرزدق، وعلى الرغم من أن الفرزدق من بيت عز وشرف إلا أن موهبة جرير الشعرية وحضور بديهته وجزالة ألفاظه وسهولتها ساعدته على أن يقف ندّا له وغيره من الشعراء، إذ ورد أنَّ جريراً ناقض وحده ثمانين شاعراً، وانتصر عليهم جميعاً، ولم يثبت أمامه إلا اثنان فقط هما الفرزدق والأخطل.

ولأنَّه ينحدر من أسرة متوسطة الجاه والثروة والنسب تراه يعتمد على موهبته الشعرية في ردّه على الشعراء، فهو يصرّح في مُستَهلِّ قصيدته بأنّه قد أعدّ للشعراء الذين يهجونه شعراً لاذعاً مثل السُّم القاتل، فأخرستُ آخرهم به كما أخرستُ أوّلهم وأفحمته.

ثم يشرع جريرٌ بهجاء الفرزدق فيقول: إني حين سلطت شعري على الفرزدق، كان وقعه عليه وقع الميسم على الدابة حين تكوى به، فَذُلَّ لذلك البغيثُ والأخطل رعباً.

ثم ينقض جريرٌ ادّعاء الفرزدق بأنَّ الله قد بنى له ولقومه بيتاً عزيزاً طويلاً، ويرد عليه بأنَّ الله قد أخزى بيت الفرزدق وأذلّه إذ بناه في الحضيض.

ثم يدّعي أنه قد هدم ما نسب الفرزدق من مجد إلى نفسه، واصفاً بيت الفرزدق بأنّه أخسّ بيت على الأرض، وأنّه قد هدمه بعزٍّ شامخٍ يعادل مِثلَي جبل يذبل.

ثم يستطردُ جريرٌ مصوراً نفسه بالطائر الجارح فيقول: انقضضت عليكم يا فرزدق كما ينقض الطائر الجارح على فريسته، واختطفتك دون غيرك من الشعراء لتكون عبرة لهم.

ويعود مفتخراً بنفسه وقومه فيقول إنَّ عقولنا في ثباتها ورزانتها مثل الجبال، أما إذا غضب أحدنا فلا يدانيه أحد في الغضب.

ثم يستهزئ بقوم الفرزدق ويسفه عقولهم قائلاً: أخبر قومك (بني وقبان) بأنَّ عقولهم خفيفة خالية من الرزانة والحكمة وهي أخف من حبَّة الخردل.

ونراه يعود مفاخراً فيدّعي أنَّ الله الذي رفع السّماء أعطاه وقومه شرفاً ومجداً ثابتاً أعلى من شرف ومجد الفرزدق وقومه.

المناقشـــة

١ لِمَ يعد العصر الأموي عصر ازدهار للشعر السياسي؟

٢ مَنْ أبرز شعراء الفرق المتناحرة في العصر الأموي؟

٣ مَنِ الشاعر جرير؟

٤ ما الدليل على شاعرية جرير؟

٥ قيل: (جريرٌ يغرف من بحر والفرزدق ينحت من صخر) ناقش هذا القول مع الأدلة.

٦ كيف تدرج جرير في قصيدته حتى وصل إلى غرضه المنشود؟ وهل ترى له لمسة تجديدية في بناء القصيدة؟

٧ (لا يمكن أن نعد جريرًا في قصيدته من شعراء المديح) ناقش هذه العبارة.

٨ لِمَ انتعش شعر الفتوح والدعوة الإسلامية في العصر الأموي؟

٩ ما المعاني التي اشتمل عليها شعر الفتوح والدعوة الإسلامية؟

١٠ من هو الشاعر الصمّة القشيري، وأين نشأ؟

١١ إلى أين رحل الشاعر؟ ومتى وأين توفي؟

١٢ كيف صور الشاعر حنينه إلى وطنه؟

١٣ كيف ختم الشاعرُ قصيدته؟

١٤ لِم خصَّ الشاعر ذكر زهر العرار في قصيدته؟

١٥ ماذا تعني كلمة (فرزدق)؟

المناقشـــة

١٦ أين ولِدَ الفرزدق؟ وكيف نشأ؟

١٧ بِمَ افتخر الفرزدق في قصيدته؟

١٨ ما أشهر الصفات التي هجا بها جريراً؟

١٩ برع الفرزدق في الفخر، علل ذلك.

٢٠ ماذا يقصد جريرٌ بالسم الناقع؟ وما معنى قوله (سقيت آخرهم بكأس الأول)؟

٢١ كيف نقض جريرٌ ما نسب الفرزدق له ولقومه من مكارم؟

٢٢ بِمَ شبّه جرير نفسه في البيت الخامس؟

٢٣ من هم الشعراء الذين ذكرهم جرير في نقيضته؟

٢٤ اختر الإجابة الصحيحة من بين الأقواس فيما يأتي:

- فاخر جريرٌ (بعشيرته، بشعره، بماله).
- كلمة الحِلم تعني (رجاحة العقل، الفطنة، الكِبَر).
- كلمة (ضغا) تعني (اعترض، انتفض، انكمش).

٢٥ في رأيك لمن كانت الغلبة في هاتين النقيضتين؟ اذكر أسباب ترجيحك أحد الشاعرين على الآخر.

الدَرس الثالث:
أقسَامُ الأدَبِ في العَصرِ الأموي
النثر في العصر الأموي

تطور النثر في العصر الأموي وتعددت أغراضه تبعاً لتطور العقلية العربية والإسلامية، وتوسع مجالاته والحاجة إليه، فالخطب تعددت أنواعها، والرسائل اشتملت في بعض صورها على الجدل، واعتمدت على الإقناع وبسط الكلام.

وبجانب هذين الغرضين الرئيسين كانت محاضرات الوعّاظ التي تطول ويصعبُ حفظها، فقد كان الحسن البصري وغيره يجلسون للوعظ في المساجد فيتدفق الكلام من أفواههم ارتجالاً بأسلوب يخلب الألباب.

وإلى جانب ذلك كانت المناظرات التي انتشرت في هذا العصر؛ بسبب كثرة الملل والفرق آنذاك، كالمناظرات التي كانت تُعقد بين المعتزلة والقدرية والمُرجئة والخوارج، ومن أهم أنواع النثر في العصر الأموي: الخطب، والرسائل.

أسباب ازدهار النثر في العصر الأموي:

يمكن أن نجمل الأسباب التي جعلت نثر هذا العهد قوي العبارة جزل الأسلوب، شديد الأسر، فخم المظهر، لا تخونه روعة الأداء، ولا تتخلف عنه نضارة البلاغة، فيما يأتي:

١ قامت دولة بني أمية بحد السنان، وقوة البيان، وهذا البيان أفاد النثر تهذيبًا وصقلاً، وعاد عليه بكثير من الجودة وحسن البهاء، وصفاء الرونق.

٢ استفاد القوم من بلاغة القرآن، وروعة بيانه، وسمو أسلوبه، ومن أحاديث رسول الله في تهذيب منطقهم، وتطور أساليبهم، أكثر مما استفاد أسلافهم، ومن هنا طبع نثرهم بطابع القوة التي رأوا بروقها، واستشقوا عبيرها، من كلام رب العالمين.

٣ وقد استجد للأمة من مظاهر الملك، وانفسح لديها من آفاق الحياة، وتهيأ لها من عوامل النمو والتطور، ما يدعو إلى تهذيب اللغة ورقي الأساليب.

٤ رأى خلفاء بني أمية أن الناس قد يداخلهم الحنق على هذا السلطان ويتردد في نفوسهم التمرد من أجل ذلك الملك فأرادوا أن يصرفوهم عن مثل هذه الأفكار برواية ما ترك العرب من شعر ونثر، بعد أن كادت الحروب والغزوات والانصراف إلى الدين الجديد تقطع ما بينهم وبين ذلك من الصلات.

٥ وكان لابد أن يكون لاختلاط العرب بغيرهم، وامتزاج الثقافات، واتصال المعارف أثر قوي في تهذيب ألفاظهم، وترتيب أفكارهم، وصقل مداركهم.

ومن هنا رأينا نثرًا لا يعتمد على الفكرة الطارئة، ولا اللمحة العارضة، ولا الخاطر العابر، إنما يعتمد على تسلسل الأفكار، وقوة الحجة واتزان المنطق.

هذه هي العوامل التي أثرت في النثر الأدبي، وجعلته مشرق الصفحة، قوي الديباجة، لامع الرونق، ولما كان مظهره إذ ذاك ينحصر في الخطابة والكتابة، آثرنا أن نتكلم على كل نوع منه على حدة.

الخطابة في العصر الأموي

ازدهرت الخطابة في هذا العصر بعد أن تهيأ لها أسباب الازدهار فحركة الفتوح أثارت في نفوس المقاتلين أسباب التضحية وأذكت روح الإيمان والجهاد بعد اعتماد القادة والولاة في فتوحاتهم هذه الخطابة في بث الحماسة والحمية ودفع الجنود إلى القتال في سبيل الله والاستشهاد من أجل نشر الرسالة الإسلامية، بعد أن دأب القادة على مخاطبة جنودهم قبل المعارك أو في أثنائها ليلهبوا مشاعر الجهاد فيهم، وقد عملت هذه الخطب عملها في تحقيق كثير من الانتصارات وقد أثار التنافس الحاد بين الفئات والدفاع عن الحقوق المشروعة وانبثاق المناظرات؛ بسبب المناقشات الطويلة بشأن فكرة القدر وإرادة الإنسان ومدى حريته موجةً من الاهتمام بالدواعي الموجبة لهذا الازدهار.

أنواع الخطابة في العصر الأموي

١ الخطابة الدينية

وهي تشمل خطب الجمعة والعيدين، ومادتها الوعظ والإرشاد وتبيين أمور الدين، وقد تعمدُ إلى الترغيب والترهيب، أمّا أسلوبها فواضح بعيد عن الكلمات الغريبة؛ لأن المخاطبين هم من طبقات مختلفة من الناس، ويقوم بها في مركز الخلافة.

وهي تشمل خطب الجمعة والعيدين، ومادتها الوعظ والإرشاد وتبيين أمور الدين، وقد تعمدُ إلى الترغيب والترهيب، أمّا أسلوبها فواضح بعيد عن الكلمات الغريبة؛ لأن المخاطبين هم من طبقات مختلفة من الناس، ويقوم بها في مركز الخلافة الخليفة، وفي الولايات الولاة، وهناك خطباء اشتهروا بخطبهم الدينية من غير الخلفاء والولاة، من أولئك عبد الله بن عمرو بن العاص، وسعيد بن المسيب، ومالك بن دينار، وإياس بن معاوية قاضي البصرة، والحسن البصري.

٢ الخطب السياسية

وهدفها إقناع المسلمين برأي سياسي يستحسن به الناس الحكم القائم، أو يقوم على أساسه حكم جديد، وأسلوبها أقوى من أسلوب الخطب الدينية، وقد يشتمل على الكلمات الغريبة، وقد ساعد على ظهور وانتعاش هذا النوع من الخطب كثرة الأحزاب والفرق في العصر الأموي، فكل فريق له خطباؤه الذين يمثلونه ويعرضون آراءه.

ومن أشهر خطباء السياسة: معاوية بن أبي سفيان، والحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وعبد الملك بن مروان، وزياد بن أبيه، والحجّاج بن يوسف، وقطري بن الفجاءة، وعمران بن حطان.

٣ خطابة الوفود

ويقصد بها الوفود التي تفد على الخليفة إما لتهنئة أو تعزية أو تأييد رأي سياسي، ومن أشهر خطباء الوفود: سحبان الوائلي، خطيب بني وائل، والأحنف بن

قيس خطيب بني تميم، ولكلٍّ منهما أسلوبه في الخطابة؛ فخطب سحبان مطولة مبسوطة، أما خطب الأحنف فمختصرة موجزة.

٤ خطب الحروب والحث على القتال

وهي خطب قادة الجيوش في جيوشهم، يستنهضون فيها هممهم ويحثونهم على الصبر عند اللقاء، وأسلوب هذه الخطب حماسي قصير في الغالب، ومن أشهر خطباء هذا النوع من الخطابة: قتيبة بن مسلم الباهلي، وطارق بن زياد.

الخصائص الفنية للخطابة

١ استهلالها غالباً بحمد الله وتمجيده، والصلاة والسلام على رسوله الكريم.

٢ تجميلها بالاقتباس من آيات القرآن الكريم، واستمدادها من معانيه وصوره وطرق التعبير فيه.

٣ تضمينها بعض الحكم والأمثال.

٤ مراعاة الجرس الموسيقي بقصر الفقرات، والتنويع في الأسلوب.

نموذج من الخطابة في العصر الأموي

من خطب الوفود: خطبة الأحنف بن قيس

التعريف بالخطيب:

هو أبو بحر الضحاك بن قيس سيد بني تميم، والمضروب به المثل في الحلم، قيل له الأحنف؛ لأنه كان أحنف الرجلِ؛ أي: مائلها، وهو من سادات التابعين؛ أدرك عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يصحبه؛ وشهد بعض فتوح خراسان في زمن عمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ وشهد مع علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقعة صفين؛ ولم يشهد وقعة الجمل مع أحد الفريقين، كان من أبلغ الناس في عصره وأتقاهم وأحلمهم مع المقدرة، فمما ورد عن حلمه أنَّ رجلاً شتمه، فَلَمَّا فَرَغَ، قَالَ الْأَحْنَفُ: سَتَرَ اللَّهُ الْأَكْثَرَ.

ويروى أيضاً أنَّ سفيهًا قال له: لَئِنْ قُلْتَ وَاحِدَةً لَتَسْمَعَنَّ عَشْرًا، قَالَ الْأَحْنَفُ: لَكِنَّك لَوْ قُلْتَ عَشْرًا لَا تَسْمَعُ وَاحِدَةً.

ساد قومه بخُلقه وفطنته لا بماله ونسبه، قَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ التميمي: سَأَلَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، كَيْفَ سَادَكُم الْأَحْنَفُ وَلَيْسَ بِأَشْرَفِكُمْ، وَلَا أَكْثَرِكُمْ مَالًا؟ قُلْتُ: إِنْ شِئْتَ فِي ثَلَاثٍ، وَإِنْ شِئْتَ فِي خَصْلَتَيْنِ، وَإِنْ شِئْتَ فِي وَاحِدَةٍ. قَالَ: فِي ثَلَاثٍ، قُلْتُ: كَانَ لَا يَحْسُدُ، وَلَا يَحْرِصُ، وَلَا يَدْفَعُ الْحَقَّ إِذَا وَجَبَ. قَالَ: فِي ثِنْتَيْنِ، قُلْتُ: كَانَ يُلْقِي الْخَيْرَ، وَيُوَقِّي الشَّرَّ. قَالَ: فِي وَاحِدَةٍ، قُلْتُ: لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ لَهُ مِنَ السُّلْطَانِ عَلَى نَفْسِهِ مَا كَانَ لَهُ عَلَى نَفْسِهِ.

عاش الأحنف إلى زمن تولّي مصعب بن الزبير الكوفة؛ فخرج معه إليها؛ فمات بها رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ٦٧هـ.

النَّـصُّ:

دَخَلَ الأَحْنَفُ بنَ قَيْسٍ عَلَى مَعَاوِيَةَ وَافِدًا لِأَهْلِ البَصْرَةِ، فَقَالَ: "يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِيْنَ، أَهْلُ البَصْرَةِ عَدَدٌ يَسِيْرٌ، وَعَظْمٌ كَسِيْرٌ، مَعَ تَتَابُعٍ مِنَ المُحُوْلِ، واتِّصَالٍ مِنَ الذُّحُوْلِ؛ فَالْمُكْثِرُ فِيْهَا قَدْ أَطْرَقَ، وَالمُقِلُّ قَدْ أَمْلَقَ، وَبَلَغَ مِنْهُ المَخْنَقَ، فَإِنْ رَأَى أَمِيْرُ المُؤْمِنِيْنَ أَنْ يَنْعِشَ الفَقِيْرَ، وَيَجْبُرَ الكَسِيْرَ، وَيُسَهِّلَ العَسِيْرَ، وَيَصْفَحَ عَنِ الذُّحُوْلِ، وَيُدَاوِيَ المُحُوْلِ، ويَأْمُرُ بِالعَطَاءِ، لِيَكْشِفَ البَلَاءَ، وَيُزِيْلَ اللَّأْوَاءَ، وَإِنَّ السَّيِّدَ مَنْ يَعُمُّ وَلَا يَخُصُّ، وَمَنْ يَدْعُو الجَفَلَى وَلَا يَدْعُو النقرى، إن أُحْسِنَ إِلَيْهِ شَكَرَ، وإِنْ أُسِيءَ إِلَيْهِ غَفَرَ، ثُمَّ يَكُوْنُ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ لِرَعِيَّتِهِ عِمَادًا، يَدْفَعُ عَنْهُمُ المُلِمَّاتِ، وَيَكْشِفُ عَنْهُمُ المُعْضِلَاتِ"

للدرس فحسب

معاني المفردات والتراكيب

المفردات	المعنى
المحول	جمع محل، وهو القحط والجدب.
الذحول	جمع ذحل، وهو الثأر.
أطرقَ	أمال رأسه إلى صدره وخفض بصره وسكت.
أملق	افتقر.
اللأواء	الشدة والضيق.
الجفلى	الدعوة العامة التي لا يخصُّ بها أحدًا.
النقرى	الدعوة الخاصة.

الشرح والتحليل:

يطلب الأحنف في خطبته المعونة من الخليفة لأهل مدينته البصرة، بعد أن أصابها ما أصابها من قحط وجدب، وما أصاب أهلها من فقر وإملاق من قلة المطر وسخط الدولة عليهم؛ فهم قد ناصروا عليّاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في معركة صفين، فهو يطلب منه الصفح عمّا كان منهم، وأن يجري لهم العطاء، ويزيل عنهم الشدة والبلاء، فهم رعيته، ولا يجوز التفريق في العطاء بين الرعية، فالسيد الذي يغفر إذا أُسيء إليه، ويكون لرعيته عوناً وسنداً.

كان أسلوب الأحنف في هذه الخطبة مختصراً، وعباراته قصيرة بليغة، تخللها سجع بلا تكلُّف، وقد أوجز فأنجز فأفهم، من دون إطالة أو إطناب، فموقف الوِفادة يقتضي الإيجاز وبلوغ الغاية بأقل عدد من العبارات.

الرسائل في العصر الاموي

انتعش هذا اللون من الأدب في العصر الأموي؛ لاتساع الرقعة الجغرافية للدولة الإسلامية وتفرق العرب في الأمصار، وتوسع الفتوحات الإسلامية، وكثرة الاتجاهات السياسية والفرق الدينية، فكان لا بدَّ من استعمال الرسائل، فهي طريقة مؤثرة يتصل بها الخليفة بولاته وقادة جيوشه، ورؤساء الفرق الدينية بأتباعهم.

أنواع الرسائل:

١ الرسائل السياسية

وهي التي تكون بين الخليفة وولاته أو بين الوالي وزعيم فرقة سياسية، ومنها رسائل أهل العراق إلى الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ورسائل الحجاج إلى الخوارج، وأسلوب هذه الرسائل يتميز بالقوة في الغالب، ولا سيما تلك الرسائل التي كانت بين الحجّاج وقَطَرِي بن الفُجاءة.

٢ الرسائل الوعظية

وهي التي تُرسل من أجل الوعظ وترقيق القلوب، وهي تشتمل على الوعظ والإرشاد والترغيب والترهيب، وتكون طويلة غالباً، وأسلوبها سهل لا غموض فيه ولا غرابة.

٣ الرسائل الشخصية

وتشتمل على التهنئة والتعزية، والعتاب والاعتذار، والشفاعة، وأسلوبها سهل خالٍ من التكلّف في الغالب.

٤ الرسائل الديوانية

وتشمل رسائل الدولة الرسمية، وكاتب الديوان لا بد أن يكون بارعاً في الكتابة، قادراً على انتقاء الألفاظ، يجيد أداء المعاني التي يطلب منه إيداعها في الرسالة.

أطوار الرسائل

الرسائل بأنواعها مرت بمراحل ثلاث:

١ المرحلة الأولى

كان الخليفة أو الوالي يملي على الكاتب، ولا دور للكاتب في هذه المرحلة إلا التدوين، فتكون الرسالة بأسلوب الذي أملاها وإنشائه، وفي الغالب يكون أسلوبها

قوياً متيناً، يشتمل على بعض الألفاظ الغريبة، ولا تخلو من السجع. ومن أشهر أصحاب الرسائل في هذه المرحلة: معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعبد الملك بن مروان، والحجاج، وقطري بن الفجاءة، ومن كتاب الرسائل الذين يُملى عليهم: عمرو بن سعيد الملقب بالأشدق وكان يكتب لمعاوية، وروح بن زنباع الجذامي، كاتب عبد الملك، ويحيى بن يعمر كاتب يزيد بن المهلّب.

٢ المرحلة الثانية

في وسط العصر الأموي بدأت مرحلة تحويل الدواوين إلى العربية ومنها ديوان الرسائل، وفيها أصبح للرسائل كتّاب تعينهم الدولة، ويتمُّ اختيارهم بحسب كفاءتهم، تُملى عليهم المعاني فيصوغونها بأساليبهم.

وقد برزت الرسائل الوعظية في هذه المرحلة التي تميزت بأسلوبها السهل ومعانيها المشتملة على الوعظ والإرشاد، أما الرسائل السياسية فقد أصبحت جزءاً من الرسائل الديوانية.

٣ المرحلة الثالثة

تطورت كتابة الرسائل في آخر العصر الأموي، فظهرت الكتابة الفنية في رسائل بعض الكتّاب، وتميزت بطولها؛ فهي تبلغ أربعين صفحة أو أكثر، وأسلوبها سهل يتخلله السجع، وتُستَهلُّ تلك الرسائل بحمد الله، وتشتمل على أغراض عدّة لطولها، وقد تأثر أسلوبها بأسلوب الوعّاظ كالحسن البصري، وواصل بن عطاء؛ إذ نجد فيها الكلمات المترادفة، وبُعدها عن الألفاظ الغريبة، أما معانيها فهي مرتبة واضحة بعيدة عن الغموض.

من رسالة: (رسالة إلى الكُتّاب) لعبد الحميد الكاتب

التعريف بالكاتب:

هو عبد الحميد بن يحيى بن سعد الكاتب، من أصل فارسي، وهو أشهر كتّاب العصر الأموي، وِلِدَ سنة (٦٠هـ) في مدينة الأنبار على نهر الفرات، بدأ حياته معلماً بالكوفة، واتصل بالخليفة هشام بن عبد الملك وكتب له، وفي بلاطه اتصل بسالم بن عبد الله، مولى هشام ورئيس كُتّابه، وأحد أعلام الكتابة في ذلك العصر.

وقد ساعد هذا الاتصال عبد الحميد على النبوغ في فن الكتابة، وكذلك اطلاعه على اليونانية فضلاً عن حذقه الموروث بالفارسية وثقافتها، وتمكنه من العربية التي كتب بها، فعظمت منزلته في عهد مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين، وكان له بمنزلة الصديق، والكاتب، والوزير، وعاش في عزه وجاهه، فلما تنكرت الأيام لمروان وقام بنو العباس بثورتهم عليه، وأطاحوا بحكمه، أبى عبد الحميد إلا أن يلازمه في محنته ففرَّ معه إلى مصر بعد هزيمته، مات قتيلاً على يد العباسيين سنة (١٣٢هـ) في بوصير بمصر.

عدَّ النقاد عبد الحميد إمام الكتابة الفنية في العصر الأموي، فهم يرون أنَّ الكتابة بدأت بعبد الحميد وانتهت بابن العميد وهو أحد كتّاب العصر العباسي.

وأهم آثاره: طائفة الرسائل الديوانية المطولة، ورسالة إلى ولي العهد على لسان مروان، ورسالته في الشطرنج والكف عنه، ورسالته التي كتبها إلى أهله يودعها فيها لمّا فرَّ مع مروان، ورسالته الشهيرة إلى الكُتّاب، وهاك نص منها:

النَّـصُّ:

«**أمَّا بَعْدُ**، حَفِظَكُمُ اللّهُ يَا أهْلَ صِنَاعَةِ الكِتَابَةِ، وَحَاطَكُمْ ووَفَّقَكُمْ وأرْشَدَكُمْ، لَقَدْ جَعَلَكُمُ اللهُ يَا مَعْشَرَ الكُتَّابِ فِي أشْرَفِ الجِهَاتِ، أهْلَ الأدَبِ والمُروءاتِ والعِلْمِ والرَّزَانَةِ. فَتَنَافَسُوا يَا مَعْشَرَ الكُتَّابِ فِي صُنُوفِ الآدابِ، وَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ، وابْدَؤوا بِعِلْمِ

كتَاب الله عَزَّوَجَلَّ والفَرَائِضَ، ثُمَّ العَرَبِيَّة فَإِنَّهَا ثِقَافُ ألْسِنَتِكُمْ، ثُمَّ أجِيدُوا الخَطَّ فَإِنَّهُ حِلْيَةُ كُتُبِكُمْ، وارْوُوا الأشْعَارَ واعْرِفُوا غَرِيبَهَا وَمَعَانِيَهَا، وأيَّامَ العَرَبِ والعَجَم وأحَادِيثَهَا وَسِيَرَهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ مُعِينٌ لَكُمْ عَلَى مَا تَسْمُو إلَيْهِ هِمَمَكُمْ، وَلَا تُضَيِّعُوا النَظَرَ فِي الحِسَابِ، فَإِنَّهُ قِوَامُ كُتَّابِ الخَرَاجِ.

وارْغَبُوْا بِأَنْفُسِكُمْ عَنِ المَطَامِعِ سَنِيِّهَا وَدَنِيِّهَا، وسَفْسَافِ الأمُوْرِ وَمَحَاقِرِهَا، فإنّهَا مَذَلّةٌ لِلْرِقَابِ، مَفْسَدَةٌ لِلْكُتَّابِ، وَنَزِّهُوْا صِنَاعَتَكُمْ عَنِ الدَّنَاءَاتِ، وَارْبَأُوْا بِأَنْفُسِكُمْ عَنِ السَّعَايَةِ وَالنَمِيْمَةِ وَمَا فِيْهِ أهْلُ الجَهَالَاتِ، وَإِيَّاكُمْ وَالكِبَرِ وَالصَّلَفِ وَالعَظَمَةِ، فَإِنَّهَا عَدَاوَةٌ مُجْتَلَبَةٌ مِنْ غَيْرِ إحْنَةٍ، وَتَحَابُّوْا فِي اللهِ عَزَّوَجَلَّ فِي صِنَاعَتِكُم، وَتَوَاصَوْا عَلَيْهَا بِالَّذِي هُوَ أَلْيَقُ بِأَهْلِ الفَضْلِ وَالعَدْلِ والنُّبْلِ مِنْ سَلَفِكُمْ.

تَوَلاَّنَا اللهُ وإيَّاكُم يَا مَعْشَرَ الطَّلَبَةِ والكَتَبَةِ بِمَا يَتَولَّى بِهِ السُّعَدَاءَ، فإنَّ ذَلِكَ إلَيْهِ وَبِيَدِهِ، وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ».

للحفظ الفقرتان الأولى والثانية

معاني المفردات والتراكيب

المفردات	المعنى
ثقاف	مُقوّم.
قوام الشيء	عماده.
الخراج	الجزية وما يُصالَحُ عليه أهل البلاد المفتوحة.
اربأوا بأنفسكم	ارتفعوا بأنفسكم.
الصلف	التطاول.
الإحنة	الحقد.

الشرح والتحليل:

لم يعرف الكُتّاب رسالة نهجت نهج رسالة عبد الحميد في أفكارها، إذ وجهها إلى فئة من الناس هم الكُتّاب، فالفكرة جديدة، وإن كانت أكثر النصائح الموجودة في الرسالة تصلح للكُتّاب ولغيرهم.

لخّص عبد الحميد في هذه الرسالة خلاصة خبرته في ميدان كتابة الرسائل، فصارت هذه الرسالة مرجعاً لأهل الصنعة، فالنصائح التي ضمنها رسالته تسبق الزمن الذي قيلت فيه.

وإذا عدنا إلى الرسالة نجدها تتكون من ثلاثة أجزاء: مُقدِمةٍ، وعَرضٍ، وخاتِمة، والعرض هو لب الرسالة ووعاء أفكارها، نقل فيه الكاتب الفائدة إلى القارئ بسهولة وتدرُّج، فوجّه الكتّاب إلى التفقّه في الدين، والنظر في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وإتقان اللغة العربية، ثم انتقل بعد ذلك إلى الخط والحث على إجادته، ثم أمرهم بالاطّلاع على التاريخ والإفادة من الشعر، ووجّههم إلى تَعلُّم الحِساب. وهذا القسم من العرض هو الفكرة الرئيسة التي تعدُّ الكاتب للكتابة، ثم خصص القسم الثاني من العرض للنصائح؛ إذ أرشد فيه الكُتّاب إلى التحلّي بالصفات السامية والابتعاد عن الصفات الدنيئة.

ومن هذا العرض لأفكار الكاتب يتّضح لنا أنّها أفكار ترتبط أجزاؤها بوحدة الموضوع، وهي بعد ذلك أفكار واضحة بعيدة عن اللبس والغموض.

وأسلوب عبد الحميد في رسالته متطور حسن الصياغة؛ فألفاظه خالية من الغريب، وتراكيب الرسالة متماسكة متآلفة فيما بينها، ليس فيها تعقيد يمنع من فهم المعنى، ويظهر في أسلوبه الترادف؛ فهو يجمع عدداً من الكلمات لمعان متقاربة، مثل: (وحاطكم، ووفقكم، وأرشدكم)، كما أنّه استعمل السجع من دون تكلّف، كقوله: (فتنافسوا يا معشر الكُتّاب في صنوف الآداب)، وقوله: (فإنها مذلة للرقاب مفسدة للكتّاب)، كما أحسن في تنويع أسلوب رسالته في المقدمة، والعرض، والخاتمة، فبدأ المقدمة بـ (أما بعد) وضمنها الدعاء، ثم غير أسلوبه في العرض من الدعاء إلى الأمر، فبدأ بقوله (فتنافسوا) ، ثم عاد إلى الدعاء والسلام في الخاتمة، فكانت قطعة فنية واحدة أحسن فيها الكاتب مُستهلَّها وعرضَها وختامَها.

المناقشـــة

١ ما أنواع الخطابة في العصر الأموي؟ وما أهم أسبابها؟

٢ (أسلوب الخطابة في العصر الأموي يختلف بحسب نوع الخطبة) ناقش هذه العبارة.

٣ اذكر أهم خصائص الخطابة في العصر الأموي.

٤ ضع علامة كلمة (صح) أمام العبارة الصحيحة، وكلمة (خطأ) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

- كثُر الاقتباس من القرآن ومعانيه وصوره عند خطباء بني أمية.
- الحجاج بن يوسف الثقفي من أعلام خطابة الوفود.
- عبد الحميد الكاتب من كبار كُتّاب ديوان الرسائل.
- الحسن البصري من خطباء السياسة.
- الفرق المتناحرة في العصر الأموي أثرت سلباً على الخطبة السياسية.

٥ بِم تميّز أسلوب الأحنف بن قيس في خطبته؟

٦ لِم انتعش فن كتابة الرسائل في العصر الأموي؟

٧ ما أنواع الرسائل في العصر الأموي؟ وما المراحل التي مرت بها؟

٨ ما أبرز سمات المرحلة الثالثة من مراحل كتابة الرسائل في العصر الأموي؟ ومتى بدأت؟ ومن أبرز كُتّابها؟

٩ قيل: (بدأت الكتابة بعبد الحميد وانتهت بابن العميد)، ناقش العبارة السابقة.

١٠ ما أهم الآثار الأدبية لعبد الحميد الكاتب؟

١١ لِم تُعدُّ رسالة عبد الحميد الكاتب إلى الكُتّاب مرجعاً لأهل صنعة الكتابة؟

١٢ كيف قسم عبد الحميد الكاتب رسالته؟ وما الذي تضمّنه كل قسم منها؟

٥

الوَحْـدَةُ الخامسـة

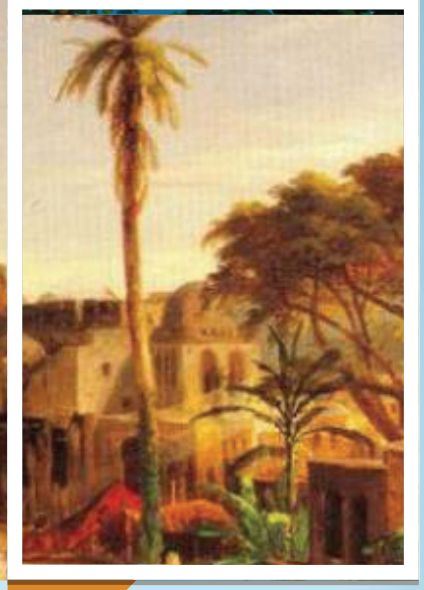

الأدب العربي في العصر العباسي الأول

بعد الانتهاء:

من دراسة هذه الوحدة يتوقع من الطالب أن يكون قادرًا على أن:

١. يذكر التقسيم التاريخي المناسب للعصر العباسي.

٢. يبين أهم ما تميّز به العصر العباسي الأوّل.

٣. يوضح أغراض التجديد الأدبي في العصر العباسي الأوّل.

٤. يعدد المظاهر النثرية في العصر العباسي الأوّل.

٥. يحفظ بعضًا من نصوص هذا العصر، ويمتلك القدرة على شرحها.

الدَرس الأول:
العصر العباسي الأول
الشعر في العصر العباسي الأول

بما أنَّ الشعر هو نتاج الفكر والتجربة الإنسانية كان لا بُدَّ له من أنْ يسلك مسلكاً جديداً مغايراً عما سبق من العصور، وهذا ما سنبينه في دراستنا لهذا العصر.

إنَّ أول ما يميز العصر العباسي الأول هو اهتمام اللغويين بالشعر؛ ويرجع ذلك إلى دراسة هؤلاء اللغويين للقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وكذلك نشأة علم النحو الذي اعتمد في كثير من شواهده على الشعر، فأضحى هؤلاء اللغويون نقاداً ذوي ثقافة يستطيعون بواسطتها تحليل الشعر ونقده، وتمييز جيده من رديئه. ومن هنا ازدادت أهمية الشعر ومكانته.

كما ارتفعت مكانة الشعراء في ذلك العصر؛ فقد كان الخلفاء والوزراء يشجعونهم ويمنحونهم العطايا والهبات، وكان هؤلاء الشعراء ذوي معرفة لغوية وشعرية؛ لِما توافر بين أيديهم من أشعار العصور الماضية، وبعضهم من أصول غير عربية اتقنوا نظم الشعر بالعربية وضمّنوه ثقافات أممهم وآدابها لينتجوا لنا أساليباً جديدة في الشعر العربي شكلاً ومضموناً.

وقد شهد القرن الثاني الهجري ثورة على القصيدة العربية التقليدية كان على رأسها ثلاثة من الشعراء الكبار، فقد سعوا إلى أن يخرجوا بالقصيدة لتلائم حاجات المجتمع الجديد واتجاهاته، فأرسوا تقاليد القصيدة العباسية الجديدة، وأحدثوا تجديداً عميقاً في شكلها ومضمونها، وهؤلاء هم بشار بن بُرد، وأبو نُؤاس، وأبو العَتاهية.

١ التجديد في أغراض الشعر والمعاني

على الرغم من وجود الأغراض التقليدية كالمدح والرثاء والهجاء والغزل في شعر شعراء هذا العصر إلا أنَّ نزعة التجديد لديهم كانت في المعاني التي ضمنوها تلك الأغراض، ومن مظاهر التجديد في شعر العصر العباسي الأول، هي:

١ **الوصف:** تطور فن الوصف واتسعت آفاقه، فأبدع الشعراء العباسيون في وصف الطبيعة، كما وصفوا القصور ومظاهر العمران، والمعارك البرية والبحرية، وأبدعوا كذلك في وصف رحلات الصيد التي سميت قصائدها بـ (الطرديات)، ومن أهم شعراء الوصف البحتري والمتنبي.

٢ **شعر الحكمة:** انتعش هذا الغرض في الشعر العباسي؛ لوجود شعراء يتميزون برجاحة العقل وعمق التفكير، كأبي تمام وأبي العتاهية.

٣ **الرثاء:** على الرغم من أن هذا الغرض يعد من الأغراض التقليدية إلا أن الرثاء عند بعض شعراء العصر العباسي كالمعري وابن الرومي أصبح مجالاً للحديث عن فلسفة الحياة والموت، فصار رثاء الفقيد مُنطَلَقاً للشاعر يبث فيه أفكاره وخواطره.

٤ **شعر الخمر:** ظهر هذا الغرض نتيجة لانتشار شرب الخمر بين بعض الشعراء ومجاهرتهم بهذا الإثم، ومن أبرز شعراء هذا الغرض أبو نواس.

٥ **الغزل الفاحش:** ظهر هذا النوع من الغزل نتيجة لضعف الدين والسلطة والاختلاط بالأمم الأخرى.

٦ **الزهد:** برز شعر الزهد والتوبة والندم بسبب ظهور الموبقات وانغماس طبقة من الناس في ملذات الحياة، وقد خالط شعر الزهد شيء من التصوف.

٧ **نظم العلوم:** ومن أهم الأغراض التي ظهرت في العصر العباسي ولاقت قبولاً واسعاً بين الناس المنظومات العلمية، إذ قام بعض العلماء بنظم علومهم على شكل قصائد من أجل تسهيل حفظها للدارسين. وإدخال هذه المنظومات في الشعر إنما هو من باب التجوز؛ لخلوها من الخيال والعاطفة، ومن أشهر العلماء الذين نظموا العلوم في العصر العباسي: صالح بن عبد القدوس، وأبان بن عبد الحميد اللاحقي.

٢ التجديد في أساليب الشعر وأوزانه

١ الثورة على نظام القصيدة القديمة التي تبدأ بذكر الأطلال والغزل والرحلة، ومن ذلك قول أبي نؤاس:

عاجَ الشَّقيُّ على رسمٍ يُسائلُهُ ... وعُجتُ أسألُ عن خمّارةِ البلَدِ
يبكي على طَلَلِ الماضينَ من أسَدٍ ... لا درَّ درُّكَ قُلْ لي مَنْ بنو أسَدِ
لا دَرَّ درُّ الذي يَبكي على طَلَلٍ ... ولا صَفا قلبُ مَنْ يَهفو إلى وَتَدِ

٢ الإغراق في البديع: إذ أخذ كثير من شعراء هذا العصر يغرقون في المحسنات البديعية من جناس وطباق وتورية، إلى ذهب جمال الشعر وروعته.

٣ هجر الكلمات الغريبة، والميل إلى وضوح الألفاظ وسلاستها، والإكثار من الصور الشعرية والتشبيهات المركّبة، وكان ذلك أثراً من آثار الحضارة والتمدّن.

٤ تسرب إلى الشعر كثير من الألفاظ الأعجمية؛ لأنَّ بعض الشعراء لم ينحدروا من أصول عربية، كما أنّ بعضهم عمدوا إلى الاستعانة ببعض مصطلحات العلوم في أشعارهم، كقول أحدهم:

عُزِلتُ ولم أذنُبْ ولم أكُ جانياً ... وهذا لإنصافِ الوزيرِ خِلافُ
حُذِفتُ وغيري مُثبَتٌ في مكانِهِ ... كأنِّيَ نونُ الجمعِ حينَ يُضافُ

٥ كَثُرَ شعر التورية والتعمية والألغاز والصناعة اللفظية، فتحول الشعرُ إلى عبث وتسلية، فنظم بعض الشعراء أبياتاً تُقرأ من أولها أو من آخرها ولا تتغير، كقول الشاعر: **مَودّتُهُ تدومُ لكلِّ هَولٍ ... وهل كُلُّ مودّتُهُ تدومُ**

وفي أوزان الشعر مال الشعراء إلى استعمال البحور الشعرية القصيرة والخفيفة، كما نظموا المُقطّعات القصيرة، كما نظم المستعربون قصائد ومقطّعات على أوزان جديدة، لتظهر لنا ألوان جديدة من الشعر كـ(الدوبيت والمواليا)، وإن كان أكثرها يُنظم بالعامية.

فائدة

الدوبيت: كلمة فارسية، والمراد بـ(الدوبيت) الشعر الذي ينظم على بيتين، ووزنه الغالب هو:

فعلُنْ مُتَفاعلُن فَعُولنْ فَعلُنْ فعلُنْ مُتَفاعلُن فَعُولنْ فَعلُنْ

وقد شاع استخدام الدوبيت كثيرًا في البلاد العربية، ونظم فيه العشرات من الشعراء أبرزهم: (عمر الخيّام، وعبدالرحمن الجامي)، وطرقوا أغراضًا متعددة في فن الدوبيت كـ(الغزل، والجهاد، والزهد، والتصوف)، وغيرها، ومن أمثلته:

قَدْ أقْسَمَ مَنْ أحِبُّهُ بالبَارِي أنْ يَبْعَثَ طَيْفَهُ مَعَ الأسْحَارِ

يَا نَارُ أشْوَاقِي بِهِ فَاتَّقِدِي لَيْلًا فَعَسَاهُ يَهْتَدِي بِالنَّارِ

المواليا: نوع من الشّعر العامّي العربي أو شبه الفصيح نشأ في العصر العباسي، أول ما عرف هذا اللون بعد نكبة البرامكة، فقد منع هارون الرشيد الناس من النواح عليهم أو رثائهم، فكان بعض أنصارهم ينوحون عليهم ويقلون (يا موالي)، فصار هذا الشعر يعرف بـ(المواليا)، ثم أصبح يعرف بالموال، وتركيب المواليا - على الغالب - من بيتين تُختَم أشطرهما الأربعة بروِيٍّ واحد، أما وزنه على الغالب؛ فمن بحر البسيط، وأجزاؤه، وهو: (مُسْتَفْعِلُن فاعلن مُسْتَفْعِلن فاعِل)، ومن أمثلته:

ومثال المواليا:

يَا عَارِفَ الله لَا تغْفَل عَنِ الْوَهَّابْ فَإِنَّهُ رَبُّكَ هُوَ الْمُعْطِي حَضَرْ أَوْ غَابْ

والقلب يقلب سريعًا يشبه الدولابْ إياك والبرد يدخل من شقوق الباب

دراسة مفصلة في أحد أغراض الشعر في العصر العباسي الأول

شعر الدعوة الإسلامية:

إلى جانب الشعر الماجن المستهتر الذي ظهر في العصر العباسي، كان هناك شعر جاد رصين ينبض بالروح الإسلامية، وتشع منه أنوار اليقين، ويفوح منه عبق الإيمان، وذلك هو شعر الدعوة الإسلامية، ويتجلى هذا الشعر في مجالات عدة:

١ الشعر الحربي الذي يقال في الجهاد: فقد قامت بين الدولة العباسية والروم حروب كثيرة، كما حدث في معركة فتح عمورية التي قال فيها أبو تمام ملحمته الخالدة التي سنوردها في حينها.

٢ رثاء الأبطال الذين سقطوا في الحروب: ومن ذلك رثاء أبي تمام لمحمد بن حميد الطوسي.

٣ شعر التوبة والندم والاستغفار: وظهر هذا النوع من الشعر عند بعض الشعراء الذين سلكوا طريق الفساد والمجون، ثم تابوا وعادوا إلى جادة الصواب، كأبي العتاهية، وأبي نؤاس بعد توبته.

٤ ما قيل في المحن التي مرت بالمسلمين داخل بلادهم ونتج عنها صراعات دامية، وكذلك ما قام في هذا العصر من فتن في العقيدة، كفتنة القول بخلق القرآن، وللشاعر علي بن الجهم في الدفاع عن موقف الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الشأن قصائد كثيرة.

٥ الدعوة إلى التمسك بالأخلاق الإسلامية الفاضلة.

فَتْحُ الفُتُوحِ لأبي تمام

التعريف بالشاعر:

هو حبيب بن أوس الطائي، ولد في قرية جاسم قرب دمشق عام (١٨٨هـ)، وقد نبغ في الشعر مبكراً، وكان كثير الطموح معتدّاً بنفسه، انتقل منذ صباه إلى دمشق وعمل في الحياكة، ثم انتقل إلى مصر، ثم عاد إلى دمشق، ومدح الخليفة المأمون لَمّا مر بها عام (٢١٤هـ).

لكن شأنه لم يعلُ إلا في عهد الخليفة المعتصم، الذي استدعاه إلى بغداد فأصبح أكبر شعرائه، ثم أخذه معه إلى سامراء حين نقل عاصمة الخلافة إليها، ومدح القادة الكبار في الدولة العباسية، وشارك المعتصم في غزوة عمورية الشهيرة عام (٢٢٣هـ)، وقال فيها قصيدته الشهيرة التي نحن بصدد دراستها، وأكثر شعره في مدح المعتصم، إذ قال فيه أجمل قصائده، كما برع في الرثاء، حتى قيل: (أبو تمام مدّاحةٌ نوّاحة).

كان أبو تمام يحفظ من الشعر الكثير، فقيل: إنه كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة غير القصائد والمقطوعات، وتنطق بذلك كتبه وتصانيفه التي أشهرها (ديوان الحماسة) الذي جمع فيه عيون الشعر في الجاهلية والإسلام.

كان أبو تمام واسع الثقافة، كثير المروءة، كريم الأخلاق، حاضر البديهة، ومما يدل على سرعة بديهته أنه مدح أحمد بن المعتصم بقصيدة مطلعها:

ما في وقوفِكَ ساعةً من باسِ تقضي ذِمامَ الأربُعِ الأدراسِ

فلما وصل إلى قوله فيها:

إقدامُ عمروٍ في سماحةِ حاتِمٍ في حِلمِ أحنَفَ في ذكاءِ إياسِ

اعترض عليه أبو يوسف الكندي الفيلسوف، وقال: الأميرُ فوق من وصفتَ، وما زدتَ على أن شبّهته بأجلاف العرب. فأطرق أبو تمام قليلاً، ثم قال على البديهة:

لا تنكروا ضربي له من دونه مثلاً شروداً في الندى والباسِ

فاللهُ قد ضرب الأقلَّ لنورهِ مثلاً من المشكاةِ والنّبراسِ

ولما أُخِذت منه القصيدة، لم يجدوا فيها هذين البيتين، فعجبوا، فقال الكندي للخليفة: اعطه ما يطلب، فإن فكره يأكل جسمه، كما يأكل المهنّد غمده، ولا يعيشُ كثيراً. فولي بريد الموصل، ولم يتم سنتين حتى توفي بها عام (٢٣١هـ).

ترك أبو تمام – فضلاً عن قصائده – طائفة من المؤلفات، منها:

١ ديوان الحماسة: وهو كتاب له شأن كبير في حفظ كثير من أشعار العرب، وقد سمي بالحماسة؛ لأن أول أبوابه باب الحماسة. وقد انتقى فيه أبو تمام روائع من الشعر العربي، أوردها على شكل أبواب، منها: الحماسة، والمراثي، والآداب، والنسيب، والهجاء، والأضياف، والمديح، والصفات.

٢ نقائض جرير والفرزدق.

٣ الاختيارات من شعر الشعراء.

٤ فحول الشعراء.

قصيدة السَّيْفُ أَصْـــدَقُ أَنْبَـــاءً

النَّـصُّ:

السَّيْفُ أَصْـدَقُ أَنْبَـاءً مِـنَ الكُتُـبِ ... في حَدِّهِ الحَدُّ بَيْنَ الجِـد واللَّعِـبِ

بيضُ الصَّفَائِحِ لاَ سُودُ الصَّحَائِفِ في ... مُتُونِهِـنَّ جـلاءُ الشَّـك والرِيَـبِ

والعِلْمُ في شُهُـبِ الأَرْمَـاحِ لاَمِعَـةً ... بَيْنَ الخَمِيسَيْنِ لا في السَّبْعَةِ الشُّهُبِ

أَيْنَ الروايَـةُ بَلْ أَيْنَ النُّجُـومُ وَمَـا ... صَاغُوه مِنْ زُخْرُفٍ فيها ومِنْ كَـذِبِ

فَتْـحُ الفُتُـوحِ تَعَالَى أَنْ يُحِيـطَ بِـهِ ... نَظْمٌ مِن الشعْرِ أَوْ نَثْرٌ مِـنَ الخُطَـبِ

فَتْـحٌ تفَتَّـحُ أَبْوَابُ السَّمَـاءِ لَـهُ ... وتَبْـرزُ الأَرْضُ فـي أَثْوَابِهَـا القُشُـبِ

يَا يَـوْمَ وَقْعَـةِ عَمُّـوريَّةَ انْصَـرَفَتْ ... مِنْكَ المُنَى حُفَّلاً مَعْسُولَـةَ الحَلَـبِ

أبقيْتَ جِدَّ بَنِي الإِسـلامِ في صعَـدٍ ... والمُشْرِكِينَ ودَارَ الشرْكِ في صَبَـبِ

لَقَـدْ تَرَكْـتَ أَمِيرَ الْمُؤْمنِيـنَ بِهـا ... لِلنَّارِ يَوْماً ذَلِيلَ الصَّخْـرِ والخَشَـبِ

غَادَرْتَ فيهـا بَهِيمَ اللَّيْلِ وَهْوَ ضُحًـى ... يَشُلُّـهُ وَسْطَهَـا صُبْـحٌ مِنَ اللَّهَـبِ

حَتَّى كَـأَنَّ جَلاَبِيـبَ الدُّجَى رَغِبَـتْ ... عَنْ لَوْنِهَـا وكَأَنَّ الشَّمْـسَ لَم تَغِـبِ

ضَـوْءٌ مِنَ النَّـارِ والظَّلْمَـاءُ عاكِفَـةٌ ... وَظُلْمَةٌ مِنْ دُخَـانٍ في ضُحًـى شَحِبِ

فالشَّمْسُ طَالِعَـةٌ مِنْ ذَا وقـدْ أَفَلَـتْ ... والشَّمْسُ وَاجِبَـةٌ مِنْ ذَا ولَـمْ تَجِـبِ

تَدْبِيـرُ مُعْتَصِـمٍ بِاللَّهِ مُنْتَقِـمٍ ... لِلَّهِ مُرْتَقِـبٍ فـي اللَّهِ مُرْتَغِـبِ

لَمْ يَغْزُ قَوْمـاً، ولَمْ يَنْهَـدْ إِلَى بَلَـدٍ ... إِلاَّ تَقَدَّمَـهُ جَيْـشٌ مِـنَ الرعُـبِ

للحفظ ستة أبيات

معاني المفردات والتراكيب

المفردات	المعنى
حدّه	حد السيف.
الحد	الفاصل بين شيئين.
الصفائح	جمع صفيحة وهي السيوف.
الصحائف	جمع صحيفة وهي أوراق المنجمين وكتبهم.
متونهن	الظهر، ويقصد به جوانب السيوف.
الخميسين	مثنى خميس، وهو الجيش، وسمي كذلك لأن له خمسة أقسام: المقدمة والقلب والجناحان والمؤخرة.
السبعة الشهب	الكواكب السبعة السيارة، وهي ما كان يعتمد عليها المنجمون في تنبؤاتهم.
الحلب	اللبن المحلوب.
يشلُّه	يطرده.
جلابيب	مقيمة.
وجبت	غابت
مرتغب	راغب.
ينهد	ينهض ويمضي.

الشرح والتحليل:

اعتدى الروم على مدينة (زِبطرَة) المتاخمة لبلادهم، وعاثوا فيها فساداً، وأسروا بعض الرجال والنساء، فكانت امرأة من الأسرى تصرخ وتستغيث (وا معتصماه!)، فلما بلغ شأنها المعتصم، هبَّ من مجلسه قائلاً: لبيكِ لبيكِ، ومضى على رأس جيشه فاجتاح أنقرة، واتجه صوب عمورية حصن الروم المنيع، ولم يلقِ بالاً لأقوال المنجمين الذين نصحوه بالتريث في حملته، فنصره الله على جيش الروم، وفتح عمورية عنوة. وكان أبو تمام برفقة المعتصم شاهداً على هذه الملحمة، فلم يكن

منه إلا أن نظم هذه القصيدة الخالدة التي صورت لنا نصر المسلمين في عمورية بأبهى صورة.

سلك الشاعر في مقدمة قصيدته طريقاً غير الطريقة التقليدية، فبدأ قصيدته بالحكمة ليثبت بالدليل العقلي أن القوة المادية والروحية هي التي تصنع الانتصارات بإذن الله، وليس مراعاة النجوم والأوهام.

فبدأ الشاعر قصيدته بالرد على المنجمين وما تنبأوا به فقال: إن أنباء السيف أصدق من مزاعمكم وأنباء كتبكم، وإن العزم والقوة هما اللذان يحددان نتائج المعارك بإذن الله، وحدّ السيف هو الحد الفاصل بين الحقيقة والخرافة، وبياض السيوف خيرٌ من بياض صحفهم، فبالسيوف يُجلى الشكُ وتبين الحقيقة، والعلم الحقيقي ليس في النجوم التي يعتمد عليها المنجمون في مزاعمهم، وإنما العلم في الرماح التي تلمع بأيدي المجاهدين، فها هو النصر قد تحقق، فأين ما اختلقتم من أكاذيب؟

ثم يبدأ الشاعر في وصف النصر والمعركة، فيقول: إنه فتح أكبر من أن تصفه القصائد أو الخطب البليغة، فهو فتح قد احتفلت به السماء والأرض، وعاد المسلمون من عمورية منتشين بحلاوة النصر.

ثم يتوجه بخطابه إلى الخليفة فيقول: لقد تركت يا أمير المؤمنين تلك المدينة التي كانت منيعة يوماً للنار تذل صخرها وخشبها، وغادرتها فكأن ليلها صبحاً من اللهب، حتى يخيل للرائي أن الليل قد عاف ثوبه الأسود، أو أن شمسها لم تغب، فامتزجت الظلمة والضوء والدخان في مشهد عجيب، فهنالك ضوء من النار في ظلمة مخيمة، وظلمة من الدخان في ضوء شاحب، فكأن الشمس مشرقة وهي غاربة، فهي غاربة وغير غاربة في آن واحد!

ثم يكيل المديح للمعتصم فيقول: إن هذا النصر إنما هو انتقام من الله بيد المعتصم، يبتغي به وجه الله ورضوانه، فهو لم يتوجه إلى بلدٍ يغزوه إلا وألقى الله الرعب في قلوب أعدائه قبل أن يصل إليهم.

المناقشـــة

١ لم اهتم اللغويون بالشعر في العصر العباسي الأول.

٢ ناقش هذه العبارة: (ارتفعت مكانة الشعر في العصر العباسي الأول)

٣ اذكر مظاهر التجديد في أغراض الشعر في العصر العباسي الأول.

٤ ما مظاهر التجديد في أساليب الشعر وأوزانه في ذلك العصر؟

٥ ما مجالات شعر الدعوة الإسلامية في العصر العباسي الأول؟

٦ من أبو تمام؟ ومتى وأين ولد؟ ومتى وأين توفّي؟

٧ كان أبو تمام واسع الثقافة حاضر البديهة، اذكر حادثة تدل على ذلك.

٨ ما أهم خصائص شعر أبي تمام؟

٩ لأبي تمام مؤلفات إلى جانب كونه شاعراً، اذكر أهم مُؤلَّفٍ فيها.

١٠ سلك أبو تمام في مقدمة قصيدته طريقًا غير طرق الشعراء التقليدية، وضَّح ذلك.

١١ ما الفكرة العامَّة التي أراد أبو تمام أنْ يوصلها إلينا ولخصها في مُستَهلّ قصيدته؟

الدَرس الثاني:
العصر العباسي الأول
النثر في العصر العباسي الأول

بلغ النثر أوجه من التطور في العصر العباسي الأول، ولا عجب فهو مظهر العقل ومرآة الخاطر، فانتشار العمران في البلاد وتطور الحياة الاجتماعية والاقتصادية، واتساع نطاق الدولة، وامتزاج الثقافات الفارسية واليونانية والهندية بالثقافة العربية، كل ذلك كان له الأثر الواضح على النثر في هذا العصر.

فلم تقتصر الكتابة على شؤون الدواوين وإنشاء الرسائل بل تعدتها إلى أغراض شتى كالتصنيف، والترجمة، والمقالات، والعهود، والوصف، وإنشاء رسائل الإهداء، والشكر، والعتاب، والتعازي، والتهاني، والاستعطاف، وغير ذلك من المعاني الحضرية التي لم يعرف أكثرها من قبل. وسنتناول أهم الألوان النثرية.

النثر الفني:

النثر الفني هو ذلك اللون من الكتابة الفنية الذي يرتقي إلى مستوى أعلى مما تضمنه من أغراض، فيكون النص هدفاً للدراسة في ذاته لا لغرضه؛ لما فيه من قيم جمالية وفنية.

وفي العصر العباسي الأول يمكن أن نقول أن الكتابة ظلت تسير على أسلوب عبد الحميد الكاتب الذي يميل إلى الإيجاز والغلو في التنميق. فلما شاع الترف بين الناس، واختلط العرب بالأقوام الأخرى، أخذوا يتأنقون في الكتابة ويطيلون، فرأوا أن التكرار أبلغ للمعنى وأشد وقعاً في النفس.

وقد اشتهر ابن المقفع بطريقة التنويع في العبارة، وتقطيع الجملة والمزاوجة بين الكلمات، وتوخي السهولة والعناية بالمعنى والتقليل من السجع. ومن أقواله: (البلاغة هي التي إذا سمعها الجاهل ظنَّ أنَّه يحسن مثلها). وقال ناصحاً أحد الكُتّاب: (إيّاك وتتبّع الوحشي من الكلام طمعاً في نيل البلاغة، فإنَّ ذلك هو العيُّ الأكبر).

وقد حذا حذو ابن المقفع يعقوب بن داود، وجعفر بن يحيى، وسهل بن هارون وغيرهم.

أمَّا الجاحظ فإنَّ شهرته لا تُحد، وطريقته أشبه بطريقة ابن المقفع في سهولة العبارة وجزالتها، لكن هذه الطريقة تمتاز بتقطيع الجمل إلى فقرات كثيرة مقفاة أو مرسلة، وزيادة في الإطناب في الألفاظ والجمل والاستطراد، ومزج الجد بالهزل لإبعاد سأم القارئ، وتحليل المعنى واستقصائه، وتحكيم العقل والمنطق، والاعتراض بالجمل الدعائية، ويمكن ملاحظة سمات هذه الطريقة من قوله يعاتب صديقاً: (والله يا قُليب لولا أنَّ كبدي في هواك مقروحة، وروحي بك مجروحة، لساجلتك هذه القطيعة، ومادتك حبلَ المصارمة).

١ الخطابة:

ظلت الخطابة قوية في أوائل العصر العباسي؛ نتيجة لما جرى من ثورات اجتماعية وما ظهر من دعوات مذهبية، فتعددت موضوعاتها وتشعبت مناحيها، فمن أنواع الخطب في هذا العصر الخطب السياسية التي يلقيها الخلفاء والقادة في استقبال الوفود أو استحضار همم الجنود، وهناك الخطب الدينية التي تلقى في الأعياد والجُمع، والخطب الاجتماعية في المدح أو الذم أو الاستعطاف أو العتاب.

وقد تميزت الخطابة في أول العصر العباسي بجزالة الألفاظ، وعدم الالتزام بالسجع، وكثرة الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث الشريف، والميل إلى الإيجاز إلا ما تدعو الضرورة فيه إلى الإطناب.

ولما استقرت الدولة العباسية، وفشت العجمة، وسيطر الأعاجم على الخلافة، ضعفت الخطابة، فلم يعد الخلفاء قادرين عليها كأسلافهم، فأصبحت الخطابة مقصورة على المناسبات الدينية كالعيدين والجمعة، ثم ازداد الأمر سوءاً في أواخر العصر العباسي، حتى طال الضعف الخطابة الدينية أيضاً، فأصبح خطباء المساجد يرددون خطب السابقين على المنابر، وأغلبها خطب مسجوعة متكلّفة.

٢ الرسائل الديوانية:

الرسائل الديوانية هي الكتابات التي تتناول تصريف أعمال الدولة، وما يتصل بها من تولية الولاة، وأخذ البيعة للخلفاء وولاة العهد، والفتوح، والجهاد، ومواسم الحج والأعياد، وأخبار الولايات وأحوالها في المطر والخصب والجفاف والجدب، كما تشمل وصايا الخلفاء والوزراء والحكام في تدبير شؤون الدولة، وما شابه ذلك. وقد علت مكانة الكتابة في دواوين الدولة، وصار من يحظى بقبوله في وظيفة كاتب ذا شأن ورفعة. فالكثير من مشاهير الكتّاب في الدواوين أوصلتهم شهرتهم إلى أرفع المناصب.

٣ التوقيعات:

وهي وهي عبارات موجزة بليغة يوقع بها الخلفاء والولاة على ما يقدم لهم من شكاوى وتظلمات. وكان الكثير من هذه التوقيعات يشيع ويحفظ من قبل الكتّاب.

وهذه طائفة من التوقيعات:

وقّع السفّاح في شكوى قلّة الرزق عند جماعة: " من صبرَ في الشدّة شارك في النعمة" .

ووقّع أبو جعفر المنصور على شكوى أهل الكوفة من عاملهم: "كما تكونون يؤمّرُ عليكم".

ووقّع المهدي لشاعر: " أسرفتَ في مديحِكَ فقصرنا في حبائك" .

ووقّع الرشيد على رسالة لوالي خراسان: " داوِ جرحَكَ لا يتّسع" .

ووقّع المأمون على رسالة مُتظلّم: " ليس بين الباطل والحق قرابة" .

نموذج من خطبة المأمون بمرو

التعريف بالقائل:

هو أبو العباس عبد الله المأمون بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور العباسي، سابع خلفاء بني العباس، عام (١٧٠هـ)، أمُّه جارية فارسية توفِّيت بعد ولادته بأيام بسبب مرضها بحمى النِّفاس، وقد ولد المأمون في ليلة من ليالي شهر ربيع الأول، سُمِّيت بليلة الخلفاء؛ ففيها توفِّي عم المأمون موسى الهادي وكان خليفة، وفيها تولّى والده الخلافة، وفيها ولد المأمون الخليفة اللاحق.

كان المأمون فطنًا ذكيًا واسع الثقافة، وبسبب ذكائه عقد له والده الرشيد بيعة الخلافة بعد أخيه الأمين. آلت إليه الخلافة بعد فتنة بينه وبين أخيه الأمين؛ بسبب عزم الأمين عزل أخيه المأمون عن ولاية العهد وتنصيب ابنه موسى بن الأمين بدلاً عنه، انتهت بمقتل الأمين والبيعة للمأمون، فاستلم المأمون خلافة المسلمين وهو في الرابعة والعشرين من عمره.

وعلى الرغم من ظهور بعض الفتن العَقَديّة في عصر المأمون، أبرزها فتنة خلق القرآن، فقد شهد عصره ازدهارًا علميًا كبيرًا؛ بسبب تشجيعه الناس على دراسة العلوم كالفلسفة والطب والرياضيات والفلك، وقد أسّس جامعة الحكمة في بغداد فازدهرتْ الدّولة الإسلامية في عهده، إلى أنْ توفّي عام (٢١٨هـ) في مدينة طرسوس في شمال بلاد الشام وهو عائد من إحدى غزواته.

خطبة المأمون بمرو

النَّـصُّ:

خطب المأمون بـ (مرو) بعد أن علم بوفاة أبيه الرشيد والبيعة لأخيه الأمين، فقال:

إنَّ ثَمَرَةَ الصَّبْرِ الأجْرُ، وَثَمَرَةَ الجَزَعِ الوِزْرُ، وَالتَّسْلِيمُ لأمْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَ فَائِدَةٌ جَلِيلَةٌ، وَتِجَارَةٌ مُرْبِحَةٌ، فَالْمَوْتُ حَوْضٌ مَوْرُودٌ، وَكَأسٍ مَشْرُوبٌ، وَقَدْ أتَى عَلَى خَلِيفَتِكُمْ مَا أتَى عَلَى نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإنَّا للهِ وَإنا إلَيْهِ رَاجِعُونَ، فَمَا كَانَ إلّا عَبْدًا دُعِيَ فَأجَابَ، وَأُمِرَ فَأطَاعَ، وَقَدْ سَدَّ أمِيرُ المُؤْمِنِينَ ثَلْمَهُ، وَقَامَ مَقَامَهُ، وَفِي أعْنَاقِكُم مِنَ العَهْدِ مَا قَدْ عَرَفْتُمْ، فَأحْسِنُوا العَزَاءَ عَلَى إمَامِكُم المَاضِي، واغْتَبِطُوا بِالنَّعْمَاءِ وَالوَفَاءِ فِي خَلِيفَتِكُمْ البَاقِي، يَا أهْلَ الدُّنْيَا: المَوْتُ نَازِلٌ، والأجَلُ طَالِبٌ، وَأمْسُ وَاعِظٌ، وَاليَوْمَ مُغْتَنَمٌ، وَغَدٌ مُنْتَظَرٌ".

لِلْحِفْظِ

معاني المفردات والتراكيب

المفردات	المعنى
الجزع	وهو عدم الصبر عند المصيبة
الوزر	الإثم
اغتبطوا	اغتبط بالشيء: فرح به
النعماء	الرخاء وسعة الرزق

الشرح والتحليل:

في هذه الخطبة يُظهِر المأمون مقدرة لغوية وفصاحة وحسن استهلال، فهو لم يبدأ بالموضوع الذي خطب في الناس لأجله، وهو إبلاغهم بموت والده وأخذ البيعة لأخيه، وإنما بدأ بتذكيرهم بثواب الصبر عند المصيبة، والتسليم لأمر الله عَزَّوَجَلَّ، وأنّ الموت الذي جرى على النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قد جرى على الخليفة.

ثم يدخل بعد ذلك إلى صلب الموضوع، فيذكرهم ببيعتهم لأخيه الأمين بقوله: (وقد سدّ أميرُ المؤمنين ثَلْمه، وقام مَقَامَه، وفي أعناقكم من العهد ما قد عرفتم)، ويعدهم بالرخاء وسعة الرزق في عهد خليفتهم الجديد.

ثم يختم خطبته بعبارات قصيرة بليغة رائعة، فيها من الحكمة والموعظة الكثير، وأسلوب المأمون في خطبته يجسد لنا سمات الخطبة في العصر العباسي الأول، فسهولة الألفاظ وجزالتها، وقصر العبارات، والإيجاز، كانت من أبرز سمات الخطبة في هذا العصر، وكل تلك السمات نراها قد تجسدت في هذه الخطبة، كما أنَّ ألفاظ الخطبة تسير مع الجو النفسي الذي فرضه الموقف ومقتضى الحال، فالموقف موقف حزن وتأبين، فهو لا يسمح بالإطالة والتصنع في الألفاظ.

من نماذج النثر الفني

مختارات من أدب الجاحظ

التعريف بالجاحظ:

هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، سُمّيَ بالجاحظ لجحوظ عينيه، ولِد عام (١٥٩هـ)، ونشأ في أسرة فقيرة في مدينة البصرة، وقد تألقت شمس حضارتها وأينعت ثمار علومها وآدابها.

استهوته ألوان الثقافة فمضى ينهل من ينابيع المعرفة في حلقات المساجد وسوق المربد، وفي بطون الكتب بدكاكين الورّاقين، فكان يكتري دُكّان الورّاق منهم، فيبيت فيها ليلًا ليقرأ ما فيها من كتب، وظلَّ يقرأ طوال عمره، ولم ينقطع عن القراءة حتى لما أصيب بالشلل آخر أيّامه.

ساعده على استيعاب العلوم شغفه الشديد بالقراءة وذكاؤه النادر، ومَلَكة حفظه العجيبة، حتى أصبح موسوعة في العلم والأدب لثقافات عصره من عربية وفارسية ويونانية وهندية.

ارتحل إلى بغداد وخالط أوساطها العلمية والأدبية، وصار نابغة عصره، ومؤلفاته الكثيرة التي عدّها بعضهم بالمئات خير شاهد ودليل على نبوغه وعبقريته، وأشهر ما وصل إلينا من هذه المؤلفات:

١ **كتاب البيان والتبيين:** وهو كتاب مكون من جزءين، مزج فيه الجاحظ بين علوم الأدب والبلاغة والتاريخ.

٢ **كتاب الحيوان:** وهو من سبعة أجزاء، ويعد موسوعة تمثل ثقافة العصر العباسي المتنوعة، والكتاب ليس مقصورًا على الحيوان كما يدل اسمه، فقد حوى طائفة من المعارف الطبيعية والمسائل الفلسفية، وخصائص البلدان، وتأثير البيئة في الحيوان والإنسان والشجر.

٣ **البخلاء**: وهو كتاب مكون من جزء واحد، عرض فيه الجاحظ قصصاً طريفة عن نماذج إنسانية من بخلاء عصره.

لقد خطا الجاحظ بالكتابة الفنية عند العرب خطوة جديدة نحو التعبير عن جميع الموضوعات في سحر وبيان عذب، ومال في كتابته إلى الواقعية، فمثل عصره تمثيلاً دقيقًا بكل ما فيه من حقائق، ولذلك كان يدقق في اختيار الألفاظ بما يناسب ما يصوره من دون أن يهتم بالصور الفنية من تشبيهات واستعارات وكنايات، وإذا وردت مثل هذه الصور فهي من أجل الإبانة عن المعنى بطريقة واقعية محسوسة، كما ركّز على الإيقاع الصوتي في ألفاظه عن طريق لجوئه إلى صور مختلفة من التكرار.

ومن أسلوبه أنَّه يميل إلى الاستطراد فتراه ينتقل من موضوع إلى موضوع آخر بخلق رابط بين الموضوعين، وما ذلك إلا لدفع السأم والملل عن القارئ.

عاش الجاحظ طويلًا، إذ مات وعمره ستة وتسعون عامًا، بعد أن انهار جانب من رفوف مكتبته عليه، فمات رَحِمَهُ ٱللَّهُ عام (٢٥٥هـ)، والنص الآتي من كتابه (الحيوان)، يسوق فيه الجاحظ حكاية من زمنه بأسلوبه الذي سبق ذكره.

من كتابِ الحيوان للجاحظ يصفُ (قاضي البصرة)

النَّـصُّ:

للاطلاع فحسب

قال الجاحظ يصفُ (قاضي البصرة):

((كان لنا بالبصرة قاضٍ يقال له عبدُ الله بن سوّار، لم يرَ النّاس حاكماً قطّ زمّيتاً، ولا رِكّيناً، ولا وقوراً حليماً، ضَبَط من نفسه، ومَلَكَ من حركته مثل الذي ضبط وملك. كان يصلّي الغداة في منزله، وهو قريب الدّار من مسجده، فيأتي مجلسه فيحتبي ولا يتّكي، فلا يزال منتصباً ولا يتحرّكُ له عضو، ولا يلتفت، ولا

يَحلّ حبوته، ولا يحوّلُ رجلاً عن رجل، ولا يعتمد على أحد شقّيه، حتّى كأنّه بناء مبنيّ، أو صخرة منصوبة. فلا يزال كذلك، حتّى يقوم إلى صلاة الظهر ثمّ يعود إلى مجلسه فلا يزال كذلك حتى يقوم إلى العصر، ثمّ يرجع لمجلسه، فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة المغرب، ثمّ ربما عاد إلى محلّه، بل كثيراً ما كان يكون ذلك إذا بقي عليه من قراءة العهود والشّروط والوثائق، ثمّ يصلّي العشاء الأخيرة وينصرف.

فبينا هو كذلك ذات يوم وأصحابه حواليه، وفي السِّماطَين بين يديه، إذ سقط على أنفه ذباب فأطال المكث، ثمّ تحوّل إلى مؤق عينه، فرام الصّبر في سقوطه على المؤق، وعلى عضّه ونفاذ خرطومه، كما رام من الصبر على سقوطه على أنفه من غير أن يحرّك أرنبته، أو يُغضّنَ وجهه، أو يذبّ بإصبعه. فلمّا طال ذلك عليه من الذباب وشغله وأوجعه وأحرقه، وقصد إلى مكان لا يحتمل التّغافل، أطبق جفنه الأعلى على جفنه الأسفل فلم ينهض، فدعاه ذلك إلى أن والى بين الإطباق والفتح، فتنحّى ريثما سكن جفنه، ثمّ عاد إلى مؤقه بأشدّ من مرّته الأولى فغمس خرطومه في مكان كان قد أوهاه قبل ذلك، فكان احتماله له أضعف، وعجزه عن الصّبر في الثانية أقوى، فحرّك أجفانه وزاد في شدّة الحركة، وفي فتح العين، وفي تتابع الفتح والإطباق، فتنحّى عنه بقدر ما سكنت حركته، ثمّ عاد إلى موضعه، فما زال يلحّ عليه حتى استفرغ صبره وبلغ مجهوده. فلم يجد بدّا من أن يذبّ عن عينيه بيده، ففعل، وعيون القوم إليه ترمقه، وكأنّهم لا يرونه، فتنحّى عنه بقدر ما ردّ يده وسكنت حركته ثمّ عاد إلى موضعه، ثمّ ألجأه إلى أن ذبّ عن وجهه بطرف كُمّه، ثم ألجأه إلى أن تابع بين ذلك، وعلم أنّ فعله كلّه بعين من حضره من أمنائه وجلسائه. فلمّا نظروا إليه قال: أشهد أنّ الذّباب ألحّ من الخنفساء، وأزهى من الغراب! وأستغفر الله، فما أكثر من أعجبته نفسه فأراد الله عزّ وجلّ أن يعرّفه من ضعفه ما كان عنه مستوراً، وقد علمت أني عند الناس من أزمت الناس، فقد غلبني وفضحني أضعف خلقه، ثمّ تلا قوله تعالى: ((وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ)).

معاني المفردات والتراكيب اللغوية

المفردات	المعنى
الزمّيت	المتكلّف الوقار
الركّين	الرزين
يصلي الغداة	يصلي الفجر
السِّماط	الصف
المؤق	مقدمة العين من جهة الأنف

الشرح والتحليل:

يتحدث الجاحظ في هذا النص عن واقعة محددة هي وقار القاضي ابن سوار ورزانته المبالغ فيها، ورزانته المتكلفة، فيجسد حاله بقوله: إنه لا يستند على أحد جنبيه، ولا يحرك إحدى رجليه ولا يلتفت، ولولا أنه يتكلم وهو محتبٍ لحسب الناظر إليه أنه جماد.

وكلام الجاحظ في الفقرة الأولى إنما هو تمهيد للحادثة موضوع النص التي ستخرج ابن سوار عن وقاره وكِبَرِه.

فالحادثة أنه بينما هو كعادته جالس في وقاره ورزانته الزائدة عن الحد، وأصحابه حواليه في صفين في الجامع، سقط ذباب على أنفه ومكث طويلاً، فلم يلقِ له بالاً، ولم يحرك أرنبته، لكن الذباب تحول إلى مؤقه، وهي منطقة رقيقة، والوخز فيها مؤلم، فأحرق الألم القاضي، لكنه تحامل على نفسه، وأراد أن يبلغ أعلى حد للصبر، غير أن لسع الذباب فاق صبره واحتماله، فصار يطبق جفنيه ويفتحهما مرات متتابعة متسارعة، لكن الذباب لم يرتدع ولم يمتنع، مما اضطره إلى أن يذب عن عينيه بيده، وهو أمر لم يعهده فيه مَنْ حوله، فكانوا يرمقونه بنظراتهم وكأنهم لا يرونه، فلما رأى ابن سوار أنه قد خرج عن وقاره المعهود أمام أصحابه، أدرك أنّ

الذباب قد أهانه وأدّبه، وأخرجه من وقاره المصطنع، وأن الله أراد يذلّه لينهاه عما كان من شأنه.

ففي هذا النص أبدع الجاحظ في تجسيد عناصر القصة القصيرة الحديثة، وقوامها: الحدث، والشخصيات، والزمان، والمكان، والحبكة، والحل، والفكرة.

فالحدث، ما جرى من شأن ابن سوّار مع الذباب، والشخصيات، هم ابن سوّار وأصحابه، والزمان، نهاراً في أحد الأيام، والمكان، مجلس القاضي بالبصرة، والحبكة أو العقدة، تسلسله في وصف القاضي وحاله، ثم سرده حدث الذباب وسقوطه على أنفه، إلى أن يصل إلى نهاية القصة فنجد فيها الحل، وهو استعمال القاضي ليديه وكمّه في طرد الذباب، والفكرة، تلخصها الآية الكريمة في نهاية القصة، وهي أن الإنسان مهما زها بنفسه وبلغ به الكبر فإنه في حقيقته ضعيف.

فالجاحظ بذلك سابق عصره، ورائد في مجاله، وأسلوبه واضح في قصته، فنجد الإسهاب في وصف القاضي، وهجوم الذباب عليه، كما أنه لجأ إلى التكرار في بعض المواضع، كاستعماله للألفاظ (زميتاً، وركّيناً، ووقوراً، وحليماً) في موضع واحد بدلالة متقاربة، كما أن لغته سهلة عذبة، ليست بالغريبة ولا المعقدة.

والجاحظ في هذه القصة يصور لنا حادثة واقعية، وأراد في الوقت نفسه أن يوصل إلى القارئ وجهة نظره في المبالغة في الكبر وتصنّع الرزانة والوقار، فالتدقيق في وصف حركات ابن سوار وتصرفاته توحي إلى القارئ أن الجاحظ ممتعض من حال هذا القاضي ووقاره المتكلَّف المبالغ فيه.

المناقشـــة

١ بلغ النثر الفني أوج تطوره في العصر العباسي الأول. علل ذلك.

٢ ما النثر الفني؟ ومن أبرز من أبدع في هذا اللون من الكتابة في العصر العباسي الأول؟

٣ لماذا آثر كتّاب هذا العصر التأنق والإطالة والتكرار في كتاباتهم؟

٤ ما سمات أسلوب ابن المقفع في الكتابة؟

٥ ما الذي يميز أسلوب الجاحظ عن أسلوب ابن المقفع في الكتابة؟

٦ ظلت الخطابة قوية في أوائل العصر العباسي الأول. علل ذلك.

٧ ما الذي تميزت به الخطابة في العصر العباسي الأول؟

٨ ما الرسائل الديوانية؟ وما أغراضها؟

٩ ما التوقيعات؟ اذكر مثالين مما تحفظ منها.

١٠ من المأمون؟ وما مناسبة خطبته؟

١١ كيف استهل المأمون خطبته؟ وهل دخل إلى الغرض من خطبته مباشرة؟

١٢ لماذا آثر المأمون عدم الإطالة والتصنع في ألفاظ خطبته؟

١٣ من أين استقى الجاحظ ثقافته؟ وما المقصود بالورّاقين؟

١٤ بِمَ تميز أسلوب الجاحظ؟ وما أشهر مؤلفاته؟ وما الغاية من التكرار في كتاباته؟

١٥ ما رأي الجاحظ في التزام القاضي الوقار والرزانة المبالغ فيها؟

١٦ ما الغاية من قصة الجاحظ في رأيك؟

٦

الوَحْـدَةُ السادسة

الأدب العربي في العصر العباسي الثاني

بعد الانتهاء:

من دراسة هذه الوحدة يتوقع من الطالب أن يكون قادرًا على أن:

١. يذكر بعض المظاهر التجديدية في شعر العصر العباسي الثاني.

٢. يوضح صورة التجديد النثرية في العصر العباسي الثاني.

٣. يبين فن المقامات.

٤. يحفظ بعضًا من نصوص هذا العصر، ويمتلك القدرة على شرحها.

الدَرس الأول:
العصر العباسي الثاني
الشعر في العصر العباسي الثاني

ظلَّ الشعر في العصر العباسي الثاني محافظاً على مكانته لدى حكام هذا العصر على الرغم من ضعف دولة الخلافة، فحكام الدويلات التي قويت مع ضعف دولة بني العباس كانوا يحبون أن يتشبهوا بالخلفاء في العظمة والسلطان، وهذا الأمر جعلهم يقربون الشعراء ويغدقون عليهم الهدايا والعطايا؛ فقد ضم بلاط سيف الدولة الحمداني في حلب عدداً كبيراً من الشعراء على رأسهم المتنبي.

مظاهر التجديد في شعر هذا العصر

ظهرت في هذا العصر تيارات تجديدية في الشعر مواكبة للواقع الاجتماعي والسياسي السائد آنذاك، ومن أبرز شعراء هذا العصر: أبو الطيب المتنبي، وابن الرومي، وأبو العلاء المعرّي، وعلي بن الجهم، وأبو فراس الحمداني، وقد اتخذ هذا التجديد مظاهر عدة، هي:

١ **التجديد في الصور والمعاني:** ظهر تأثير الفلسفة واضحاً جليّاً على أساليب كثير من الشعراء في ذلك العصر، فالصور الفنية ليست هي ذاتها التي كانت في العصر العباسي الأول؛ إذ أطلق شعراء القسم الثاني من العصر العباسي لخيالهم العنان، نتيجة لتأثرهم بالفلسفة اليونانية وغيرها، فاعتمدوا على الجانب المعنوي الوجداني أكثر من اعتمادهم على الجانب الحسي الملموس، وغيروا في المعاني القديمة المتوارثة، فنشأ عندهم نوع من البديع يُسمّى (حُسن التعليل)، فابن الرومي يرى أن احمرار الورد إنَّما هو خجل من تفضيله على النرجس، ممن لا يقدرون جماله من الشعراء الذين وصفوا الخدود بالتورّد، بينما يصفون لون العيون بالنرجس، فمن وجهة نظره أن لا مجال لمقارنة جمال العيون بحمرة الخدود، يقول ابن الرومي:

خجلتْ خدود الورد من تفضيله خجلاً تورّدُها عليه شاهــدُ
أين العيونُ من الخدودِ نفاســةً ورياسةً لولا القياسُ الفاسدُ

ومن ذلك أيضاً قول المتنبي:

ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر

وهذا المعنى في الأصل لأرسطو في قوله: (من أفنى حياته في جمع المال خوفاً من العدم، فقد أسلم نفسه للعدم).

٢ **المعاني الجديدة في الهجاء:** تحوّل الهجاء في هذا العصر إلى لوحة من المعاني المبتكرة الفرطة في الخيال، فمثال ذلك قول ابن الرومي في وصف بخيل:

يُقتّر عيسى على نفسه وليس بباقٍ ولا خالدِ
فلو يستطيعُ لتقتيرهِ تنفّس من منخرٍ واحدِ

٣ **التطوّر في شعر الزهد:** غلب على شعراء الزهد في هذا العصر فكرة مناجاة الذات الإلهية، فتحول الزهد لديهم من الخوف والرهبة إلى الحبّ والرجاء، فتغنوا بالحب الإلهي عشقاً وهياماً.

يقول أبو سعيد الخراز في حديثه عن حنين قلوب العارفين إلى اطمئنان النفس بذكر الله تعالى:

حنين قلوب العارفين إلى الذّكرِ وتذكارهم عند المناجاة للسّرِّ
همومهمُ جوّالةٌ بمعسكرٍ به أهل ودِّ الله كالأنجمِ الزُهرِ
فأجسامهم في الأرض قتلى بحبّه وأرواحهم في الحُجبِ نحو العلا تسري

من نماذج الشعر في العصر العباسي الثاني

المتنبي يمدح سيف الدولة الحمداني

التعريف بالشاعر:

هو أحمد بن الحسين، كنيته أبو الطيِّب ولقبه المتنبي، قيل أنّه لُقِّب بالمتنبي لادّعائه النبوة، وقيل لتفوقه في الشعر على من سبقه ومن جاء بعده، ولد في الكوفة عام (٣٠٣هـ) من أبوين فقيرين، فقد كان أبوه سقّاءً، سافر وهو صغير إلى الشام، متنقلًا من البادية إلى الحاضرة. كان منذ نشأته طموحًا عالي الهمة كبير النفس، نال حظه من علوم اللغة والأدب، فأخذ يضرب في الأرض ابتغاء الرزق واكتساب المجد، وأبو الطيب يمثل قمة نضج الشعر العربي وزهوه وقوته.

وشعر المتنبي شغل الدنيا، وحظي باهتمام كبير لم يحظَ به شاعر آخر، فقد كان النقاد واللغويون ينظرون في شعره مليّاً، فيظهرون معاني خفية لم تكن تخطر على بال المتنبي نفسه، ومن هؤلاء اللغويين ابن جني العالم الشهير، إذ يروى أن المتنبي قال لمّا سُئل عن شعره: (ابن جنّي أعلم بشعري منّي)، وليس غريبًا اهتمام هؤلاء اللغويين بشعر المتنبي؛ فقد اجمع النقاد على أن شعره قد حمل صورًا وتعبيرات جديدة لم تأتِ في شعر غيره من الشعراء السابقين أو المعاصرين له. وللمتنبي أبيات كثيرة صارت أمثالًا يتداولها الناس إلى يومنا هذا.

بدأت شهرة المتنبي مع اتصاله بأبي العشائر والي أنطاكية، فأكرمه ثم قدّمه إلى سيف الدولة في حلب، مشيداً بمنزلته في الشعر والأدب، فضمّه سيف الدولة إليه، وأمر بتعليمه الفروسية والطرد حتى لا يفارقه في الحرب والسلم، فقال في مدح سيف الدولة مدائح كثيرة.

لكن علاقتهما ساءت بسبب الحساد والوشايات، ففارق المتنبي حلب إلى مصر عام (٣٤٦هـ)، وهناك أقام خمس سنوات، مدح فيها كافور الأخشيدي حاكم مصر،

لكن كافور لم يكن كسيف الدولة، فيئس المتنبي من أن يحظى بمجد في مصر، كما أن كافورًا أوجس منه خيفة لتعاليه في شعره، فخرج المتنبي من مصر متخفيًّا إلى بغداد، وكان قد هجى كافورًا قبل خروجه بقصيدته الداليّة، وفيها قوله:

جودُ الرّجالِ من الأيدي وجودُهُمُ ... من اللسانِ فلا كانوا ولا الجودُ

إنّي نزلتُ بكذّابينَ ضيفهُمُ ... عن القِرى وعن الترحالِ محدودُ

وبعد أن قضى في العراق ردحًا من الزمن سافر إلى أرّجان وشيراز، حيث قابل عضد الدولة، وفي طريق عودته إلى العراق وقع في كمين نصبه له فاتك الأسدي؛ لأنَّ المتنبي كان قد هجاه، فدافع عن نفسه، ومات ميتة المقاتلين الشجعان سنة (٣٥٤هـ).

النَّصُّ:

للحفظ ستة أبيات

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ العَزْمِ تَأتِي العَزَائِمُ ... وَتَأتِي عَلَى قَدْرِ الكِرَامِ المَكَارِمُ

وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيْرِ صِغَارُهَا ... وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ العَظِيْمِ العَظَائِمُ

إِذَا كَانَ مَا تَنْوِيْهِ فِعْلًا مُضَارِعًا ... مَضَى قَبْلَ أَنْ تُلْقَى عَلَيْهِ الجَوَازِمُ

وَكَيفَ تُرَجّي الرومُ وَالروسُ هَدمَهَا ... وَذَا الطَّعْنُ آسَاسٌ لَهَا وَدَعَائِمُ

أَتوكَ يَجُرّونَ الحَدِيدَ كَأَنَّهُم ... سَرَوا بِجِيادٍ ما لَهُنَّ قَوائِمُ

إِذا بَرَقوا لَم تُعرَفِ البيضُ مِنهُمُ ... ثِيابُهُمُ مِن مِثلِها وَالعَمائِمُ

خَميسٌ بِشَرقِ الأَرضِ وَالغَربِ زَحفُه ... وَفي أُذُنِ الجَوزاءِ مِنهُ زَمازِمُ

تَجَمَّعَ فيهِ كُلُّ لِسنٍ وَأُمَّةٍ ... فَما تُفهِمُ الحُدّاثَ إِلّا التَراجِمُ

وَقَفتَ وَما في المَوتِ شَكٌّ لِواقِفٍ ... كَأَنَّكَ في جَفنِ الرَدى وَهوَ نائِمُ

تَمُرُّ بِكَ الأَبطالُ كَلمى هَزيمَةً ... وَوَجهُكَ وَضّاحٌ وَثَغرُكَ باسِمُ

ضَمَمتَ جَناحَيهِم عَلى القَلبِ ضَمَّةً ... تَموتُ الخَوافي تَحتَها وَالقَوادِمُ

وَمَن طَلَبَ الفَتحَ الجَليلَ فَإِنَّما ... مَفاتيحُهُ البيضُ الخِفافُ الصَوارِمُ

معاني المفردات والتراكيب

المفردات	المعنى
العزائم	جمع عزيمة، وهو ما يعزم عليه الإنسان.
الآساس	جمع أساس، وهو ما يُبنى عليه.
الدعائم	جمع دعامة، وهي عماد البيت.
البيض	السيوف.
الخميس	الجيش العظيم.
الجوزاء	أنجمٌ في السماء.
الزمازم	جمع زمزمة، وهي الأصوات الشديدة التي لا تُفهم لتداخلها
اللِّسن	اللغة.
الحدّاث	جمع لا مفرد له من لفظه، وهو بمعنى متحدث أو متكلم.
التراجم	جمع ترجمان.
الجناحان	جانبا الجيش، أي: الميمنة والميسرة.
الخوافي	أربع ريشات من جناحي الطائر تختفي عندما يضم الطائر جناحيه.
القوادم	أربع ريشات في أول الجناحين.
الصوارم	جمع صارم، وهو القاطع.

الشرح والتحليل:

يبدأ المتنبي قصيدته ببيت يُعد من أقوى ما استهلّتْ به القصائد، يقول فيه: إن إنجاز الأمور يكون على قدر طموح أصحابها وعلوّ هممهم، فالأمور الصغيرة تكبر في عين صغير الهمة، والأمور العظيمة تبدو صغيرة هيّنة في عين الإنسان عظيم الهمَّة.

ويخاطب الشاعر سيف الدولة قائلاً: إنك إذا نويت أمراً فإنك تفعله وتحققه من

دون أن يحول بينك وبينه حائل. إذ كيف ترجو الروم والروس هدم قلعتك التي في الثغر وهي قد بنيت على الطعن والقتال.

ثم يبدأ بوصف جيش الروم، فيقول: إن دروعهم غطت أجسامهم، وخيولهم كأنها من دون قوائم من الحديد الذي يغطيها، فلا يكاد يميز الرائي بين سيوفهم وما عليهم من حديد من شدة بريقه، وصخب هذا الجيش منتشر في كل الأنحاء، حتى إن أصواتهم تصل إلى الجوزاء، وهم مجتمعون من مختلف أنحاء الأرض فلا يكادون يتكلمون بينهم إلا بترجمان.

ثم يعود فيخاطب سيف الدولة فيقول: إنك قد وقفت بينهم وقفة شجاع لا يخشى الموت، على الرغم من أن الجنود الشداد يمرون أمامك مهزومين وجروحهم دامية، وهذا من شأنه أن يثبط عزم أي مقاتل، لكنك كنت قوي العزيمة مشرق الوجه مبتسماً واثقاً بنصر الله.

ثم لففت أطرافهم على وسطهم فأهلكت الجميع بقتل أولهم وآخرهم، فمن يطلب النصر العظيم إنما مفاتيحه السيوف القاطعة البيضاء. فكأنه ينصح من أراد نصراً عظيماً أن يخطو خطى سيف الدولة الحمداني.

المناقشـــة

١ ناقش هذه العبارة: (ظل الشعر محافظًا على مكانته في العصر العباسي الثاني لدى حكام الدويلات على الرغم من ضعف الدولة العباسية).

٢ من أبرز الشعراء الذين حملو راية التجديد الشعري في القرن الثاني الهجري.

٣ ما مظاهر التجديد التي اتخذها الشعر في العصر العباسي الثاني؟

٤ كيف كان تأثير الفلسفة على الشعر في هذا العصر؟

٥ كيف تحول الهجاء في هذا العصر إلى لوحة من المعاني المبتكرة.

٦ ما الأسلوب الذي اتخذه شعراء الزهد في هذا العصر؟

٧ ما اسم المتنبي وما كنيته؟ وفي أي قرن عاش؟ ومن قتله؟ ولماذا؟

٨ ما مكانة المتنبي في الشعر العربي؟

٩ لماذا حظي المتنبي باهتمام كبير من قبل النقاد؟

١٠ ارتبطت شهرة المتنبي باتصاله بسيف الدولة، وضح ذلك.

١١ ما صفات جيش الروم في قصيدة المتنبي؟

١٢ كيف هي ردة فعل سيف الدولة على مرور الأبطال من أمامه مثخنين بجراحهم؟ وما البيت الذي يعبّر عن ذلك؟

الدَرس الثاني:
العصر العباسي الثاني
النثر في العصر العباسي الثاني

لا يختلف النثر في العصر العباسي الثاني عن الأول إلا في بعض التفاصيل الصغيرة؛ فالنثر الفني في هذا العصر كان امتداداً لنظيره في العصر الذي سبقه، والرسائل فيه لم تخرج عن الأسلوب والأغراض التي كانت سائدة في العصر العباسي الأول، إلا أنّ الخطابة بأنواعها ضعفت في هذا العصر؛ فلم يعد هناك من الخلفاء أو الولاة أو القادة أو رجال الدين من يمتلك المقدرة اللغوية التي تؤهله للقيام بدور الخطيب إلا القليل. وفي المقابل ظهر في هذا العصر نوع من أنواع النثر الفني لم يكن موجوداً في العصر العباسي الأول، ألا وهو المقامات، وفيما يأتي تعريف مفصل بها.

المقامات

المقامات حكايات قصيرة، تشتمل كلُّ واحدة منها على حادثة لا تستغرق غالباً أكثر من مقامة (جلسة) وتنتهي بعِظةٍ أو مُلحة. وتتسم المقامات بأناقة الأسلوب والتكلّف والتصنّع في انتقاء الألفاظ والجمل المسجوعة.

والمقامات دروس في اللغة والبيان وضروب المعرفة الأخرى كما يرى بعض النقّاد، أملاها بديع الزمان الهمذاني على طلابه، وجعلها بأسلوب قصصي لتكون ممتعة بعيدة عن الجفاف. استقى مادتها من فئة من الناس الأذكياء الظرفاء لجأت إلى الاستجداء، وسلكت سبل الاحتيال والتغرير بالسذّج بعد أن ضاقت سبل الرزق أمامها في ذلك العصر المضطرب.

وفيما يأتي نموذج لإحدى مقامات الهمذاني:

المقامة البغدادية

التعريف بالكاتب:

هو أبو الفضل أحمد بن الحسين بديع الزمان الهمذاني، الشاعر الناثر، معجزة هَمَذان، وفريدة دهره روايةً وحفظًا، وغُرّة عصره بديهة وذكاءً. ولد عام (٣٥٨هـ) في همذان إحدى مدن فارس الشمالية، درس العلوم بالفارسية والعربية، ثم درس العربية وآدابها، وبرع فيهما ولم يترك أديبًا في همذان إلاّ استنفذ ما عنده، غادرَ همذان إلى مدين الرّي في ريعان شبابه عام (٣٨٠هـ).

أملى أربعمئة مقامة في نيسابور بطلها وراويها "عيسى بن هشام"، في الكدية (الشحاذة) وغيرها، بلفظ رشيق، وسجعٍ رقيق، غير أن هذه المقامات لم يصل إلينا منها إلاّ بضع وخمسون.

ارتفع شأنه بين الملوك والأمراء بعد أن توفي الخوارزمي الذي كان يخوض معه مناظرات كثيرة، فنال رغدًا من العيش، ثم استقرَّ في (هرات) ومات فيها سنة (٣٩٨هـ) وهو في الأربعين من عمره، واختُلِفَ في سبب موته، فقيل مات مسمومًا، وقيل مات بالسكتة.

المقامة البغدادية

النَّـصُ:

للدرس فحسب

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ:

((اشْتَهَيْتُ الأَزَاذَ، وأَنَا بِبَغْدَاذَ، وَلَيسَ مَعِي عَقْدٌ عَلى نَقْدٍ، فَخَرَجْتُ أَنْتَهِزُ مَحَالَّهُ حَتَّى أَحَلَّنِي الكَرْخَ، فَإِذَا أَنَا بِسَوادِيٍّ يَسُوقُ بِالجَهْدِ حِمارَهُ، وَيَطَرِّفُ بِالعَقْدِ إِزَارَهُ،

فَقُلْتُ: ((ظَفِرْنَا وَاللهِ بِصَيْدٍ، وَحَيَّاكَ اللهُ أَبَا زَيْدٍ، مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ؟ وَأَيْنَ نَزَلْتَ؟ وَمَتَى وَافَيْتَ؟ وَهَلُمَّ إِلَى البَيْتِ)).

فَقَالَ السَّوادِيُّ: ((لَسْتُ بِأَبِي زَيْدٍ، وَلَكِنِّي أَبُو عُبَيْدٍ)).

فَقُلْتُ: ((نَعَمْ، لَعَنَ اللهُ الشَّيطَانَ، وَأَبْعَدَ النِّسْيانَ، أَنْسَانِيكَ طُولُ العَهْدِ، وَاتِّصَالُ البُعْدِ، فَكَيْفَ حَالُ أَبِيكَ؟ أَشَابٌ كَعَهْدِي، أَمْ شَابَ بَعْدِي؟)).

فَقَالَ: ((قَدْ نَبَتَ الرَّبِيعُ عَلَى دِمْنَتِهِ، وَأَرْجُو أَنْ يُصَيِّرَهُ اللهُ إِلَى جَنَّتِهِ)).

فَقُلْتُ: ((إِنَّا للهِ وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَلاَ حَوْلَ ولاَ قُوةَ إِلاَّ بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ))، وَمَدَدْتُ يَدَ البِدَارِ إِلَى الصِدَارِ، أُرِيدُ تَمْزِيقَهُ، فَقَبَضَ السَّوادِيُّ عَلَى خَصْرِي بِجُمعِهِ، وَقَالَ: ((نَشَدْتُكَ اللهَ لا مَزَّقْتَهُ)).

فَقُلْتُ: ((هَلُمَّ إِلَى البَيْتِ نُصِبْ غَدَاءً، أَوْ إِلَى السُّوقِ نَشْتَرِ شِواءً، وَالسُّوقُ أَقْرَبُ، وَطَعَامُهُ أَطْيَبُ))، فَاسْتَفَزَّتْهُ حُمَةُ القَرَمِ، وَعَطَفَتْهُ عَاطِفَةُ اللَّقَمِ، وَطَمِعَ، وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ وَقَعَ، ثُمَّ أَتَيْنَا شَوَّاءً يَتَقَاطَرُ شِوَاؤُهُ عَرَقاً، وَتَتَسَايَلُ جُوذَابَاتُهُ مَرَقًا، فَقُلْتُ: ((افْرِزْ لأَبِي زَيْدٍ مِنْ هَذا الشِّواءِ، ثُمَّ زِنْ لَهُ مِنْ تِلْكَ الحَلْواءِ، واخْتَرْ لَهُ مِنْ تِلْكَ الأَطْباقِ، وانْضِدْ عَلَيْهَا أَوْرَاقَ الرُّقَاقِ، وَرُشَّ عَلَيْهِ شَيْئاً مِنْ مَاءِ السُّمَّاقِ، لِيَأْكُلَهُ أَبُو زَيْدٍ هَنِيًّا))، فَأَنْحَى الشَّواءُ بِسَاطُورِهِ، عَلَى زُبْدَةِ تَنُّورِهِ، فَجَعَلَها كَالكَحْلِ سَحْقاً، وَكَالطِّحْنِ دَقّا، ثُمَّ جَلَسَ وَجَلَسْتُ، ولا يَئِسَ وَلا يَئِسْتُ، حَتَّى اسْتَوفَيْنَا، وَقُلْتُ لِصَاحِبِ الحَلْوَى: ((زِنْ لأَبِي زَيْدٍ مِنَ اللُّوزِينجِ رِطْلَيْنِ فَهُوَ أَجْرَى فِي الحُلُوقِ، وَأَمْضَى فِي العُرُوقِ، وَلْيَكُنْ لَيِّلَي العُمْرِ، يَوْمِيَّ النَّشْرِ، رَقِيقَ القِشْرِ، كَثِيفَ الحَشْوِ، لُؤْلُؤِيَّ الدُّهْنِ، كَوْكَبِيَّ اللَّوْنِ، يَذُوبُ كَالصَّمْغِ، قَبْلَ المَضْغِ، لِيَأْكُلَهُ أَبُو زَيْدٍ هَنِيًّا))، قَالَ: فَوَزَنَهُ ثُمَّ قَعَدَ وَقَعَدْتُ، وَجَرَّدَ وَجَرَّدْتُ، حَتَّى اسْتَوْفَيْنَاهُ، ثُمَّ قُلْتُ: ((يَا أَبَا زَيْدٍ مَا أَحْوَجَنَا إِلَى مَاءٍ يُشَعْشِعُ بِالثَّلْجِ، لِيَقْمَعَ هَذِهِ الصَّارَّةَ، وَيَفْثَأَ هذِهِ اللُّقَمَ الحَارَّةَ، اجْلِسْ يَا أَبَا زَيْدٍ حَتَّى نَأْتِيكَ بِسَقَّاءٍ، يَأْتِيكَ بِشَرْبَةِ ماءٍ)).

ثُمَّ خَرَجْتُ وَجَلَسْتُ بِحَيْثُ أَرَاهُ ولاَ يَرَانِي أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُ، فَلَمَّا أَبْطَأْتُ عَلَيْهِ قَامَ السَّوادِيُّ إِلَى حِمَارِهِ، فَاعْتَلَقَ الشَّوَّاءُ بِإِزَارِهِ، وَقَالَ: ((أَيْنَ ثَمَنُ ما أَكَلْتَ؟))، فَقَالَ: أَبُو

زَيْد: ((أَكَلْتُهُ ضَيْفَاً))، فَلَكَمَهُ لَكْمَةً، وَثَنَّى عَلَيْهِ بِلَطْمَةٍ، ثُمَّ قَالَ الشَّوَّاءُ: ((هَاكَ، وَمَتَى دَعَوْنَاكَ؟ زِنْ يَا أَخَا القِحَةِ عِشْرِينَ))، فَجَعَلَ السَّوَادِيُّ يَبْكِي وَيَحُلُّ عُقَدَهُ بِأَسْنَانِهِ وَيَقُولُ: ((كَمْ قُلْتُ لِذَاكَ القُرَيْدِ، أَنَا أَبُو عُبَيْدٍ، وَهُوَ يَقُولُ: أَنْتَ أَبُو زَيْدٍ))، فَأَنْشَدَتْ:

أَعْمِلْ لِرِزْقِكَ كُلَّ آلَهْ ... لاَ تَقْعُدَنَّ بِكُلِّ حَالَهْ

وَانْهَضْ بِكُلِّ عَظِيمَةٍ ... فَالمَرْءُ يَعْجِزُ لاَ مَحَالَهْ

معاني المفردات والتراكيب

المفردات	المعنى
الأزاذ	من أجواد أنواع التمور
النقد	النقود
محالّه	جمع محل، أي: أمكنة بيع الأزاذ.
أنتهز	أي ألتمس الوقوف عليها.
الكرخ	الجانب الغربي من بغداد.
السوادي	الرجل المنسوب إلى السواد، وهي مناطق ريف العراق.
يطرف بالعقد إزاره	يعقد بين طرفي ثوبه.
دمنته	قبره.
البدار	المسارعة.
الصدار	ثوب يلي الجسد.
جُمع الكف	قبضته.
القرم	الشهوة إلى اللحم.
العرق	ما يفرز من دهن الشواء.
جوذابات	جمع جوذابة، وهو خبز يخبز بالتنور.
الرقاق	الخبز الرقيق.

اللوزينج	نوع من الحلوى يحشّى بالجوز واللوز وما شابههما.
أجرى في الحلوق	أسرع سيراً فيها.
أمضى في العروق	أشد سرياناً فيها لسرعة هضمه.
ليلي العمر	صنع في الليل.
يومي النشر	معروض في يومه.
جرّد	شمّر عن ساعده.
يشعشع	يُمزج.
يقمع الصارة	يقهر العطش.
يفثأ	يسكّن.
اعتلق بإزاره	تعلّق به.
القحة	الوقاحة.
عقده	أي عقد كيس النقود.
القريد	تصغير قرد.

الشرح والتحليل:

يتحدث الهمذاني على لسان شخصيته الخيالية عيسى بن هشام، فيقول: إنه اشتهى نوعاً من التمر الجيد (الإزاذ) حين كان في بغداد، واختار لفظة (بغداذ) وهي اسم من أسماء بغداد لتلائم ما ينشده من سجع؛ وذلك من أجل أن يوصل أغراضاً ودلالات كالتطريب اللفظي واستعراض المقدرة اللغوية.

فخرج عيسى ماراً بالمحلات التي تبيع هذا النوع من التمر حتى وصل إلى الكرخ، فرأي هناك رجلاً ريفياً يسوق حماراً، وقد عقد طرف إزاره على نقوده، فقرر أن يحتال عليه، فهب إلى هذا الريفي المسكين يرحب به ويسأله أسئلة كثيرة، فسماه أبا زيد، وهي حيلة منه ليعرف اسمه، ثم أصرَّ أنّه يعرفه، وكاد أن يشق صداره حزناً على وفاة والد الريفي الساذج لولا أن منعه واستحلفه.

ثم دعاه إلى غداء وأغراه بالشواء، فطمع الأعرابي، وظن أنها فرصة لطعام شهي، ثم قال عيسى للشوّاء: اعطِ أبا زيد من خير ما لديك من لحم، فوصفه الشواء بأوصاف سالت له لعاب الريفي، وهو لم يكف عن مناداته بأبي زيد، لكن الريفي لم يكترث لهذا الأمر، فشدة شهوته للّحم أنسته كنيته.

وبعد أن أكلا من الشواء وبالغا في الأكل، طلب عيسى رطلي حلوى من أجود الأنواع، فأكلا حتى فرغا منها ولم يتركا منها شيئاً، ثم كانت المرحلة الأخيرة من خطة عيسى بن هشام، وهي الهروب وترك الريفي يدفع ثمن ما أكلاه، فاحتال عليه بأنه سيحضر له سقّاء ليسقيه شربة ماء، وعندما تأخر ابن هشام قام الريفي ليأخذ حماره وينصرف، فأمسكه الشوّاء وشادّه وضربه، فاضطر السوادي إلى اعطائه عشرين درهماً من صرته، وهو يبكي على ماله ويسب ابن هشام على فعلته.

ثم يختم ابن هشام مقامته ببيتين من الشعر يمدح فيهما فعلته ونجاح حيلته، مع أن الاحتيال سلوك ينافي الفطرة السليمة، والقيم الأخلاقية الإنسانية والإسلامية.

المناقشة

١ لم ضعفت الخطابة في العصر العباسي الثاني؟

٢ ما المقامة؟ وما الغرض من كتابتها في رأي النقاد؟

٣ من بديع الزمان؟ ومن عيسى بن هشام؟

٤ لكثرة السجع في المقامة أُكثر من دلالة، وضح ذلك.

٥ ما الذي يثير الضحك في نص المقامة التي درستها من وجهة نظرك؟

٦ كيف وصف عيسى الشواء حين طلبه؟

٧

الوَحْـدَةُ السابعة

الأدب العربي في عصر الدول المتتابعة

بعد الانتهاء:

من دراسة هذه الوحدة يتوقع من الطالب أن يكون قادرًا على أن:

١. يذكر ملامح الحياة في هذا العصر.
٢. يوضح حال الشعر والنثر في هذا العصر.
٣. يحلل نماذج من النصوص الأدبية في هذا العصر.
٤. يستنتج خصائص الشعر والنثر في هذا العصر.
٥. يتذوّق جماليات النص الأدبي.

الدَرس الأول:
تمهيد: الأدب في عصر الدول المتتابعة

١ الحياة السياسية:

مَرَّت الدولة العباسية بعد القرن الرابع الهجري بسلسلة من عهود الضعف والتفكك؛ لانقسام الدولة إلى عدد من الدّويلات في أنحاء البلاء الإسلامية، ويرجع ذلك الضعف أيضًا إلى أسباب عدّة منها السياسي، والاجتماعي، وغيرها.

من هنا بدأ عصر جديد يسمّى بـ(عصر الدول المتتابعة) ويراد بالدول المتتابعة الدول التي نشأت بين سقوط بغداد على أيدي التتار عام ٦٥٦هـ، وبين عصر النهضة الحديثة، وهو عصر طويل جدًا، قامت فيه دول كثيرة، أشهرها دولة المماليك (٦٦٦هـ-٩٢٣هـ)، والدولة العثمانية (٩٢٣هـ-١٣٤٢هـ).

وانقسم فيه العالم الإسلامي على قسمين: القسم الشرقي: وهو العراق وما وراءه من الشرق وقد أصبح ولاية مغولية، والقسم الغربي: وهو مصر والشام وقد احتفظ باستقلاله ودافع عنه المماليك دفاعا مستميتًا بقيادة الملك المظفر قطز، إذ صمدوا للغزاة التتار، وهزموهم شر هزيمة في موقعة (عين جالوت) المشهورة، وكان للمماليك دولهم المتعدِّدة، كدولة المماليك البحرية، ودولة المماليك البرجية أو الشراكسة.

وقد آل الحكم بعد المماليك إلى الأتراك العثمانيين سنة ٩٢٣هـ، الذين أقاموا خلافتهم في عاصمتهم القسطنطينية.

٢ الحياة الفكرية

شجَّع المماليك في هذا العصر على الأخذ بأسباب الدين القويم، ورعاية القرآن، والوقوف على خدمة الحديث، وكان من مظاهر اهتمامهم بناؤهم للمدارس ودور العلم في عواصم البلاد العربية كـ(القاهرة ودمشق وبيت المقدس)، كما اهتموا

بالكتب والمكتبات العامة ولا سيّما، وقد شجَّع الحكام العلم والعلماء والطلاب، فكانت تجرى عليهم الرواتب وتُقَدَّم لهم الهدايا في المناسبات المختلفة، كما كانت رحلات العلماء من أطراف العالم الإسلامي تَتِمُّ في دورات بين مُخْتَلف مُدُنه، إذ تُهيّأ لهم الأماكن للإقامة والالتقاء بعلماء ذلك البلد.

ونتيجة لهذه العوامل جميعًا نشط العلم بفروعه المختلفة، ولا سيَّما العُلوم الإسلاميَّة كـ(القرآن وعلومه من تفسير وقراءات)، و(الحديث وعلومه من جمع وأصول ورجال)، و(الفقه على المذاهب الأربعة)، و(اللغة والنحو والأدب)، فضلا عن العلوم العقلية والنقلية، كـ(الفلسفة والمنطق، والطب، والفيزياء، والجغرافيا والتاريخ...)، وقد نبغ في كل واحد من هذه العلوم جماعة من المشاهير المقدّمين والأئمة المبرزين، الذين يُعَدُّون بحَقٍّ سُرِّجَ هذه الأمة وفخر ثقافتها.

أمّا النشاط الأدبي في هذا العصر فيكاد يكون محصورًا في الشام ومصر، ولذلك فأكثر الأدباء والشعراء والعلماء من هذين القطرين، أما العراق مركز الخلافة العباسية فإن التتار قد دمروا كل مظهر من مظاهر الثقافة فيه، فأحرقوا الكتب وهدَّموا المدارس، وشرَّدوا العلماء، لذا ظهر من الأدباء من كتب قصائد حزينة باكية في نكبة بغداد، كشمس الدين الكوفي في قصيدته التي رثى بها بغداد بقوله:

عِنْدِي لأَجْلِ فِرَاقِكُمْ آلامُ ... فَإِلامَ أُعْذَلُ فِيكُمُ وَأُلَامُ

مَنْ كَانَ مِثْلِي لِلْحَبِيبِ مُفَارِقًا ... لا تَعْذُلُوهُ فَالْكَلامُ كِلامُ

وَيُذِيبُ رُوحِي نَوْحُ كُلِّ حَمَامَةٍ ... فَكَأَنَّمَا نَوْحُ الحَمَامِ حِمَامُ

قِفْ فِي دِيَارِ الظَّاعِنِينَ وَنَادِهَا ... (يَا دَارُ مَا فَعَلَتْ بِكِ الأَيَّامُ؟)

يَا دَارُ أَيْنَ السَّاكِنُونَ وَأَيْنَ ... ذَيَّاكَ البَهَاءُ وَذَلِكَ الإِعْظَامُ

وَاللّهِ مَا اخْتَرْتُ الفِرَاقَ وَإِنَّمَا ... حَكَمَتْ عَلَيَّ بِذَلِكَ الأَيَّامُ

وقد نشطت حركة التأليف في هذا العصر نشاطًا عظيمًا، وعُرِف بأنّه: عصر الموسوعات العظيمة.

فائدة

الموسوعة أو (دائرة المعارف): كتاب ضخم يتضمن بيانًا عن كل فروع المعرفة ويرتب بأسلوب منهجي، وقد تضيق الموسوعة؛ فتختص بعلم أو فنٍّ معيّن.

ومن الموسوعات التي ظهرت في هذا العصر معجم (لِسَانُ العَرَب) لابن منظور، وهو من أكبر المعاجم العربية وأشملها، و(نِهَايَةُ الأَرَب في فنون الأدب) للنويري، وهو موسوعة أدبية تاريخية تجمع طائفة ضخمة من المعرفة في هذين العلمين وغيرهما، و(صُبْحُ الأَعْشَى فِي صَنَاعَةِ الإِنْشَا) لِلْقَلْقَشَنْدِي، وهو كتاب يُعَدُّ دائرة معارف فيما يتصل بديوان الإنشاء، ونظم الحكم ورسومه في الدول الإسلامية، إلى جانب فائدته الأدبية.

الدَرس الثاني:
الأدب في عصر الدول المتتابعة
الشعر في عصر الدول المتتابعة

إنّ مِمّا أصاب الشعر - في هذا العصر - من التغيُّر يمس جوانبه الفنية واللغوية على حد سواء، فمال شعر هذا العصر إلى الصناعة اللفظية، وضعف الإبداع فيه وجفّت ينابيع العبقرية، ولم تعد له المكانة التي كانت في العصور الذهبية، وقد تعددت موضوعات الشعر فيه ولم تقتصر على ما اعتاده الأدباء قديمًا، بل خرجت إلى موضوعات أخرى أقرب إلى حياة الناس العاديَّة الجارية، فقالوا في أحوال المجتمع ونقد بعض وجوه العيب فيه.

هذا وقد وصل الشعر في أواخر هذا العصر إلى مستوى مُتَدَنٍ للغاية، حيث اتجه الأدباء إلى المبالغة في التنميق اللفظي، فضعف الإنتاج وعُرِف الأدب بتدهوره، وتفاهة معانيه، وسطحية أغراضه، وتكلّف أساليبه بسبب قلة المحصول الثقافي لدى الأدباء، وبسبب عدم تفرُّغهم للأدب لانصرافهم إلى حرف مهنية، فوجدنا منهم الجزّار، والخيّاط، والنجّار، والكحّال، والدّهان، والورّاق.

وتعددت مذاهب الشعراء في هذا العصر إلى:

١ **المذهب الأول:** شعراء أخذوا بأسباب الفصاحة وقوة التعبير، ونَهَجَوا نهج القدماء، وتتبعوا طريقتهم، مثل: الأبيوردي العراقي، وابن المقرَّب الأحسائي.

٢ **المذهب الثاني:** شعراء مالوا إلى طريقة العصر في الإكثار من البديع، والميل إلى السهولة في أسلوب الشعر، واستخدام الألفاظ العامية، أو القريبة منها، مثل: صَفي الدين الحلي، وابن نباتة المصري.

٣ **المذهب الثالث:** شعراء جمعوا بين الطريقتين كـ(البوصيري).

خصائصُ الشِّعر في هذا العصر

من أهم خصائص الشعر في هذا العصر:

١ يميل شعر هذا العصر إلى الصناعة اللفظية والعناية بفنون البديع، كالجناس والطباق وغير ذلك من المحسنات اللفظية والمعنوية.

٢ التحرر أحيانًا من قيود اللغة الفصيحة باستخدام بعض الألفاظ والتراكيب العامية، فضلًا عن بعض الألفاظ الأجنبية، فرأى شعراء العصر في رقّة الأساليب، ودخول بعض العامية جمالًا يصادف هوًى في نفوسهم.

٣ العناية بالمحسنات البديعية.

٤ استعمال الشعر في الألغاز والأحاجي.

٥ انتشار الألفاظ العامية والأوزان الشعبية.

٦ ضعف الابتكار وكثرة السرقات الشعرية.

٧ العناية بالمعارضات الشعرية.

٨ شيوع المقطوعات القصيرة.

٩ كثرة شعر الفكاهة والمجون.

١٠ الإكثار من نظم العلوم.

١١ استعمال مصطلحات العلوم الدينية واللغوية في الشعر.

١٢ الاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف والأدب القديم، والاستعانة بالتراث العربي والإسلامي في الشعر.

ومن أبرز شعراء هذا العصر: (صفي الدين الحلّي، وشمس الدين الكوفي، وعمر بن الوردي، وابن نباتة المصري، وشهاب الدين التلعفري).

المعارضات الشعرية: هي أن يقول الشاعر قصيدة في موضوع ما، فيأتي شاعر آخر، فينظم قصيدة أخرى على غرارها محاكيًا القصيدة الأولى في وزنها، وقافيتها، وموضوعها، مع حرصه على التفوق.

نموذج من شعر هذا العصر

قصيدة لصفي الدِّين الحلِّي يمدح الملك الصالح

التعريف بالشاعر:

صفي الدين الحلي: أبو الفضل، عبد العزيز بن سرايا بن علي الحلي الطائي، ولد في الحلة بالعراق عام ٦٧٧هـ، اشتغل بالتجارة فكان يرحل إلى الشام ومصر وغيرها، ويعود إلى العراق، وانتقل إلى ماردين، ومدح حاكمها نجم الدين غازي، رحل إلى القاهرة في عام ٧٢٦هـ ومدح الملك الناصر محمد بن قلاوون وكانت له به صلة حسنة، وهذا النص في جانب منه لمدح الملك الناصر.

ويعدُّ صفي الدين الحلي أشهر شعراء هذا العصر، سمي بـ(شاعر الجزيرة) وَعدَّ شاعر عصره من حيث عذوبة ألفاظه وقلة تكلفه في استخدام المحسنات البديعية، وله قصائد تلحقه بالفحول، طُبع ديوانه أكثر من طبعة، كما طبع كتابه: (العاطل الحالي والمرخص الغالي) في ألمانيا، و(درر النحور في مدائح الملك المنصور) في القاهرة، توفي في بغداد عام ٧٥٠هـ .

قصيدة لصفي الدِّين الحلِّي يمدح الملك الصالح

النَّـصُّ:

لا يَمتَطي المَجدَ مَن لَم يَركَبِ الخَطَرا ... وَلا يَنالُ العُلى مَن قَدَّمَ الحَـــذَرا

وَمَن أَرادَ العُلـى عَفـــواً بِـلا تَعَـــبٍ ... قَضى وَلَم يَقضِ مِن إِدراكِها وَطَرا

لا بُـــدَّ لِلشَهـــدِ مِـن نَحـلٍ يُمَنِّعُـهُ ... لا يَجتَني النَفعَ مَن لَم يَعمَلِ الضَرَرا

لا يُبـلَـــغُ السُـــؤلُ إِلّا بَعـدَ مُؤلَمَـــةٍ ... وَلا يَتِـمُّ المُنـى إِلّا لِمَـن صَبَـرا

وَأَحـــزَمُ النـــاسِ مَن لَو ماتَ مِن ظَمَإٍ ... لا يَقرَبُ الوِردَ حَتّى يَعرِفَ الصَدَرا

وَأَغزَرُ الناسِ عَقـلاً مَـن إِذا نَظَـرَت ... عَيناهُ أَمراً غَـدا بِالغَيـرِ مُعتَبِـراً

فَقَد يُقـالُ عِثـارُ الرِجـلِ إِن عَثَـرَت ... وَلا يُقـالُ عِثـارُ الرَأيِ إِن عَثَـرا

وَلا يَنـــالُ العُلـى إِلّا فَتـىً شَرُفَـــت ... خِلالُهُ فَأَطـاعَ الدَهـــرَ ما أَمَـــرا

كَالصالِـحِ المَلِكِ المَرهـوبِ سَطوَتُـهُ ... فَلَو تَوَعَّدَ قَلـبَ الدَهـــرِ لَانفَطَـرا

ما جادَ لِلناسِ إِلّا قَبـلَ مـا سَأَلـوا ... وَلا عَفـــا قَطُّ إِلّا بَعدَمـــا قَـــدَرا

لاموهُ في بَذلِهِ الأَمـــوالَ قُلـتُ لَهُـم ... هَل تَقدِرُ السُحبُ أَلّا تُرسِلَ المَطَرا

إِذا غَدا الغُصـنُ غَضّـاً في مَنابِتِـهِ ... مَن شاءَ فَليَجنِ مِن أَفنانِهِ الثَمَـــرا

للحفظ خمسة أبيات

معاني المفردات والتراكيب

المفردات	المعنى
يمتطي	يركب.
قضى	مات.
الوطر	الحاجة والرغبة.
الورد	بلوغ الماء للشرب، الصدر: الرجوع منه.
السول	ما يسأله الإنسان.
أفنان	جمع فتن وهو الغصن.

الشرح والتحليل:

تمثل هذه القصيدة نموذجًا للشعر المستعمل في التحريض على قتال المغول من خلال مدح الملك الناصر الذي كان للشاعر عنده مكانة، وساق الشاعر فيها حكمًا اجتماعية تدخل في صميم موضوع القصيدة، وهي في مجموعها حكم نابعة من المجتمع الذي عاش فيه الشاعر المجتمع المتواكل الذي ضيّع بغداد بتواكله، وقعد عن نصرة الكثير من البلدان الإسلامية.

ومدح الشاعر الملك بأبيات هادفة يرمي بها إثارة الحماس في نفس الملك مستعينًا بروائع الأخيلة من تشبيهات واستعارات، وكنايات، وبالمحسنات البديعية غير المتكلفة.

المناقشـــة

١ متى يبدأ عصر الدول المتتابعة، ومتى ينتهي؟ وما المقصود بالدول المتتابعة؟

٢ أطلقَ بعض مؤرخي الأدب على هذا العصر عصر الانحطاط، ما سبب هذه التسمية؟ وما مدى صحتها؟

٣ اذكر أهم الشعراء في عصر الدول المتتابعة مستشهدًا بما تحفظ من بعض أشعارهم.

٤ تعددت مذاهب الشعراء في هذا العصر، تحدث عن ذلك بإيجاز.

٥ اذكر خمسًا من أهم خصائص الشعر في هذا العصر.

٦ ازدهرت حركة التأليف في هذا العصر، فكثرت المؤلفات والموسوعات، فما أسباب ذلك؟

٧ تحدث عن اثنتين من الموسوعات العلمية والأدبية في هذا العصر؟

٨ ما المقصود بالمعارضة الشعرية؟

٩ ما الفكرة الرئيسة التي تدور حولها القصيدة؟ وضّح ذلك

١٠ ساق الشاعر في النص حكمًا اجتماعية معبّرة، وضّح ما ورد منها في البيت الأول والثاني.

١١ ادراك المعالي يحتاج إلى تعب وجهد وإلّا فلن تدرك اكتب البيت الذي يحمل هذا المعنى.

١٢ ما السبب الذي دعا الشاعر إلى مدح الملك؟ وبِمَ استعان على ذلك؟

الدَرس الثالث:
الأدب في عصر الدول المتتابعة
النَّثرُ في عصرِ الدّول المُتتابعة

كان أغلب حُكّام هذا العصر من المماليك أو الأعاجم ضعيفي الثقافة العربية، لذا اتخذوا لأنفسهم كتابًا يكتبون الرسائل السلطانية فنشأ ما يُعرف بديوان الإنشاء، وهو الذي يتولى المكاتبات الرسمية، وله شأن عظيم في عصر المماليك، إذ زادت الحاجة إليه لضبط أمور الدولة، وتحرير الرسائل السلطانية في مختلف الشؤون وأصبح لديوان الإنشاء أنظمة خاصة، حتى إن القَلْقَشَنْدي ألف كتابه (صُبِّح الأعشى) ليجمع لكُتَّاب الديوان ما يحتاجون إليه من معارف، ومن أشهر كتاب الإنشاء القلقشندي، والمقريزي، وابن فضل الله العُمري،

والرسائل التي تصدر من هذا الديوان تشمل الرسائل الملوكية والعهود والمبايعات والمراسيم والتوقيعات، وإلى جانب الكتابة الديوانية نجد الكتابة الإخوانية، ويغلب عليها التكلف والسجع والمحسنات اللفظية وتدور حول أغراض كثيرة كالتهنئة، والتعزية، والشكوى، والعتاب والمداعبة، والتقريظ، والمطارحات العلمية.

وكذلك هناك الكتابة الوصفية والمناظرات الحقيقية والخيالية والمقامات، وأشهر كتاب هذه الأنواع ابن نباتة المصري، والسيوطي، والشهاب الخفاجي، **وقد كان لضعف الكتابة أسباب منها:**

١. ضعف اللغة العربية وانتشار العجمة.
٢. فساد الذوق الأدبي، وانتشار التقليد للأساليب الركيكة التي ورثها هذا العصر من العصور السابقة.
٣. ضعف الثقافة الأدبية أو قلة المحصول العلمي لدى كثير ممن تصدوا للكتابة الفنية.
٤. عدم تشجيع الأدباء المبدعين، حيث كان الاهتمام مقصورًا على كتاب ديوان الإنشاء.

التقريظ: هو أن يطّلع أحد العلماء على الكتاب ويُعجب به، فيكتب له إشادة ويُثني عليه.

نموذج من النـــثر في هذا العصر

مناظرة مشهورة بين السيف والقلم لابن النباتة

التعريف بالكاتب:

ابن نُباتة: أبو بكر، جمال الدين محمد بن محمد بن محمد بن الحسن الجذامي الفارقي المصري، شاعر، وكاتب، وأديب، يرجع أصله إلى ميافارقين، ولد في مدينة القاهرة سنة (٦٨٦هـ)، وهو من ذرية الخطيب عبد الرحيم بن محمد بن نُباتة، ولقد سكن الشام سنة ٧١٥ هـ (تقريباً) وولي نظارة القمامة في مدينة القدس أيام زيارة المسيحيين لها، فكان يتوجه فيباشر ذلك ويعود، ورجع إلى القاهرة (سنة ٧٦١هـ) فكان بها صاحب سر السلطان، وله ديوان شعر و(سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون) وغيرها.

وكان شاعرًا ناظمًا لهُ ديوان شعر كبير مرتب حسب الحروف الهجائية وأشهر قصيدة لهُ بعنوان (سوق الرقيق) ولهُ العديد من الكتب منها كتاب (سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون)، وكتاب (تلطيف المزاج في شعر ابن الحجاج)، وكتاب (مطلع الفرائد)، وسير دول الملوك وغيرها، توفي في القاهرة سنة (٧٦٨هـ).

مناظرة مشهورة بين السيف والقلم لابن النباتة

النَّـصُّ:

قال على لسان السيف:

((بسم الله الرَّحمنِ الرَّحيم: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحديد: ٢٥]، الحَمْدُ لله الَّذي جَعَلَ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوْفِ، وَشَرَعَ حَدَّهَا بِيَدِ أَهْلِ الطَّاعَةِ عَلَى أَهْلِ العِصْيَانِ، فَأَغَصَّتْهُم بِمَاءِ الحُتُوْفِ، وَشَيَّدَ بِهَا مَرَاتِبَ الَّذِيْنَ يُقَاتِلُوْنَ فِي سَبِيْلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوْصٌ، وَعِقْدٌ مَرْصُوْفٌ...))

وقال على لسان القلم يردُّ على السيف:

((أَتُفَاخِرُنِي وَأَنَا لِلْوَصْلِ وأَنْتَ لِلْقَطْعِ، وَأَنَا لِلْعَطَاءِ وَأَنْتَ لِلْمَنْعِ، وَأَنَا لِلْصُلْحِ وَأَنْتَ لِلضِّرَابِ، وَأَنَا لِلْعِمَارَةِ وَأَنْتَ لِلْخَرَابِ؟ أَعَلَى مِثْلِي يَشُقُّ القَوْلُ، وَيُرْفَعُ الصَّوْتُ وَالصَّوْلُ، وَأَنَا ذُوْ اللفْظِ المَكِيْنِ؟ هَيْهَاتَ! أَنَا القَائِمُ بِمَصَالِحِ الدُّوَلِ وَأَنْتَ فِي الغِمْدِ طَرِيْحٌ، المُتْعَبُ فِي تَمْهِيْدِهَا وَأَنْتَ غَافِلٌ مُسْتَرِيْحٌ، وَالسَّاعِي فِي تَدْبِيْرِ حَالِ القَوْمِ، وَالمُغْنِي لِنَفْعِهِمْ العُمُرِ، وإِذَا كَانَ نَفْعُكَ يَومًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ، فَاقْطَعْ عَنْكَ أَسْبَابَ المُفَاخَرَةِ، واسْتُرْ أَنْيَابَكَ عَنِ المُكَاثَرَةِ، فَمَا يَحْسُنُ بالصَّامِتِ مُحَاوَرَةَ المُفْصِحِ، واللهُ يَعْلَمُ المُفْسِدَ مِنَ المُصْلِحِ...)).

للدرس فحسب

معاني المفردات والتراكيب

المفردات	المعنى
الحتوف	المنايا ونهاية الحياة.
شيّد	أنشأ وبنى.
الصّول	الكلام المؤثر فيمن يواجه به.
المكين	ذو المكانة، القوي.
الغمد	غلاف السيف.

الشرح والتحليل:

ينسج لنا ابن نباتة مناظره ومفاخرة خياليه بين السيف والقلم، فالسيف يفتخر بأنّه قد أغص الأعداء وقتلهم وأسقاهم بماء الموت ونهاية الحياة، ويتفاخر بأنّه السبب في تشييد الدول، وهو الذي قاتل في سبيل الله مع المؤمنين كالبنيان المرصوص، وكالعقد المرصوف، والعقد كما هو معروف لآلئ الدرّ تنظم وترصف.

فلمّا سمعه القلم ردّ عليه قائلًا إنّما أنا للوصل ولتدوين الآداب وتدبير الأمور، ولكل ما من شأنه العطاء والبذل، والصلح والعمارة، وكل هذه الأشياء جميلة يستخدم فيها القلم فهي عمارة الحياة وهي التي تصل الناس ببعضهم من خلال المكاتبات وغيرها.

ويخاطب القلم السيف ويقول له: أنّ مهمتك القطع والمنع، والحروب التي لا تكون عاقبتها خيرًا بل كل ما فيها خراب ودمار، وإن كان القتال في سبيل الله والدفاع عن الاوطان لا شك أنه أمر محمود، وهي جزء من ديننا، ولكن القلم هنا ينزع منزع المدافعة فيقول أنا لكل هذه الأشياء الجميلة وأنت أيها السيف في الغمد طريح وأنا في بقية الحياة أعمل وأسعى في تدبير حال الناس وأنفعهم طول العمر، وأنا السبب في تواصلهم، أمّا انت فسبب القطيعة بينهم.

ثم ينهى السيف عن المفاخرة فيقول له: اقطع عنك أسباب المفاخرة واستر أنيابك عن المكاثرة، وهذه صوره بلاغية جميلة بأن جعل للسيف أنياب وينصحه بأن يسترها ولا يكاثر ولا يفاخر بها فما يحسن بالصامت محاورة المصلح وهنا لا شك أنّ السيف صامت، والقلم مفصح مبدع يتحدث كل يوم ويعطينا الجديد نتعلم ونتطور عن طريقه.

وقد ختم بخاتمة جميلة فهو يستشهد بالآية الكريمة ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ﴾ [البقرة:٢٢٠]، وشتّان بين من يصلح بين الناس، ومن يفسد بينهم.

المناقشـــة

١ اذكر ثلاثة من أنواع النثر في عصر الدول المتتابعة.

٢ ما الأسباب التي ادّت إلى ضعف الكتابة في هذا العصر؟

٣ اذكر أبرز الكتّاب الذين برزوا في هذا العصر.

٤ ما الفكرة الرئيسة التي نسج فيها ابن نباتة مناظرته؟

٥ من متطلبات المناظرة استعمال الأدلة والبراهين؛ لتفنيد رأي الآخر، وضّح ذلك في النصّ.

٦ أظهر ابن نباتة القلم بمظهر جميل مظهر من يريد الخير، ويريد البناء، وكل ما من شأنه العطاء والبذل، وضّح ذلك.

٨

الوَحْـدَةُ الثامنة

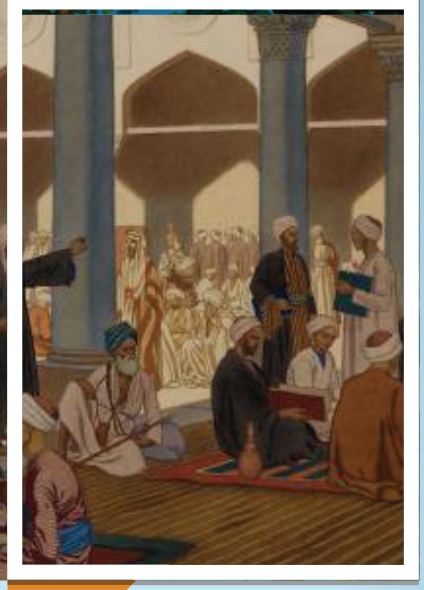

الأدب العربي في العصر الأندلسي

بعد الانتهاء:

من دراسة هذه الوحدة يتوقع من الطالب أن يكون قادرًا على أن:

١. يتعرف على تأثير الحياة الثقافية في النتاج الأدبي الأندلسي.
٢. يبين أثر الطبيعة في النتاج الأدبي الأندلسي.
٣. يحدد العوامل التي أدت إلى انتشار بعض الفنون الشعرية والنثرية في الأندلس.
٤. يحفظ بعضًا من نصوص هذا العصر، ويمتلك القدرة على شرحها.
٥. يحدد أهم خصائص الشعر والنثر في الأدب الأندلسي.

الدَرس الأول:
تمهيد: الأدب العربي في العصر الأندلسي

١ الحَياةُ الثقافية في الأندلس

اشتهر الأندلسيون بحب الثقافة والاطلاع، وتقدير العلماء وإعلاء مقامهم، ولذلك كثر العلماء في الأندلس، وكثرت مؤلفاتهم، وقدمت الأندلس للثقافة الإسلامية العربية أعلامًا بارزين في مختلف العلوم والفنون، وقد انتشرت المكتبات في الأندلس، وأقبل الناس على اقتناء الكتب، حتى قيل: إن كل بيت في الأندلس لابد أن يكون به مكتبة حتى ولو كان صاحبه عامّيًا. وقد أنشأ الحكم بن عبد الرحمن الناصر مكتبة كبرى في قرطبة تعتبر من مفاخر الأندلس، ومن أشهر المكتبات في العالم الإسلامي وكذلك عملوا على جلب الكتب واستنساخها من المشرق، وقد رحلت مجموعة من طلبة العلم في الأندلس إلى المشرق لتلقي العلم والأدب، ولنقل الثقافة المشرقية إلى المغرب والأندلس.

كما أن الأمويين في الأندلس قد عملوا على جلب العلماء من المشرق إلى الأندلس وذلك لنشر العلم، فكان أن هاجر إلى الأندلس نخبة من علماء المشرق في الفقه واللغة والأدب وغير ذلك، مثل: أبي علي القالي صاحب كتاب الأمالي، كما أن لأهل الأندلس عناية كبيرة باللغة العربية؛ فقد تعربت الأندلس بعد الفتح بفترة قصيرة، ثم جاء الأمويون وقد عُرفوا باهتمامهم باللغة العربية وآدابها فعملوا على نشرها وخدمتها، وكان أكثرهم من الشعراء والخطباء، فازدهرت اللغة والأدب في الأندلس، وكان من نتاج ذلك هذا التراث الأدبي واللغوي العظيم الذي خلفه لنا الأندلسيون، وساهموا به في خدمة اللغة العربية.

فائدة

تقع بلاد الأندلس أو شبه جزيرة إيبيريا كما كان يطلق عليها في الجنوب الغربي من قارة أوروبا، وقد أطلق العرب كلمة الأندلس على الأراضي التي تشكل اليوم إسبانيا والبرتغال فهي شبه الجزيرة التي تجمع هاتين الدولتين.

٢ الأدب العربي في الأندلس:

إنّ الأندلس جزءٌ مهم من التاريخ العربي والإسلامي، فقد كانت في زمن من الأزمان منبعًا للثقافة والفنون، وكان للأدب نصيب من هذه الهالة الأندلسية الباهرة، والقصد بالأدب العربي في الأندلس هو كل ما كتب ووثق إبان الحكم العربي الإسلامي في الأندلس، بألوانه المتعددة، مثل: (الشعر، والرسائل، والقصص، والمناظرات، والموشحات، والأزجال)، فضلًا عمَّا قُدِم لهذا الأدب في ذلك الوقت من نقد، والأدب الأندلسي زاخر بالروعة ومحمل بالكثير من عبق الذكريات الجميلة عندما كان للعرب حضارة عريقة تُضاهي حضارة الكثير من الأمم والحضارات آنذاك.

تعددت الأنماط الأدبية في الأندلس مع توسع البلاد واندماج العرب المسلمين مع غيرهم من الديانات والثقافات والجنسيات، فقد كانت الأندلس بستانًا كبيرًا احتوى جميع الناس من كل مكان، ومن أبرز الأنماط الأدبية التي انتشرت في الأندلس: (الشعر والنثر).

الدَرس الثاني:
الأدب العربي في العصر الأندلسي
الشعر في العصر الأندلسي

كان الشعر من أسبق أنواع الأدب ظهورًا في الأندلس فاحتل المرتبة الأولى في الأدب الأندلسي، ويعود هذا لطبيعة العرب الفطرية في نظم الشعر، والأذن الموسيقية المتوارثة بينهم عبر الأجيال، إلا أنّ الشعر في ذلك الوقت لم يقتصر فقط على الشكل العمودي، بل ابتدع الأندلسيون الموشحات والزجل، وغيرهما من الأنماط سهلة الدرج.

أغراض الشعر الأندلسي:

تناول شعراء الأندلس الأغراض الشعرية المعروفة في المشرق العربي من مدح ورثاء وفخر وهجاء وغزل وغيرها، إلا أنهم توسعوا في بعض الأغراض، وتفوقوا فيها على شعراء المشرق، كـ(وصف الطبيعة، ورثاء المدن، والمماليك الزائلة)، وقد طوّروا موضوع الرثاء فأوجدوا رثاء المدن والممالك الزائلة، وتأثروا بأحداث العصر السياسية فنظموا شعر الاستغاثة، وتوسعوا في وصف البيئة الأندلسية، واستحدثوا فن الموشحات والأزجال.

وسنتحدث باختصار عن أغراض الشعر الأندلسي مع إيراد نموذج مختار للموشّح؛ بوصفهِ أبرز مظاهر الأدب في الأندلس.

١ **المديح:** قصائد المديح في الشعر الاندلسي لا تخرج - في مجملها - عن الطريقة التقليدية للمدح وإن امتاز مديح الأندلسيين بشيء من الرقة التي هي الطابع العام للشعر الأندلسي، وأشهر شعراء المدح في الأندلس: (ابن هانيء الأندلسي، وابن جابر الضرير، وابن دراج القسطلي، وابن حمديس الصقلي، وابن عمار)، ومن أروع نماذج شعر المديح في الأندلس قصيدة لابن جابر الأندلسي

الضرير يمدح فيها النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول في مطلعها:

بِطَيْبَةَ انـــزِلْ، وَيَمِّـــمْ سَيِّـــدَ الأُمَـــمِ وَانْشُر لَهُ المَدحَ وَانثُرْ أَطيَبَ الكَلِمِ

وَابذُل دُموعَكَ واعذُل كُلَّ مُصطَبِرٍ وَالحَق بِمَن سارَ وَالْحَظْ ما عَلى العَلَمِ

سَنـــا نَبـــيٍّ أَبـــيٍّ أَن يُـضَـيِّعَـتَـــا سَليلِ مَجدٍ سَليمِ العِرْضِ مُحْتَرَمِ

٢ **الفخر**: لم يبرز في الشعر الأندلسي شعراء اشتهروا بالفخر والحماسة كالمتنبي وأبي فراس في المشرق، ولذلك عُدَّ هذا الغرض من الأغراض التي ضعفت في الأندلس، ومع ذلك نجد نماذج للفخر في شعر بعض حكام الأندلس وفي شعر الوزراء والحجاب وفي أثناء المديح، وممّا جاء في المفاخر قصيدة لابن حَزْم أمام الذين يعرضون عن علومه، ويبحثون عن علوم الشرق قائلًا:

أنا الشَّمْسُ في جَوِّ العلومِ مُنيرةٌ ولكنَّ عَيْبِـــي أنَّ مَطْلَعِـــيَ الغَـــرْبُ

ولوْ أنَّني مِنْ جَانِبِ الشَّرقِ طَالِعٌ لَجَدَّ على ما ضاعَ مِنْ ذِكْرِيَ النَّهْبُ

٣ **الرثاء**: ونعني به رثاء الأشخاص، أو رثاء المدن والممالك الزائلة، الذي شكّل علامةً بارزةً في الأدب الأندلسي، نظراً لأهميته وما للأندلسيين فيه من تفوق وإبداع، وليس للأندلسيين في رثاء الأشخاص ما للمشارقة من روائع، ولكنهم شاركوا في هذا الفن، وبدت عاطفتهم الرقيقة وإحساسهم المرهف في قصائدهم الرثائية، خصوصاً عندما يكون الرثاء للآباء أو الأبناء أو الزوجات، ومن أشهر شعراء الرثاء في الأندلس: (ابن عبد ربه وابن هانىء، وابن زيدون، والمعتمد بن عباد، وابن حمديس)، ومن أمثلة الرثاء ما قاله المعتمد في رثاء ولدين له قتلا غيلة:

يَقُوْلُوْنَ: صَبْرًا لَا سَبِيْلَ إِلَى الصَّبْرِ سَأَبْكِي وَأَبْكِي مَا تَطَاوَلَ مِنْ عُمْرِي

هَوَى الكَوْكَبَـانِ، الفَتْـحُ ثُمَّ شَقِيْقُهُ يَزِيْـدُ، فَهَلْ بَعْدَ الكَوَاكِبِ مِنْ صَبْـرِ

٤ **الهجـاء**: لم يكثر الشعراء الأندلسيون من الهجاء، ولم يشتهر منهم شاعر به، وإذا هجوا فإنهم لا يطيلون، وما ذلك إلا لسماحة نفوسهم، وميلهم إلى التسامح

والعفو والبعد عن الإفحاش في الهجاء، وإنما يكثر عندهم العتاب أو التعريض الذي لا يصل إلى حد الشتم، وكذلك نجد في هجائهم نقدًا اجتماعيًا لأوضاع الأندلس، ومحاولة لإصلاح تلك الأوضاع، ومن أشهر شعراء الهجاء: (ابن هانىء، وابن خفاجة، وأبو بكر المخزومي، وأبو القاسم خلف بن فرج السميسر)، ومن نماذج الهجاء لابن سهل اليكى فى هجاء بعض البلاد:

يَا أَهْلَ مَكْرٍ لَقَدْ سَاءَتْ ضَمَائِرُكُم ... فَأَصْبَحَتْ فِيكُمُ الآرَاءُ مُتَّفِقَهْ

كُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمُ قَدْ حَازَ مَنْقَصَةً ... بِهَا أَحَاطَ كَدَوْرِ العَيْنِ بِالْحَدَقَهْ

٥ **الحكمة**: نجد الحكمة في الشعر الأندلسي مبثوثة في قصائد الرثاء والتوبة والندم، وفي القصائد التي يتحدثون فيها عن محنة الأندلس، وما حل بها من دمار، وما آلت إليه مدنها وإماراتها من انهيار وسقوط في يد الإفرنج، ومن أشهر شعراء الحكمة: (ابن عبد ربه، ويحيى بن الحكم الغزال (في آخر أيامه)، وأبو عامر بن شهيد، وأبو الصلت أمية بن عبد العزيز، وابن مرج الكحل)، ومن جميل ما جاء في هذا الغرض عند يحيى بن حكم الغزال بقوله:

أرَى أهْلَ اليَسَارِ إذا تُوُفُّـوْا ... بَنَوْا تِلْكَ المَقَابِرَ بالصُّخُـوْرِ

أبَوْا إلّا مُبَاهَـــاةً وَفَخْـــرًا ... عَلَى الفُقَرَاءِ حَتَّى فِي القُبُوْرِ

فَإنْ يَكُنْ التَّفَاضُلُ فِي ذُرَاهَا ... فَإنّ العَدْلَ فِيْهَا فِي القُعُـوْرِ

٦ **الغزل**: شعر الغزل كثير رائج في الأندلس، بل لعله أكثر أنماط الشعر شيوعًا وانتشارًا، لما اشتهر به أكثر أهل الأندلس من الرقة والميل إلى الدعة والعبث، ومن أشهر شعراء الغزل في الأندلس: (يحيى بن الحكم الغزال، وابن سهل، وابن زيدون، وأبو عامر بن شهيد، والأعمى التّطيلي)، ومن روائع شعر الغزل هناك قصيدة لابن سَهْل الأندلسي يقول فيها:

يا حُسنَهُ وَالحُسنُ بَعضُ صِفاتِهِ ... وَالسِّحْرُ مَقصورٌ عَلى حَرَكاتِهِ

عَبَثَتْ بِقَتلِ مُحِبِّـهِ لَحَظاتُـهُ ... يا رَبِّ لا تَعْتِبْ عَلى لَحَظاتِـهِ

٧ **رثاء المدن والممالك الزائلة:** والمراد بهِ الشعر الذي يذكر الشاعر فيه ما انتهت إليه مدن المسلمين في الأندلس ودولهم وحضاراتهم من دمار شامل وسقوط مريع في يد الأعداء، وخلاصة القول في هذا الشعر: إنه جدير بالدراسة الواعية في عصرنا الحاضر، وفيه من الموعظة والعبرة مانحن في أمس الحاجة إليه، فإذا أضفنا إليه دراسة شعر الجهاد ووصف المعارك، فإننا نكون قد أبرزنا كيف شارك الشعر العربي في الأحداث، وكيف انفعل بها وصورها، وقدمنا لشبابنا نماذج من الشعر الملتزم بالعقيدة الإسلامية، والمثير للنخوة والحماسة، وكانت مدينة «طُلَيْطِلة» في وسط الأندلس أولى المدن سقوطًا، عام ٤٧٨ ه، وعندما سقطت قال الشاعر ابن العَسَّال الطُلَيْطِيلي:

يا أهلَ أندلسٍ شُدُّوا رِحالكُمُ ... فَما المقامُ بها إلاّ من الغَلَطِ

السِّلكُ يُنْثَرُ من أطرافِهِ، وأرى ... سِلْكَ الجزيرةِ مَنْثُورًا مِنَ الوَسَطِ

مَنْ جَاورَ الشَّرَّ لا يأمنْ بوائِقَهُ ... كيف الحياةُ مع الحيَّاتِ في سَفَطِ؟

٨ **الحنين:** إذا كان للمشارقة فضل السبق إلى شعر الحنين فإن الأندلسيين قد لحقوا بهم، وتقدموا عليهم في هذا الفن، والمراد به ما يذكر فيه الشاعر: الشوق إلى الأوطان، والتجارب الذاتية في ديار الغربة، وتصوير ملاعب الصبا، وذكر أيامهم والعهود السعيدة في البلاد، والجيد من شعرهم في الحنين كثير، ومن أمثلة هذا النوع من الشعر قول عبد الرحمن الداخل يحن إلى المشرق وأهله في الشام:

أيُّهَا الرَّاكِبُ الميَمِّمُ أَرْضِي ... أقْرِ مِنْ بَعْضِيَ السَّلامَ لِبَعْضِي

إنَّ جِسْمِي كَمَا تَرَاهُ بِأَرْضٍ ... وَفُؤَادِي وَمَالِكِيهِ بِأَرْضِ

قَدْ قَضَى اللهُ بِالبِعَادِ عَلَيْنَا ... فَعَسَى بِاقْتِرابِنَا سَوْفَ يَقْضِي

٩ **شعر الطبيعة والوصف:** تفوق الأندلسيون في ميدان الوصف وتصوير الطبيعة على شعراء المشرق، وأتوا في ذلك بالروائع الخالدة، ولذا يُعد هذا الغرض بالإضافة إلى رثاء الممالك - أروع ما في الشعر الأندلسي، والمجال الخصب

للإبداع والتفوق، والمراد بشعر الطبيعة ذلك النوع من الشعر الذي يتناول فيه الشاعر الطبيعة ومظاهرها بالوصف والتصوير.

وقد ساعد الأندلسيين على إجادة هذا الغرض جمال الطبيعة في بلادهم، ثم جاءت الحضارة الإسلامية فأضافت إلى ذلك الجمال الفطري مظاهر رائعة للجمال المصنوع، وأشهر شعراء الطبيعة في الأندلس: (ابن خفاجة، وابن حمديس، وابن زيدون)، وقد وصفه ابن خَفاجَة بلاده بقوله:

يَا أَهْـــلَ أَنْدَلُـسٍ للهِ دَرُّكُـمُ ... مَاءٌ وَظِلٌّ وَأَنْهَـارٌ وَأَشْجَـارُ
ما جَنَّةُ الخُلْـدِ إِلَّا في دِيارِكُـمُ ... وَلَو تَخَيَّرْتُ هَذى كُنْتُ أَختارُ
لا تَتَّقُوا بَعدَها أَنْ تَدخُلوا سَقَرًا ... فَلَيْسَ تُدخَلُ بَعدَ الجَنَّةِ النارُ

١٠ الشعر التعليمي: هذا النمط من الشعر إنما هو نظم خالٍ من العاطفة والخيال، فعلاقته بالشعر تنحصر في الوزن والقافية، وإنما دعانا إلى الحديث عنه أنه يشكل ظاهرة بارزة لدى الأندلسيين، وأن شعراء الأندلس ساهموا في نظم العلوم، وخصوصًا ما يتعلق بأحداث التاريخ، ومن نماذج الشعر التعليمي في الأندلس منظومة ابن عبد ربِّه في العروض، منها قوله في باب الزحافات والعلل:

فكُلُّ جـزءٍ زالَ منـهُ الثاني ... من كُلِّ ما يَبدو على اللِّسانِ
وكانَ حرفًا شأنُهُ السُّكـونُ ... فإنَّه عندي اسْمُهُ مَخْبـونُ
وإنْ وجدتَ الثانيَ المنْقوصا ... مُحَرَّكًا سَمَّيْتَهُ المَوْقُوصـا

أسلوب الشعر الأندلسي ومعانيه وأخيلته

الشعر في الأندلس امتداد للشعر العربي في المشرق فقد كان الأندلسيون متعلقين بالمشرق، ومتأثرين بكل جديد فيه عن طريق الكتب التي تصل إليهم، والعلماء الذين يرحلون من الشرق، أو الأندلسيين الذين يفدون إلى الشرق للحج أو لطلب العمل، فكانت حبال الود ووشائج القربى قوية بين مشرق العالم الإسلامي ومغربه.

وكان الأندلسيون ينظرون إلى الشرق وما يأتي منه نظرة إعجاب وتقدير؛ فكانوا في غالب أمرهم مقلدين للمشارقة، ويبدو ذلك واضحًا في ألقاب الشعراء وفي معارضاتهم لشعراء المشرق، ولكن هذا التقليد لم يمنعهم من الإبداع والابتكار والتميز بميزات تخصهم نتيجة لعوامل كثيرة، أهمها البيئة الأندلسية الجديدة الجميلة التي طبعت الأدب الأندلسي بطابع خاص، وينماز الشعر الأندلسي في ألفاظه ومعانيه وأخيلته بسمات تبدو واضحة في مجمله، ومنها:

١ وضوح المعنى، والبعد عن التعقيد الفلسفي أو الغوص على المعاني وتشقيقها

٢ سهولة الألفاظ وسلاستها، والبعد عن التعقيد والغموض، وذلك ناتج عن بساطة الأندلسيين وبعدهم عن التعقيد في كل شيء. ويستثنى من ذلك شعر ابن هاني وابن دراج، فهما يقربان من شعر المشارقة من حيث الجزالة والقوة.

٣ قلة الدخيل من الألفاظ الأعجمية؛ فقد لاحظ الدارسون أن الأندلسيين أكثر تمسكًا بالعربية الفصحى من غيرهم.

٤ التجديد في بعض أغراض الشعر والتفوق فيها، ويبدو ذلك واضحًا في رثاء الممالك الزائلة، وفي وصف الطبيعة.

٥ الخيال المجنح، وبراعة التصوير والاندماج في الطبيعة، ووصف مناظرها الخلابة، وذلك أثر من آثار جمال الطبيعة الأندلسية، وتعلق الأندلسيين بطبيعة بلادهم وانعكاس ذلك على شعرهم سواء من ناحية الألفاظ المنتقاة أو الخيال أو التصوير والتشخيص.

٦ التجديد في الأوزان، وذلك باختراع الموشحات، وسوف نتحدث عن الموشحات حديثًا مفصلًا.

٧ البعد عن المحسنات اللفظية المتكلفة والمبالغة وبروز التشبيهات الجميلة والاستعارات الدقيقة وحسن التعليل.

والخلاصة أن الأندلسيين قد قلدوا المشارقة، ولكن هذا لم يمنعهم من الابتكار والتفوق في مجالات عديدة ورد ذكرها فيما سبق.

خصائص الشعر الأندلسي

ينماز الشعر الأندلسي بخصائص متعددة، بسبب تأثره بالحياة السياسية، والاجتماعية، والحضارية، وما يتعلق بخصوصية الأندلس، وطبيعتها وهذا كله أثر في الشعر الأندلسي شكلًا ومضمونًا، وأثر بالشعراء الأندلسيين فنظموا شعرًا متميزًا، عبروا فيه عن عصرهم ومن أهم هذه الخصائص، ما يأتي:

- إيثار الشعراء الأندلسيين الأسلوب، الذي يتّسم باللين والرقة والسهولة، وهذا لا يعني ضعف الشعر، فقد استعملوا الألفاظ الموحية بالمعنى عن قرب، وهذا يجعل القارئ يقف على حقيقة مشاعرهم وأحاسيسهم بسهولة ويسر.

- حافظ الشعراء الأندلسيون على الأسلوب العربي المحكم البناء، القوي والرصين، وتأثروا بالشعراء المشارقة، ومن ذلك قول المعارضات الشعرية للمتنبي، ولأبي العلاء المعري وغيرهما، ولكن هذا لم يمنع أن يكون لهم خصوصية في شعرهم من حيث اللغة والأسلوب.

- مراوحة الأدب الأندلسي بين التقليد والتجديد، وقد جدد الشعراء الأندلسيون في الشعر، وبلغ التجديد في الشعر ذروته في القرن السادس الهجري.

- تخلص الشعر الأندلسي من قيود القصيدة التقليدية، ويظهر هذا واضحًا في الموشحات الأندلسية، وذلك تأثرًا بالبيئة الأندلسية.

- تميز الأندلسيون بشعر الطبيعة، وتفوقوا فيه، وأتوا بقصائد كثيرة تعبر عن جمال طبيعة الأندلس من بساتين، وحقول، وأزهار، وأنهار، وغيرها.

مفهوم الموشحات

١ مفهوم الموشحات

انماز الأندلسيون على المشارقة باختراع الموشحات، وإن كانت قد انتشرت بعد ذلك في المشرق أيضًا.

والموشح في اللغة: ما أخذ من الوِشَاحِ وهو عِقْدٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ وجوهر منظومين مخالف بينهما معطوف أحدهما على الآخر، تتوشح المرأة به، وثوب موشح: أيّ مطرز مزين.

أما الموشح في الاصطلاح الأدبي: فهو كلام منظوم على وزن مخصوص بقواف مختلفة، فيعمد الوشاح فيه إلى ضرب من التنويع والافتنان العروضي، وتسمى القصيدة الجارية على هذا التنوع تسمى بـ(الموشحة)؛ لما فيها من زخرفة تجعلها كالمرأة المتزينة بالوشاح، وهو نسيج عريض مرصع بالجواهر.

٢ نشأة الموشحات وأشهر الوشّاحين

نشأ هذا الفن في القرن الثالث الهجري على يد رجلين من قرية قبرة بالأندلس هما: (محمد بن حمود الضرير)، و(مقدم بن معافى)، ومن أشهر شعراء الموشحات: (عبادة بن ماء السّماء)، وهو إمام الوشّاحين، ثم جاء من بعده عدد ممن أجادوا في هذا الفنّ من أشهرهم: (الأعمى التطيلي)، و(أبو بكر بن زهر)، و(ابن سهل)، و(لسان الدين بن الخطيب).

٣ أجزاء الموشح ومصطلحاته

أما أجزاء الموشح فهو يتألف من ستة أقفال أو خمسة، وهي على النحو الآتي:

١ **المطلع:** وهو ما يُفتتح به الموشح، ويتألف من شطرين أو أربعة.

٢ **الدور:** هو ما يأتي بعد المطلع، وقبل القفل، ثم يتكرر بعد كل قفل.

٣ **القفل:** وهو يماثل المطلع ويأتي بعد الدور، ثم يتكرر بعد كل دور. وينبغي أن يتوافق مع المطلع في الوزن والقافية وعدد الأجزاء.

٤ **الخرجة:** آخر قفل في الموشح.

نموذج لموشّحة لسان الدين بن الخطيب

التعريف بالشاعر:

لسان الدين بن الخطيب هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الخطيب، ولد بغرناطة سنة ٧١٣هـ، ونشأ فيها وكانت مركزًا عظيمًا من مراكز الثقافة والعلم والأدب والفلسفة فنهل من هذا كله، وتجلى لنا ذلك فيما خلفه من تراثه الأدبي والفكري المتنوع.

تولى ابن الخطيب ديوان الإنشاء في دولة بني الأحمر، ثم عيّن وزيرًا للسلطان الغني بالله ثم نفي إلى المغرب بعد الإطاحة بحكمه، وبعد أن استرد الغني بالله سلطانه استقدم ابن الخطيب وخلع عليه لقب (ذي الوزارتين) وزارة السيف ووزارة القلم.

مات مقتولا بعد وشاية بينه وبين سلاطين بني الأحمر سنة ٧٧٦هـ، وبقتله تكون الأندلس قد فقدت عبقرية فذة جامعة لكثير من فنون العلم والمعرفة إذ ترك مؤلفات كثيرة أشهرها: (كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة)، وغيرها، كما خلف لنا ثروة أدبية جامعة نثرًا وشعرًا، وكان من القلائل الذين توافرت لهم الإجادة في الأدب.

النَّـصُّ:

للدرس فحسب

"المطلع"

جادَكَ الغيْثُ إذا الغيْثُ هَمى ... يا زَمـانَ الوصْـلِ بالأندَلُـسِ
لمْ يكُـنْ وصْلُـكَ إلاّ حُلُمـا ... في الكَرَى أو خِلسَةَ المُخْتَلِسِ

"الدور"

إذْ يقودُ الدّهْرُ أشْتاتَ المُنَى ... تنْقُلُ الخَطْوَ علَى مـا يُرْسَـمُ
زُفَراً بيْـنَ فُـرادَى وثُنَـى ... مثْلَما يدْعو الحجيجَ الموْسِمُ
والحَيا قدْ جلّلَ الرّوضَ سَنا ... فثُغُـورُ الزّهْـرِ فيهِ تبْسِـمُ

"القفل"

ورَوَى النّعْمانُ عنْ ماءِ السّما ... كيْـفَ يرْوي مالِـكٌ عنْ أنسِ
فكَساهُ الحُسْنُ ثوْبـاً مُعْلَمـا ... يـزْدَهي منْـهُ بأبْهَى ملْبَـسِ

"الدور"

في لَيالٍ كتَمَتْ سرَّ الهَـوى ... بالدُّجَى لوْلا شُمـوسُ الغُـرَرِ
مالَ نجْمُ الكأسِ فيها وهَوى ... مُسْتَقيمَ السّيْـرِ سعْـدَ الأثَـرِ
وطَرٌ ما فيهِ منْ عيْبٍ سَوَى ... أنّـهُ مـرّ كلَمْـحِ البصَـرِ

"القفل"

حينَ لذّ الأنْسُ مَع حُلْوِ اللّمَى ... هجَمَ الصُّبْحُ هُجومَ الحرَسِ
غارَتِ الشُّهْبُ بِنـا أو ربّمـا ... أثّـرَتْ فيهـا عُيونُ النّرْجِسِ

" الخرجة "

هلْ دَرَى ظبْيُ الحِمَى أنْ قد حَمَى ... قلْبَ صبٍّ حلّهُ عنْ مَكْنِسِ
فهْـوَ في خَفْـقٍ وحَـرٍّ مثلَمـا ... ريـحُ الصَّبـا بالقَبَـسِ

معاني المفردات والتراكيب

المفردات	المعنى
الغيث	المطر.
هَمَى	سالَ.
الكرى	النعاس أو النوم.
الخلسة	الفرصة من الخلس وهو السلب.
أشتات	أنواع.
زُمر	جمع زمرة، وهي الجماعة.
ثُنا	اثنين اثنين.
الحيا	الندى أو المطر.
سنا	حسن وجمال.
النعمان	الأزهار المعروفة بشقائق النعمان.
ماء السماء	المطر.
مالك	الإمام المحدث مالك بن أنس. ومعنى البيت ان رواية مالك عن أبيه رواية صحيحة كرواية النعمان بن المنذر عن جده ماء السماء، وفيها تورية بشقائق النعمان والمطر ماء السماء.
مُعْلَمًا	مصبوغاً ومرسومًا.
الدُّجى	الظلام.
الغُرَر	جمع الغرة، وغرة الشمس ما بدأ من ضوئها أو الصبح، والغرّة بياض، في جبهة الضرس والعرب تتبرك به، وأراد بشموس الضرر الوجوه البيض.
هوى	سقط.

المفردات	المعنى
وطر	حاجة.
غارت	اختفت.
الشهب	واحدها الشهاب، وهو الكوكب الساطع.

الشرح والتحليل:

يجد الشاعر في ذكريات الماضي السعيد مجالًا لشعرهِ حيث يتذكّر ما اغتنمَ من سعادة، وما نعمَ به من متعة بين الأحبة وجمال الطبيعة فتهيج عواطفهُ بهذه الذكرى ويعرض لنا صورة لها، جعلنا نشاركهُ سروره بها، ولسان الدين بن الخطيب في هذه الموشحة يحدثنا عن أيام جميلة سعيدة قضاها بالسقيا في غرناطة كلما سقط المطر على عادة القدامى حين كانوا يدعون لأرض المحبة بذلك، ويتحسر على أنها مرت سريعة.

وقد تميزت هذه الموشحة -كبقية الموشحات- باللفظ الرقيق، والعبارات السلسة، والإيقاع الموسيقي الرشيق.

إضاءة

خرجة موشحة ابن الخطيب هي مطلع موشحة ابن سهل الأندلسيّ.

نموذج لنص شعري

النونية لـ(ابن زيدون) في لوعة الفراق

التعريف بالشاعر:

الشاعر الكاتب الوزير أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون يرجع في نسبه إلى بني مخزوم من قريش، وقد وفد أجداده إلى الأندلس أيام الفتح الإسلامي، ويُعَدُّ من أشهر شعراء قرطبة، عاش في أواخر عصر الخلافة، وأدرك عصر الطوائف إذ توفي في إشبيلية سنة (٤٦٣هـ) تمَيَّزَ بالظرافة ورقة الحديث وسرعة البديهة.

وأصدق ما وصف به هو (شاعر الحب والجمال)، وله ديوان مطبوع، أكثره في الغزل بولادة بنت المستكفي، وكانت ذات شهرة عظيمة في قرطبة لجمالها وعلمها وأدبها، وقصائده فيها مشهورة، كما وبرع بالشعر فقد برع بالنثر أيضاً فقد كان ذا ثقافة واسعة كثير الميل لعلوم العرب وفنون اللغة، ونال مكانة مرموقة في مجالس قرطبة الأدبية والسياسية، من مؤلفاته: (رسائل ابن زيدون)، (ديوان شعر مطبوع ومشهور).

نونية ابن زيدون (في لوعة الفراق)

النَّـصُّ:

أضْحَى التّنائي بَديلاً مِنْ تَدانينـا، وَنَابَ عَنْ طيبِ لُقْيانَا تجافينَـا

ألاّ وَقَد حانَ صُبحُ البَينِ، صَبّحَنا حَيْنٌ، فَقَامَ بِنَا للحَيْـنِ نَاعينَا

كُنّا نرَى اليَأسَ تُسْلِينا عَوَارِضُـه، وَقَـدْ يَئِسْنَا فَمَا لليـأسِ يُغْرِينَا

بِنْتُم وَبِنّا، فَمـا ابتَلّـتْ جَوَانِحُنَـا شَوْقاً إلَيكُمْ، وَلا جَفّـتْ مآقِينَـا

نَكادُ، حِينَ تُنَاجِيكُـمْ ضَمائِرُنـا، يَقضي علَينا الأسَى لَوْلا تأسّينَا

حَالَتْ لِفقـدِكُمُ أيّامُنـا، فغَـدَتْ سُوداً، وكانتْ بكُمْ بِيضاً لَيَالِينَـا

ليُسقَ عَهدُكُمُ عَهدُ السّـرُورِ فَمـا كنتـم لأرواحِنَـا إلاّ رَياحينَـا

إنْ كان قد عزّ في الدّنيا اللّقاءُ بكمْ في مَوْقِفِ الحَشرِ نَلقاكُمْ وَتَلْقُونَا

سِرّانِ في خاطِرِ الظّلماءِ يَكتُمُنـا، حتى يكادَ لسانُ الصّبحِ يفشينَا

إليـكِ منّا سَـلامُ اللّهِ ما بَقِيَـتْ صَبَابَـةٌ بِكِ نُخْفِيهَـا، فَتَخْفِينَـا

للحفظ خمسة أبيات

معاني المفردات والتراكيب

المفردات	المعنى
أضحى	دخل في الضحى.
التنائي	البُعد.
بديلًا	عوضًا.
تدانينا	قُربنا.
نابَ	حلّ.
طيبِ	لذّة ومتعة.
بِنتم	بعدّتم.
جوانحنا	ضلوعنا.
مآقينا	عيوننا.
الأسى	الحزن.

الشرح والتحليل:

تعدّ قصيدة أضحى التنائي إحدى القصائد التي نظمها الشاعر ابن زيدون، والتي نالت شهرة كبيرة ودوّى صداها في أرجاء الأدب العربي، ويُذكر أنّ ابن زيدون في شبابه قد هَامَ بولّادة بنت المستكفي، وتوثقت علاقته بها مدة من الزمن، ثم ساءت العلاقة بينهما؛ فهجرته ولّادة ومالت عنه إلى الوزير ابن عبدوس، فنظم ابن زيدون هذه القصيدة يستعطفها فيها معبرًا عن مشاعره تجاهها وعن لهيب المعاناة التي تجرّعها إثر الفراق الذي حدث بينهما.

تمثّل هذه القصيدة نَفَسًا شعوريًا فاضت به نَفْسُ الشاعر، فحمّلها خواطره وأحزانه كما عاناها، وحملت القصيدة فكرتين أساسيتين هما: لوعة الفراق، ووفاء وإخلاص.

وطرح الشاعر في بداية قصيدته الثنائيات الضدية، إذ جمع بين القُرب والبُعد، وبين طيب اللقيا والتجافي، وبذلك رسم صورة جليّة لما كان عليه حاله مع محبوبته في السابق من التصافي والتلاقي الروحي، وصورة لما أصبحا عليه من التباعد والتجافي، كما لمّح إلى ما كانا ينعمان به من سمعة وُدٍّ وسيرة حب تُحكى وتتناقل، لكن صار أمر تعاديهما وفراقهما واضحًا لا يخفى على أحد، ولعل الشاعر أراد بذلك أن يبثّ من البداية دلائل كبريائه وعزة نفسه بالرغم من حسرته، ثم تتلاحق المعاني الأليمة فيدعو الشاعر على نفسه بالهلاك صبيحة وقع الفراق بينه وبين محبوبته، والذي حصل بسبب الواشين والأعداء وغيظهم من العلاقة بينهما، وقد وقف الزمان أيضًا إلى جانبهم موقف الضاغط والمُعاند، فتحققت الغاية بالفراق، فصوّره الشاعر كالشخص الذي بإمكانه أن يُضحكه وبإمكانه أن يُبكيه.

ويرى الشاعر في اليأس تسلية عن تذكر المحبوبة، وطريقة لنسيان ذكراها والتخفيف من معاناة الحرمان منها، ليعود ويذكر ما حلّ به إثر فراقها والابتعاد عنها ويقارن حاله الآن بما كان عليه من قبل؛ إذ جفّت حياته بعد الفراق والتهبت جوانحه، وأيامه صارت سوداء مظلمة، فقد كانت المحبوبة عطر أيامه ونورها، ويختتم حديثه بإلقاء التحية والسلام والوئام المعلق على بقائهما في الدنيا.

تتسم قصيدة أضحى التنائي بمجموعة من السمات الفنية، منها:

١ الوحدة الموضوعية في القصيدة.

٢ غلبة الجمل الفعلية، فاستخدم الشاعر الأفعال التي تدل على الحدث الماضي والحاضر والمستقبل، مما أعطى القصيدة حركية وحيوية.

٣ توظيف العديد من المحسنات البديعية في القصيدة.

٤ جاءت لغة القصيدة ومعانيها رقيقة عذبة وسهلة.

المناقشة

١ تحدث عن الحياة الثقافية والأدبية في العصر الأندلسي، وما تأثيرها على الأدب؟

٢ ما أغراض الشعر التي تميز وأبدع فيها شعراء الأندلس، وتفوقوا فيها على أهل المشرق، مع إيراد نماذج لذلك؟

٣ لماذا يعد غرض رثاء المدن والممالك الزائلة في الشعر الأندلسي من أقوى الأغراض، ويعد شعر الفخر من أضعفها؟ استشهد لذلك؟

٤ إذا كان للمشارقة فضل السبق في شعر الحنين فإن الأندلسيين قد لحقوا بهم، وتقدموا عليهم في هذا الفن، وضّح ذلك مستشهدًا بما تحفظ.

٥ تميز الشعر الأندلسي بسمات في ألفاظه ومعانيه وأخيلته، اذكر أربعًا منها؟

٦ أوجز القول في الخصائص التي انماز بها الشعر الأندلسي؟

٧ ما الموشح في اصطلاح الأدباء؟ وما سبب تسميته بذلك؟

٨ تحدث عن نشأة الموشح، ومن مخترعه؟ ومن أشهر من أجاده من الشعراء؟

٩ تكلّم على تكوين الموشح وبنائه.

١٠ من لسان الدين الخطيب، وبم لقب؟ ولماذا؟ وما أبرز آثاره؟

١١ إلامَ يحن ابن الخطيب في مطلع قصيدته؟

١٢ من المخاطب بقول الشاعر: جادك الغيث؟

١٣ بمَ تميزت هذه الموشحة؟

المناقشـــة

١٤ استهل ابن زيدون قصيدته بفكرتين رئيسيتين تكلم عليهما؟

١٥ قصيدة ابن زيدون هذه تمثل تجربة شعورية صادقة، وضحها.

١٦ هل نستطيع أن نعدّ هذه القصيدة من قصائد الغزل العذري؟ وضح ذلك.

١٧ طرح الشاعر في بدء قصيدته الثنائيات الضدية، ناقش ذلك.

١٨ تتسم قصيدة أضحى التنائي بمجموعة من السمات الفنية، اذكرها.

الدَرس الثالث:
الأدب العربي في العصر الأندلسي
النثر في العصر الأندلسي

تأثر النثر في الأندلس بالنثر في المشرق العربي، ولذلك يلاحظ الباحث أن أي تطور في النثر المشرقي أو تجديد فيه لا بد أن تنعكس آثاره على أهل الأندلس، فإذا كنّا قد تعرفنا عند دراستنا للنثر العباسي على طريقة الجاحظ وابن العميد وبديع الزمان، فإننا سنجد أصداء ذلك في الأندلس ،وقد امتاز كثير من كتاب الأندلس بجمعهم بين الشعر والنثر كـ(ابن زيدون، وابن شهيد، وابن برد، ولسان الدين بن الخطيب)، وغيرهم، فكان لهذا الجمع بين الفنّين أثره في صبغ النثر بالصبغة الشعرية، مما أعطاه جمالًا ورقة وحسن اختيار للألفاظ والأساليب.

خصائص النثر الأندلسي

على الرغم من تأثّر الكتّاب الأندلسيين بأساليب المشارقة، وطرائقهم الفنية، فقد كانت هناك خصائص انماز بها نثرهم ولاسيما الترسل، فقد اتخذت رسائلهم في بنائها شكلًا فنيًّا يختلف في بعض جزئياته عن الرسائل المشرقية التي تبدأ في الغالب بالبسملة والتحميد والصلاة على الرسول الكريم، فصارت تخلو من الاستفتاح المعروف وتبدأ بالدعاء للمرسل إليه، وتعظيمه، أو بالمنظوم، أو بالدخول في الموضوع مباشرة.

وتنوعت أساليب الإنشاء بتنوع الموضوعات، إلا أنّ الكتاب حرصوا على الاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف، وأكثروا من استعمال الجمل الدعائية والمعترضة، وبالغوا في إبراز الصور البيانية، واهتموا باستعمال المحسنات البديعية، وارتقوا بأسلوب التعبير حتى لتبدو بعض رسائلهم وكأنها شعر منثور كما في رسائل ابن زيدون.

وفي العصور الأخيرة تنوعت أساليب الأداء الفني فاتخذت مستويين: أولهما مستوى الكاتب نفسه كما في نثر ابن الخطيب المُرَسَل، والمسجع، والثاني الاختلاف على مستوى الكتاب، وقد سار في اتجاهين يغلب على الأول الإفراط في الزخرفة اللفظية ورائده إسماعيل بن الأحمر (ت٨٠٧هـ) في كتبه (نثير الجمان) و(نثير فرائد الجُمان) و(مستودع العلامة). ويغلب على الثاني الميل إلى الأسلوب المرسل، ويبدو في رسالة القاضي أبي الحسن النباهي التي يعدد فيها معايب لسان الدين بن الخطيب، وفي كتاب (الخيل) لعبد الله بن محمد بن جُزَيّ، وقد صدر الكتاب بنبذة عن تاريخ ثمانية من ملوك بني الأحمر، ثم تحدث عن صفات الخيل وأحوالها. وأهم تلك الخصائص هي على النحو الآتي:

١ إيثار الألفاظ القريبة الدلالة، والبعد غالبًا عن الغرابة.

٢ الميل إلى التصوير والأخيلة المنتزعة من الطبيعة.

٣ الميل إلى الأفكار الواضحة والاستقصاء.

٤ ظهور النثر الأندلسي في أول أمره متأثرًا بنثر المشرق فكان بعيدًا عن الصنعة والتكلّف، ثم اتجه تدريجيًّا إلى الصنعة والزخرف اللفظي، وفي آخر الأمر مال إلى الإسراف والمغالاة في الصنعة اللفظية.

فنون النثر الأندلسي

تعددت فنون النثر العربي في الأندلس، فتناول الأندلسيون ما كان معروفًا في المشرق من (خطب، ورسائل، ومناظرات، ومقامات)، وزادوا عليها بعض ما أملته ظروف حياتهم وبيئاتهم، وقد شاع فيهم تصنيف كتب برامج العلماء، التي تضمنت ذكر شيوخهم ومروياتهم وإجازاتهم. وكان للكتاب مزيّة الجمع بين الشعر والنثر والإجادة فيهما.

١ الخطابة

كانت الخطابة وليدة الفتح، فعندما دخل العرب الأندلس فاتحين كانوا ميالين إلى الخطابة، ثم إن عصر الولاة كان عصر اضطراب وحروب وصراع بين العصبيات العربية، فكان ذلك داعيًا إلى ازدهار الخطابة في الأندلس في ذلك العصر، فكانت الوسيلة الفعالة في إشعال الحروف وتأييد العصبية القبلية عندما تكون الحروب والنزاعات بين العرب العدنانيين والقحطانيين، وكانت الوسيلة فعالة في الحث على الجهاد وقتال الكفار عندما تكون الحروب ضد نصارى الأندلس. وكانت الخطابة في تلك الفترة تتميز بالسهولة والوضوح والإيجاز والبعد عن التكلّف؛ لأن الخطباء من الولاة والأمراء والقادة كانوا عربًا مطبوعين على الخطابة والارتجال.

ولكن عندما استقرت الأمور مال الناس إلى الدعوة ضعفت الخطابة وتفوق الشعر والنثر الفني عليها، وإن كانت الخطابة الدينية قد ازدهرت بفضل بعض العلماء الذين كانوا يجيدونها كالقاضي منذر بن سعيد البلوطي.

وعندما عادت الأندلس إلى عصر الاضطراب والحروب في عهد ملوك الطوائف والمرابطين والموحدين، كانت المَلَكَةُ والسليقة العربية قد ضعفت، فلم تزدهر الخطابة من جديد مع وجود دواعي الازدهار، بل دخلها كثير من الصنعة اللفظية وامتلأت بالسجع المتكلّف فضعفت، ولم يعد لها تأثير يذكر.

وأشهر خطباء الأندلس: (طارق بن زياد فاتح الأندلس)، و(منذر بن سعيد البلوطي)، و(القاضي عياض)، و(لسان الدين بن الخطيب).

خطبة طارق بن زياد فاتح الأندلس

التعريف بالخطيب:

هو طارقُ بن زياد، فاتحُ الأنْدَلُسِ. ولد سنة ٥٠هـ، أصلُه من البربر، أَسلم على يد موسى بن نُصَيْرٍ، فكان من أشدِّ رجاله، ولما تم لِموسى فتح طَنْجَةَ ولّى عليها طارقًا سنة ٨٩هـ، فأقام فيها إلى أوائل سنة ٩٢هـ، فجهّز موسى جيشاً قدره سبعة آلاف جنديّ معظمهم من البربر لغَزْو الأندلس وفتحِها، وولّى طارقا قيادتهم، فنزل بهم البحر واستولى على الجبل (جبل طارق) وفتح حصن "قَرْطَاجَنَةَ" ولما علم طارق بقدوم جيشٍ للأعداء كبيرٍ يقوده الملك "لُذَرِيقُ " طلب من موسى تعزيزا فأرسل له خمسةَ آلاف جندي، فأعدَّ طارق جيشه وألقى خطبته المشهورة وحارب الملك "لذريقَ " فقتله، ثم تَغَلْغَلَ في أرض الأندلس وافتتح "إشْبِيلِيَةَ" و"إستجَةَ" وأرسل من استولى على "قُرْطُبَةَ" و"مَالَقَةَ"، ثم فتح "طُلَيْطَلَةَ" عاصِمةَ الأندلس. تُوُفِّي طارقُ بن زيادٍ سنة ١٠٢هـ.

النَّـصُّ:

((أيُّهَا النَّاسُ، أيْنَ المَفَرُّ؟ البَحْرُ مِنْ وَرَائِكُم، وَالعَدُوُّ أمَامَكُم وَلَيْسَ لَكُمْ وَاللَّهِ إلَّا الصِّدْقُ والصَبْرُ، وَاعْلَمُوا أنَّكُمْ فِي هَذِهِ الجَزِيْرَةِ أَضْيَعُ مِنَ الأيْتَامِ فِي مَأْدُبَةِ اللِّئَامِ، وَقَدْ اسْتَقْبَلَكُمْ عَدُوُّكُم بِجَيْشِهِ وأَسْلِحَتِهِ، وأَقْواته موفورةٌ ، وأنْتُمْ لا وَزَرَ لَكُمْ إلَّا سُيُوفُكُم وَلَا أقْوَاتَ إلَّا مَا تَسْتَخْلِصُونَه مِنْ أيْدِي عَدوِّكُم، وإنْ امْتَدَّتْ بِكُمُ الأيَّامُ عَلَى افْتِقَارِكُم وَلَمْ تُنْجِزُوْا لَكُم أمْرًا ذَهَبَتْ رِيْحُكُم، وتَعَوَّضَتِ القُلُوْبُ مِنْ رُعْبِهَا مِنْكُم الجَرَاءَةَ عَلَيْكُم، فادْفَعُوْا عَنْ أنْفُسِكُم خُذْلَانَ هَذِهِ العَاقِبَةِ مِنْ أمْرِكُم بِمُنَاجَزَةِ هَذَا الطَّاغِيَةِ، فَقَدْ أُلْقَتْ بِهِ إلَيْكُمْ مَدِيْنَتُهُ الحَصِيْنَةُ)).

معاني المفردات والتراكيب

المفردات	المعنى
الوزر	الملجأ والمكان الذي تحتمون به، والمراد هنا السلاح.
ذهبت ريحكم	ذهبت قوتكم.
المناجزة	سرعة المقاتلة والاشتباك.

وقد ذهب بعض الباحثين والمحققين إلى أنّ هذه الخطبة لا تصح نسبتها لطارق بن زياد؛ لعدة أسباب، منها:

١ خُلُوّ المصادر الأولى التي قصَّت علينا أخبار الفتح منها، وظهورها في الكتب المتأخرة التي ظهرت بعد خروج المسلمين من الأندلس.

٢ أنَّ طارقًا بن زياد لم يكن عربيًّا بل كان بربريًّا، ولم يُسْلم إلا قبل الفتح بسنوات قليلة، ومن البعيد أن يصل إلى هذا المستوى من الفصاحة في ذلك الوقت القصير.

٣ أنَّ أسلوب الخطبة المليء بالمحسنات البديعية لم يعرف في القرن الأول الهجري، وإنَّما ظهر في القرون المتأخرة.

٢ الكتابةُ الأدبيّة

كانت الكتابة الأدبية في عصر الولاة وبدء الحكم الأموي محددة الأغراض، لا تتعدى القدر الذي تدعو إليه ضرورات الحياة، كالمكاتبات الرسمية والعهود والرسائل الإخوانية، وكان أسلوبها يتسم بالوضوح والبعد عن التكلف والصناعة اللفظية، ثم هبت رياح الصناعة اللفظية والتكلف من الشرق على الأندلس، فوجد من كتاب الأندلس من قلد ابن العميد، والصاحب بن عباد، والقاضي الفاضل وغيرهم، ويمكننا أن نقسم الكتابة الأدبية إلى أربعة أنواع:

١ **الرسائل الديوانية:** وهي الرسائل الرسمية التي تصدر من ديوان الخليفة أو الوالي إلى ولاة الأقاليم أو قادة الجيوش أو إلى الأعداء الخارجين على السلطة، وتشمل أيضًا رسائل العهود والمواثيق وما إلى ذلك، وكان الخلفاء يختارون لها كبار الأدباء؛ لأن هذا النوع من الكتابة يتعلق بالأمور الرسمية؛ فإن الخيال والإبداع الأدبي فيها محدود، ومن الرسائل: (رسالة ابن زيدون) و(ابن برد الأصغر)، و(لسان الدين بن الخطيب).

٢ **الرسائل الإخوانية:** وهي الرسائل التي تدور بين الإخوان والأصدقاء للتهنئة أو التعزية أو الشوق أو الشكر أو العتاب، وهي ميدان فسيح للإبداع والتأنق، خصوصًا إذا كانت بين أديبين يريد كل واحد منهما أن يظهر براعته للآخر، وأن يرتفع بمستوى رسالته إلى آفاق سامية من الجمال والإبداع، ومن أشهر كتّاب هذا النوع من الرسائل: (ابن زيدون)، و(ابن برد الأصغر)، و(الفتح بن خاقان)، و(لسان الدين بن الخطيب).

٣ **المناظرة:** أجاد الأندلسيون في المناظرات الأدبية والمفاضلة بين الأشياء الواقعية، كالمفاضلة بين المشرق والأندلس أو بين مدن الأندلس كقرطبة وطليطلة مثلًا، والخيالية كالمناظرة بين السيف والقلم، وبين أنواع الورد والفواكه.

والمناظرات الأدبية وهي فن يهدف الكاتب فيه إلى إظهار مقدرته البيانية وبراعته الأسلوبية، وهي نوعان خيالية وغير خيالية.

ومن المناظرات غير الخيالية ما كان يقوم بين مدن الأندلس نفسها، كما في رسالة الأديب أبي بحر بن إدريس إلى الأمير عبد الرحمن بن يوسف الموحدي، والتي بناها على مناظرة بين مدن الأندلس، حيث يحكي مفاخر كل مدينة أندلسية، وما تمتاز به على المدن الأخرى، وأنها أولى بإقامة الأمير فيها من غيرها.

ومن المناظرات الخيالية المناظرة التي عقدها ابن برد الأصغر بين السيف والقلم ((يمكنك الاطّلاع عليها بالرجوع إلى مصدر أدبي موثوق بالتعاون مع أُستاذك وزملائك)).

٤ **المقامة:** وهي نوع من النثر الفني نشأ في المشرق على يد بديع الزمان الهمذاني، ثم حذا حذوه الحريري، وفي الأندلس عارض أبو طاهر محمد التميمي السرقسطي (توفي بقرطبة سنة ٥٣٨هـ) مقامات الحريري الخمسين بكتاب الخمسين مقامة اللزومية، وهي المعروفة بالمقامات السرقسطية، ولزم في نثرها المسجوع ما لا يلزم. كتب أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الأزدي (ت٧٥٠هـ) (مقامة العيد) التي استكدى فيها أضحية العيد من حاكم مالقة الرئيس أبي سعيد فرج بن نصر.

كما ألّف لسان الدين بن الخطيب مقامات كثيرة منها مقامته في السياسة، وقد بناها على حوار بين بطلين هما الخليفة هارون الرشيد وحكيم فارسي الأصل عربي اللسان، وقد تضمّنت آراؤه وتجاربه الشخصية فيما ينبغي أن تكون عليه سياسة الحكم.

نموذج رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد

التّعريف بابن الشهيد ورسالته:

هو أبو عامر أحمد بن أبي مروان عبد الملك بن مروان بن أحمد بن عبدالملك بن شهيد الأشجعيّ الغطفاني، ولد بقرطبة عام ٣٨٢هـ، وكان والده من أعيان قرطبة ومن المقربين للمنصور بن أبي عامر، وقد توفي والده وهو في الحادية عشرة من عمره ، وقد عاش مترفًا، ونبغ في الشعر والنثر والنقد الأدبي والاجتماعي، وفي آخر حياته أصيب بالفالج، وتوفي عام ٤٢٦هـ.

رسالةُ التّوابع والزّوابع

كان أبو عامر بن شهيد كثير الخصوم والحسّاد، وقد لقي منهم عنتًا وأذى كبيرًا، وكانوا لا يعترفون بأدبه ولا بنبوغه، فكتب هذه الرسالة يناضل عن أدبه، ويبسط فيها آراءه في الشعر والنثر والنقد الأدبي، ويطعن فيها أنداده ومنافسيه، ويوضح معايبهم.

وقد بنى الرسالة على أنه قد رحل إلى وادي الجّن في صحبة جني اسمه (زهير بن نمير) من بني أشجع الجن -يلاحظ أن ابن شهيد من بني أشجع -، وهناك التقى بشياطين كثير من الشعراء الجاهليين والإسلاميين والعباسيين، كما التقى بشياطين بعض الكُتّاب، وقد بني فكرة الرسالة على ما كان شائعًا عند العرب في الجاهلية من أن لكل شاعر رئيًا من الجّن ينفث الشعر على لسانه، وهو اعتقاد جاهلي.

وقد وجّه الرسالة إلى أبي بكر بن حزم كما هو واضح من هذا النص، وتتكون الرسالة من مدخل وأربعة فصول، تحدث في المدخل إلى ابن حزم، وأوضح له كيف تعلّم وتأدّب، ثم انتقل إلى خبر حبيب له مات، فأخذ في رثائه، فأرتج عليه، فإذا بجني اسمه (زهير بن نمير) يتصور له، ويلقي إليه بتتمة الشعر رغبةً في اصطفائه.

-أما الفصل الأوّل: فهو عن توابع الشعراء، حيث التقى بهم في وادي الأرواح، ومنهم توابع امرئ القيس وطرفة بن العبد، وأبي تمام، والمتنبي، والفصل الثاني في توابع الكتاب، وهم: عبد الحميد الكاتب، والجاحظ، وبديع الزمان الهمذاني، أما الفصل الثالث فهو عن نُقّاد الجّن، والفصل الرابع والأخير عن حيوان الجّن.

وقد بدأ الرحلة بعد المقدمة الموجهة إلى ابن حزم بقوله: ((تذاكرت يومًا مع زهير بن نمير أخبار الخطباء والشعراء، وما كان يألفهم من التّوابع والزّوابع، وقلت: هل حيلة في لقاء من اتفق منهم؟ فقال: حتى أستأذن شيخنا)).

وهكذا يمضي في الرسالة على ما ذكرنا عن فصولها، وقد ملأها بالكثير من شعره ونثره وثناء نقاد الجن عليه، وكأنه يريد أن يلفت معاصريه إلى محاسن شعره، كما أنه قد نثر في ثناياها آراءه النقدية.

النَّــصُّ:

قال ابن شهيد في رسالة التوابع والزوابع مخاطبًا أبا بكر بن حزم:

((الله أبا بكر! ظَنٌّ رَميتَهُ فَأَصْمَيْت، وحَدْسٌ أَمَّلْتَهُ فما أشويت، أبديت بهما وجه الجلية، وكشفت عن غُرَّة الحقيقة، حينَ لمحتَ صاحبكَ الذي تكسبته، ورأيته قد أخذ بأطراف السماء، فألَّف بين قمريها، ونظم فرقديها، فكلما رأى ثَغْرًا سدّه بسهاها، أو لمح خَرْقًا رَمه بزُبَاناهَا، إلى غير ذلك، فقلت: كيف أوتى الحكم صبيًا؟، وهزَّ بجذع نخلة الكلام فتساقط عليه رطبًا جنيا؟ أما إن بهِ شيطانًا يهديه، وشيصَبَانًا يأتيه وأقسم أن له تابعةً تُنجده، وزابعةً تُؤيده، ليس هذا في قدرة الإنس، ولا هذا النَّفس لهذه النَّفْس، فأمَا وقد قلتها أبا بكر فأصغِ أُسمعكَ العَجبَ العُجاب: كنتُ أيامَ كُتّاب الهِجاء، أحِنُّ إلى الأدباء، وأصبو إلى تأليف الكلام، فاتّبعتُ الدواوينَ، وجلستُ إلى الأساتيذ، فنبضَ لي عِرقُ الفهم، ودَرّ لي شريان العلم، بموادَ رُوحانية، وقليل الالتماح من النَّظرِ يزيدني، ويسير المطالعة من الكتب يفيدني، إذ صادفَ من العِلم شَنٌّ طَبَقهُ، ولم أكن كالثلج تقتبس منه نارًا، ولا كالحمار يحملُ أسفارًا ، فطعنت ثُغرةَ البيانِ دراكا، وأعلقت رجل طيره أشراكا، فانثالت ليّ العجائبَ وانهالت عليَّ الرغائب)).

للدرس فحسب

معاني المفردات والتراكيب

المفردات	المعنى
أبو بكر بن حزم	يحيى بن حزم من أدباء الأندلس المعاصرين لابن شهيد وهو غير أبي محمد بن حزم الفقيه الظاهري المشهور.
أصميت	أي رميت فقتلت الصيد في مكانه.
أشويت	أخطأت المقتل، يقال أشواه أصاب شواه، أي أطرافه لا مقتله.
السها	كوكب خفي من بنات نعش الصغرى مجاور للقطب، وكان العرب يمتحنون به أبصارهم لخفائهِ.
رمّه	أصلحه.
والزباني	واحد الزبانيينِ، وهما كوكبان نيران في قرني برج العقرب معترضان بين الشمال والغرب، بينهما قيد رمح.
الشيصبان	اسم الشيطان وقبيله من الجن.
تابعة	جنية تحب الإنسان وتتبعه حيث ذهب.
زابعة	المعروف الزوبعة رئيس للجن، أو اسم شيطان، يجمع على زوابع.
انثالت	انصبّت، وعليه القول تتابع وكثر فلم يدرِ بأيه يبدأ.
الرغائب	جمع رغيبة، الأمر المرغوب فيه، والعطاء الكثير.

المناقشـــة

١ بيّن كيف تطور النثر في العصر الأندلسي.

٢ تعددت الفنون الأدبية في العصر الأندلسي، وضّح تلك الفنون بإيجاز.

٣ بيّن أهم الخصائص التي اختص بها النثر في العصر الأندلسي.

٤ الرسائل الأندلسية نوعان فما هما؟ بيّن ذلك.

٥ ما المقصود بالمقالة؟ وضح ذلك.

٦ تحدث عن الخطابة وأشهر الخطباء في العصر الأندلسي.

٧ علل: عدم صحة نسبة الخطبة لطارق بن زياد.

٨ ما موضوع رسالة التوابع والزوابع؟ وما الذي دفع ابن الشهيد لكتابتها؟

٩

الوَحْـدَةُ التاسعة

الأدب العربي في العصر الحديث

بعد الانتهاء:

من دراسة هذه الوحدة يتوقع من الطالب أن يكون قادرًا على أن:

١. يوضح مفهوم الأدب في العصر الحديث وتطوره.
٢. يذكر العوامل التي أدّت إلى نهضة الأدب الحديث.
٣. يبين أقسام الأدب في العصر الحديث.
٤. يحدد الخصائص الفنية للأدب في العصر الحديث.
٥. يذكر المدارس الأدبية في هذا العصر.
٦. يعدد أهم رواد المدارس الأدبية في العصر الحديث.

الدَرس الأول:
تمهيد: الأدب العربي في العصر الحديث

مفهوم الأدب في العصر الحديث

إذا استقرأنا مفهوم الأدب لدى أدبائنا في العصر الحديث نجده يدلّ على الكلام الحسن سواء أكان من الشعر أم من النثر الذي يُثير شعور القارئ، ويُخلّف في نفسه أثرًا بالغًا، وهو كذلك فنّ الإبانة عمّا في النّفس والقدرة على تصوير المكنونات الدّاخليّة والمشاعر النفسية بشكلٍ يُؤثّر بالمتلقي فينقل التجربة الشخصية إليه.

ومن أكثر المفاهيم شمولاً وانتشارًا أنه: (الكلام الإنساني البليغ الذي يقصد به التأثير في عواطف القراء أو السامعين، أو في عقولهم بالإقناع سواء أكان منظومًا أم منثورًا...ويتمثل في كونه الذخر الإنشائي الذي جادت به قرائح الأفذاذ من أعلام البيان وعبروا به عن خلجات النفس وما يجيش به الوجدان، وما تترنم به العاطفة، ويسبح فيه الخيال، وما توحي به مظاهر الكون وأحوال المجتمع مما في تصويره غذاء للغة وإمتاع للنفس)).

عوامل نهضة الأدب في العصر الحديث

لقد مرّ العالم العربي بفترة ظالمة سائدة منذ سقوط بغداد لمّا غزاها هولاكو وذلك عام ١٢٥٨ ميلادي، وحتى دخول نابليون إلى مصر؛ وذلك عام ١٧٩٨ ميلادي، وقد تراجع الشعر في تلك الفترة حتّى رأى أخيرًا فجر النور من جديد بفضل العديد من العوامل، ومن بينها:

١ **احتكاك لبنان بالغرب:** وقد ظهر ذلك الاحتكاك في القرن السادس عشر الميلادي وما بعده، وذلك عن طريق البعثات الأوروبية إلى الدول العربيّة وافتتاح مدارس أخرى إلى جانب القديمة، وأكبر مثالٍ على ذلك المدرسة التي أسّسها

بطرس البستاني عام ١٨٦٣ ميلادي.

٢ **احتكاك مصر بالغرب:** وذلك عن طريق حملة نابليون التي لم تكن حملة عسكرية فقط، بل كان هناك فيها احتكاك بين ثقافتين مختلفتين، لا سيما أن نابليون قد ضمّن حملته عددًا من العلماء والأدباء، وأصدر صحيفتين فصار المجتمع العربي على اطلاع بثقافة أخرى غير التي ألفها.

٣ **الصحافة:** لقد كان للصحافة أثر بالغ في تغيير مسيرة الحياة الأدبية في الوطن العربي؛ فقد استطاع أرباب الأقلام أن يجدوا حاضنة آمنة لهم تُمكّنهم من نشر أفكارهم وتُمكن الشعب من قراءة تلك الأفكار؛ لأنّ الصحيفة كانت رخيصة الثمن مقارنة بالكتب وما إلى ذلك.

٤ **انتشار الجامعات والمدارس:** لقد كان العالم العربي قبل عصر النهضة يأخذ العلم عن طريق الكتاتيب وحلقات العلماء في المساجد، فكانت الجامعات والمدارس هي نقلة نوعية في عالم الأدب والمعرفة؛ فقد تمكّن الطلاب من أخذ العلم من أهله والقائمين عليه.

٥ **انتشار المطابع:** وذلك لمّا دخلت أول مطبعة إلى مصر كانت تطبع الحروف العربية والفرنسية، فطُبع عليها الكثير من أمهات الكتب، مثل: (كتاب الأغاني)، وكذلك (العقد الفريد)، و(مقدمة ابن خلدون).

٦ **ظهور الترجمة:** انتشرت الترجمة بشكل كبير على أيّام محمد علي الذي شجع عليها؛ لرغبة باطلاع أبناء أمته على العلوم الغربيّة فتُرجم في عهده الكثير من الكتب الخاصة بالهندسة والطب، ثمّ اتّسعت الترجمة في عهد إسماعيل لتشمل كذلك الكتب الأدبية مثل: (ماجدولين) و(في سبيل التاج).

تطور الأدب في العصر الحديث

إنّ تطور الأدب في العصر الحديث كان نتيجة حركتين، وهما:

١ **حركة إحياء الأدب القديم:** والهدف من إحياء الأدب القديم هو محاولة إيجاد قوى تُقاوم الانحطاط الذي كانت تمرّ به الثقافة العربية، وأشهر من قام على تلك الحركة، هو إبراهيم اليازجي، الذي أسهم في نشر النصوص القديمة ذات اللغة العالية والذوق الرفيع.

٢ **حركة الترجمة:** وهذه الحركة هي التي خلقت رؤية جديدة في عالم الأدب، وظهرت الترجمة على يد الطّهطاوي في زمن محمد علي الذي ترجم أول رواية فرنسية وهي (تليماك).

الدَرس الثاني:
أقسام الأدب في العصر الحديث
الشعر في العصر الحديث

واقع الشعر في بداية النهضة

ورث الشعر في بداية النهضة آثار الضعف في عصري المماليك والعثمانيين، فقد كان الشعراء يدورون في فلك المعاني القديمة والتعبيرات المنقولة، وكانت الصبغة اللفظية والحلية البديعية مسيطرة عليهم، ففقد نتاجهم معظم خصائصه الفنية، وأصبح المثل الأعلى للشاعر قدرته على تكبيل قصائده بأكبر عدد من القيود، وكثرت في الدواوين الألغاز والتخميسات والتشطيرات والتأريخ الشعري، حتى صار الشعر تقليدًا لا روح قوية فيه، ولا إبداع متميزًا يلفت النظر إليه. ومن الشعراء الذي شهدوا بداية النهضة في مصر علي الليثي، وفي العراق السيد عبد االله الآلوسي، وفي المغرب العربي محمد السليماني، وفي الشام محمد الهلالي، وكل أولئك لم يكونوا ذوي إبداع متميز – على تفاوت حظوظهم في الإبداع- فقد غلبتهم الأساليب الموروثة وكان نتاجهم تكراراً لما حفظوه.

اتجاهات الشعر في العصر الحديث

الاتجاه الأول: الاتجاه المحافظ: يراد بهذا الاتجاه ذلك الذي يسير على رسوم الشعر العربي القديم من حيث تناول المعاني والسير على الأغراض المأثورة من مدح ورثاء وغزل ووصف ونحو ذلك، مع إيثار للفصاحة والبيان، وحفاظ على عمود الشعر، وعدم الخروج على الأوزان العربية المأثورة، وليس عند الشعراء المحافظين مغامرات شكلية أو خروج على الأوزان، ولكنهم أسهموا في إحياء كثير من الأوزان المهملة كمجزوء المتدارك الذي نظم عليه البارودي وأحمد شوقي. ولهذا الاتجاه خصائص موضوعية وأخرى فنية فالخصائص الموضوعية هي على النحو الآتي:

١ قرب المعاني ووضوحها.

٢ تناول المعاني والظواهر الحديثة برؤية شعرية تنتمي لرؤية القدماء.

٣ كثرة المعارضات للقصائد المشهورة.

أما خصائصه الفنية فهي على النحو الآتي:

١ الوزن والقافية.

٢ إيثار جمال اللغة، وتوظيف المفردات التراثية.

٣ الصور الفنية لا تخرج في الغالب عن حدود التشبيهات والاستعارات والمجازات التي تواضع عليها القدماء.

الاتجاه الثاني: الاتجاه المجدد: أتيح للعرب في بداية النهضة الحديثة أن يحتكوا بالغرب بفعل اتساع حركة الاحتلال ونشوء المدارس التي أقامها المحتلون فيما استولوا عليه من أقطار، فحفزهم ذلك إلى إصدار الصحف والمجلات، وترجمة ألوانٍ من الآداب والثقافات الأجنبية لم يكن للعرب بها عهد ولا معرفة.

هذه العوامل فتحت أذهان الشعراء والأدباء على ضرورة التجديد في الشعر، وتخليصه من ربقة التقليد والمحاكاة، والسمو به إلى الإبداع في موض وعاته، ومعانيه، وأخيلته، وأسلوبه، وإيقاعه، وتوجيهه للتعبير عن وقع الحادث على نفس الشاعر ووجدانه. فالتجديد في الشعر أو القصيدة تناول هذه العناصر جميعًا، وإن اختلف تطبيقها قلة وكثرة واقتدارًا من شاعر إلى آخر.

ومن هنا نستطيع أن نحدد مفهوم التجديد بأنه: الإبداع في موضوعات الشعر ومعانيه وصوره الفنية وأسلوبه وإيقاعه، على نحوٍ غير مأثورٍ في الشعر العربي القديم. ولهذا الاتجاه أيضا خصائص موضوعية وفنية فأما الأولى فهي على النحو الآتي:

١ الابتعاد عن توظيف الشعر في بعض الأغراض المأثورة مثل: (شعر المناسبات)، و(المدح)، ولا سيّما المدح الكاذب المبالغ فيه الذي يرمي به صاحبه إلى الاستجداء والتكسب، وكالفخر القبلي والذاتي، والهجاء الشخصي.

٢ التجديد في الموضوعات الشعرية القديمة، بإضافة موضوعاتٍ أخرى لم تكن موجودة من قبل، كوصف المخترعات الحديثة، ومعالجة بعض القضايا الاجتماعية، ومناهضة المحتل.

٣ غلبة الجانب الذاتي، وتصوير النفس الإنسانية بآمالها وآلامها.

وأما الثانية، فهي على النحو الآتي:

١ وحدة الموضوع، وهي أنْ يقتصر الشاعر في قصيدته على موضوع واحد لا يتعداه إلى غيره، وقد كان الشاعر العربي القديم لا يلتزم موضوعاً واحداً في قصيدته، بل يع بر فيها عن أكثر من موضوع.

٢ تجاوز الاتجاه المجدد الشعر الغنائي القابل للإيقاع والإنشاد الذي امتاز به الشعر العربي في جميع عصوره إلى الشعر التمثيلي والقصصي، وبذلك يمكن توظيف الشعر في إنشاء الملاحم والقصائد المطولة.

٣ إبداع صور فنية جديدة، لم تكن مألوفة في الشعر العربي القديم أوحاها تجدد الحياة والحضارة وتنوع الثقافة، والاطلاع على آداب الأمم الأخرى، وقدرة الشاعر على التخيّل.

٤ سهولة التعبير، باختيار الألفاظ المأنوسة، والتراكيب والجمل اليسيرة.

٥ النظم على البحور القصيرة، ومجزوءات البحور ومشطوراتها، واختيار الأوزان ذات الإيقاع الرقيق الهادئ. وكان الشاعر العربي القديم يؤثر النظم على البحور ذات النفس الطويل كالبحر الطويل والبسيط والكامل؛ لأنّها تلائم الإنشاد في المحافل، وعلى صهوات الجياد حيث تشتد المعارك.

عمود الشعر العربي: ويقصد به طريقة العرب في نظم الشعر، وذلك بالمحافظة على وزن الشعر العربي التقليدي الذي جاء عن العرب، ووضع أصول قواعده الخليل بن أحمد الفراهيدي المعروفة بعلم العروض.

المدارس الشعرية في العصر الحديث

تعددت المدارس الأدبية التي مثلت الخصائص الموضوعية والفنية من الشعر الحديث إلّا أنّ أبرزها ما يأتي:

جماعة الإحياء:

يطلق اسم (جماعة البعث والإحياء) على الحركة الشعرية التي ظهرت في أوائل العصر الحديث، والتزم فيها الشعراء النظم على نهج الشعر في عصور ازدهاره، منذ العصر الجاهلي حتى العصر العباسي، وقد كان محمود سامي البارودي هو مؤسسها ورائدها، ومن أشهر شعراء هذه الحركة: (حافظ ابراهيم، وأحمد شوقي، وعبد المحسن الكاظمي، وجميل صدقي الزهاوي، ومحمد مهدي الجواهري، وأحمد الصافي النجفي، وأمين نحلة، وغيرهم)، وقاموا هؤلاء الشعراء بالتأثير في الشعر بأساليبهم الخاصة، والمميزة، وقد سميت هذه الحركة بالعديد من الأسماء، إذ أُطلق عليها اسم (المدرسة الكلاسيكية)، و(الاتجاه المحافظ)، و(مدرسة التقليد).

وكان من أبرز الأسباب التي ساهمت بظهور هذه المدرسة: ضعف الشعر العربي وجموده على مدى العصر العباسي، والتوجه نحو الاعتناء بالتراث القديم للشعر العربي والعمل على إحيائه، وانفصال الشعراء عن أحداث العصر في مجتمعاتهم، ومعالم النهضة الحديثة في العراق والشام ، حيث تأسست بعض الصحف.

وقد اتسمت المدرسة الأحيائية بجملة من السمات، إذ عمد شعراؤها على إعادة

إحياء الشعر العربي من الناحية الفنية، واتبعوا نهج كبار الشعراء القدامى في الأغراض الشعرية من رثاء، ومدح، ووصف، وغزل، كما حافظ الشعراء على الأوزان والقوالب في الشعر، وكذلك حافظوا على عمود الشعر، والمعنى، وقوة بناء القصيدة، فضلًا عن سلامة اللغة العربية، والصور البلاغية، وقد اتخذ شعراء الإحياء والبعث نهج القدماء في الحفاظ على العقلانية، وبناء الصور والخيال مع عدم التجديد.

مدرسة شعراء الديوان:

نشأت مدرسة الديوان في العَقْد الثاني من القرن العشرين، وسميت بهذا الاسم نسبةً إلى كتاب الديوان الذي ألّفاه العقاد والمازني، ونشراه عام ١٣٣٩هـ/١٩٢١م، وأعلامها ثلاثةٌ من الشعراء والأدباء، هم: (عبد الرحمن شكري)، و(عباس محمود العقاد)، و(إبراهيم عبد القادر المازني)، ولم يستمر الوئام بين أعلام المدرسة الثلاثة: إذ قام خصام عنيف بين إبراهيم عبد القادر المازني، وعبد الرحمن شكري، اتهم فيه كل منهما الآخر تهمًا شتى.

ومن أبرز ما نادت به هذه المدرسة:

١ إخراج الشعر من دائرة الموضوعات التقليدية كالمدائح وشعر المناسبات إلى موضوعات إنسانية أكثر رحابةً وتنوعاً؛ ليكون لدينا شعر إنساني عربي جدير بأن نقدمه إلى الآخرين.

٢ تخليص الشعر من الصنعة والتكلف وغرابة اللفظ، ولذلك نقَمت على شوقي؛ لأن شعر الصنعة لديه ارتفع إلى ذروته العليا، وشعر الصنعة ينال بالتدريب والرياضة، ولا يَصْدر عن طبعٍ وموهبة.

٣ بروز شخصية الشاعر في شعره، ولذا عابت على شوقي أن شعر الشخصية هبط عنده إلى حيث لا تتبين لمحة من الملامح، ولا قسمة من القسمات التي يتميز بها إنسانٌ بين سائر الناس، وتعني بشعر الشخصية أن يعبر الشاعر عن أحداث الدنيا كما يحسها هو لا كما يحسها غيره.

٤ الوَحْدة الموضوعية في القصيدة، حيث تتناول القصيدة موضوعاً واحداً.

٥ البعد بالشعر عن التقليد والمحاكاة.

مدرسة شعراء المهجر:

شعراء المهجر هم شعراءٌ عرب عاشوا ونظموا شعرهم وكتاباتهم في البلاد التي هاجروا إليها وعاشوا فيها، ويطلق اسم شعراء المهجر عادة على نخبة من أهل الشام وخاصة اللبنانيين المثقفين الذين هاجروا إلى الأمريكيتين (الشمالية والجنوبية) أواخر القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين، وكونوا فيها جمعيات وروابط أدبية، كما أخرجوا صحفًا ومجلات تركز على نشر أدبهم، وترصد الحركة الأدبية في المهجر. وأشهر هذه الجمعيات الأدبية: (الرابطة القلمية، والعصبة الأندلسية).

الرابطة القلمية: وقد تكوّنت سنة ١٩٢٠م في نيويورك بأمريكا الشمالية، وأعلنت الثورة على الشعر التقليدي، ودعت إلى التجديد في الشعر شكلًا ومضمونًا، ومن شعرائها: (جبران خليل جبران، وميخائيل نعيمة، وإيليا أبو ماضي، ونسيب عريضة، ورشيد أيوب).

العصبة الأندلسية: وقد تكونت سنة ١٩٣٢ في البرازيل بأمريكا الجنوبية، وهي أقرب إلى المحافظة على القديم، ودعم الصلات بين الشعر الجديد والقديم من الرابطة القلمية. أسسها ميشيل معلوف، ومن شعرائها: (إلياس فرحات، سلمى صائغ، والقروي).

وقد تميز الأدب المهجري بمجموعة من الخصائص، فمن حيث المضمون: مجيء شعرهم تعبيرًا عن تجربة شعورية ذاتية، ونزعة إنسانية تأملية، فاتجه أدباء المهجر إلى دخيلة أنفسهم ينطلقون منها، وتوحدوا معها فرارا من صخب الحياة التي تحاصرهم، كما توجهوا إلى الطبيعة، فتأملوا في مظاهرها، وشخّصوها ككائن حي يعبر عما يجيش في نفوسهم من أحاسيس، كما أكثر أدباء المهجر من الحنين إلى الوطن الأم، يشكون مصابه، واشتهر شعرهم بظاهرة الحزن لطول الأيام في الغربة وإحساس المهاجر إحساسا حادا بالزمن.

ومن حيث الشكل والأداء: اتسم شعرهم بالوحدة العضوية المتمثلة في وحدة الموضوع، ووحدة الجو النفسي، وترتيب الأفكار والصور فى بناء متماسك، اعتمدوا على الرمز لما له من دلالات لا تنضب، والرمز معناه عندهم أن يتخذ الشاعر من الأشياء الحسية رموزا لمعنويات خفية، وقد تحرر شعرهم من الوزن والقافية، فجدد المهجريون في قالب القصيدة، واتبعوا نظام المقطوعات، كما اتجه بعضهم إلى شعر التفعيلة.

واتسمت لغتهم بالسهولة والوضوح، وعدم الالتزام أحيانًا بقواعد اللغة العربية. كما أكثروا من استخدام الشكل القصصي في القصيدة.

جماعة **أبولو**:

ظهرت هذه المدرسة بعد مدرسة الديوان بأكثر من عشر سنوات، إذ أنشأها أحمد زكي أبو شادي (١٣٠٩-١٣٧٤هـ / ١٨٩٢-١٩٥٥م) الذي لم تصرفه اهتماماته العلمية عن الأدب، والتفكير في إنشاء مدرسة تحتضنه وتهتم به، وسماها: أبولو – وتسمى أيضاً أبولون – باسم إله النور والفنون والجمال في اعتقاد الإغريق الوثني رغبة منه في اتخاذ اسم عالمي للفنون كما قال، وقد انتقده بعض الكتاب في هذه التسمية، وجرت بينهم مساجلات، ولاشك في أن هذا الاسم لا ينفك عن خلفيته الوثنية، ومن الأصالة في الفكر والفن أن يستوحي الأديب العربي تراثه وما لا يخالف

عقيدته الإسلامية. وقد أعلن أبو شادي ميلادها في القاهرة عام ١٣٥١هـ/١٩٣٢م، وصدرت عنها مجلة تحمل اسمها، وتنشر أدبها، وتذيع أفكارها وآراءها، هي مجلة (أبولو)، واتجهت إلى تحقيق أمور ثلاثة:

١ السمو بالشعر العربي وتوجيه جهود الشعراء توجيهاً شريفًا

٢ ترقية مستوى الشعراء أدبيًا واجتماعيًّا وماديًّا، والدفاع عن مصالحهم وكرامتهم.

٣ مناصرة النهضات الفنية في عالم الشعر.

وأسندت الجمعية رياستها إلى أحمد شوقي اعترافًا بأستاذيته وريادته في دنيا الشعر، وعقدت أول اجتماع لها في يوم الاثنين ١٠/١٠/١٩٣٢م، قبل وفاته بأربعة أيام فقط، وعلى أن عمرها لم يتجاوز سنتين وبضعة أشهر فإنها أثرت في الأدب العربي الحديث تأثيرًا كبيرًا، تمثل في القصائد والدراسات الأدبية والنقدية التي تولت نشرها، فقد ذُكِر أنها نشرت أكثر من سبعمائة قصيدة، وأربعمائة دراسة تحليلية ونقدية، بالإضافة إلى تخصيص عددين لإحياء ذكرى شوقي وحافظ، وتولت الجمعية إصدار عدد من دواوين أعضائها وكتبهم.

وانفرط عقد المدرسة برحيل رائدها الأول أبي شادي إلى المهاجر الأمريكي عام ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م، بعد أن ضاقت به سبل الحياة في مصر، لما أظهره في مجلته من خروج على القيم الإسلامية والمبادئ الفاضلة. وأنشأ الشاعر الطبيب إبراهيم ناجي (١٣١٦-١٣٧٢هـ/ ١٨٩٨-١٩٥٣م) على أنقاض مدرسة أبولو (رابطة الأدباء)، واستمرت حتى وفاته، ثم غير اسمها إلى رابطة الأدب الحديث، وأسندت رياستها إلى الناقد مصطفى عبداللطيف السحرتي (١٣٢٠-١٤٠٣هـ / ١٩٠٢- ١٩٨٣م) حتى وفاته، ثم تسلم الراية من بعده الناقد محمد عبد المنعم خفاجي.

اتجاهات أخرى:

وظهرت في العصر الحديث اتجاهات أخرى غير مدرسة الأحياء، والديوان، وجماعة أبولو كان لها أثر في تجديد الشعر العربي، منها: مدرسة خليل مطران التي تأثرت بالاتجاه الابتداعي في الأدب الفرنسي، ومنها الاتجاه إلى نظم الشعر المرسل، والشعر التفعيلي أو الحر، وسنقدم إضاءة عن الاتجاهين الأخيرين.

١ الشعر المرسل:

المرسل في اللغة: ضد المقيد، والشعر المرسل: أن يتقيد الشاعر بالوزن العروضي دون القافية، أو هو الشعر الموزون غير المقَفّى، وعرفنا هذا اللون من الشعر في المنظومات العلمية كألفية ابن مالك؛ لأن الالتزام بقافية واحدة في منظومة طويلة لا يتيح للناظم حرية طرح ما يود طرحه من معلومات، غير أن القصيدة العربية طَوال تاريخها التزمت بوَحْدة الوزن والقافية.

وفي العصر الحديث اتجه بعض الشعراء إلى التخلص من وَحْدة القافية دون الوزن، متأثرين بشيوع ذلك في الشعر الإنجليزي، وممن دعا إلى الشعر المرسل مدرسة الديوان ومدرسة أبولو، ولاقت الدعوة رواجاً في أوساط الشعراء، واتجه إلى النظم فيه كوكبة من الشعراء منهم على سبيل المثال: (عبد الرحمن شكري)، و(أحمد زكي أبو شادي)، و(محمد فريد أبو حديد) في مسرحيته (فضل سيدنا عثمان)، وطائفة من شعراء المهاجر.

٢ شعر التفعيلة أو الشعر الحر:

الوزن والقافية من أهم أركان عمود الشعر العربي، والتقيد بوحدة البحر العروضي في القصيدة ضرورةٌ لا يجوز الخروج عنها، سواءٌ أكان الوزن المختار من البحر تام التفعيلات أم مجزوءها أو مشطورها أو منهوكها، وينبغي للشاعر أن يلتزم عدداً واحداً من التفعيلات في جميع أبيات القصيدة، فلا يأتي منها -مثلًا- ببيت تام ،

وآخر مجزوءٍ أو مشطور.

وشعر التفعيلة يختلف عن هذا كله؛ لأنّ الشاعر لا يتقيد بوزن البيت الموروث، بل يجعل التفعيلة العروضية هي أساس الوزن وعماده، ويعدها وحدةً إيقاعيةً، سواء طالت أو قصرت، والمعيار في ذلك ما يمليه ذوقه وموهبته وحسه وشعوره، أما القافية فله مطلق التصرف فيها، له أن يلتزم بها، أو ينوعها حسب المقاطع، ويسمى شعر التفعيلة أو الشعر التفعيلي بالشعر الحر، وهذه التسمية ترجمة حرفية من اللغة الإنجليزية، وشعر التفعيلة غير معروف في تاريخ الشعر العربي، إلا أنه شبيه بما كان يسمى (البند).

غير أن وروده في الشعر الإنجليزي - ولا سيّما عند رائده الأول توماس ستيرن إليوت (١٨٨٨-١٩٦٤م)- دفع بعض الشعراء إلى الإعجاب به وتقليده، وتذكر الشاعرة العراقية نازك الملائكة أنها أول من نظم شعر التفعيلة بقصيدتها الكوليرا عام (١٩٤٧م). إلا أن هناك محاولاتٍ سبقتها في مصر قام بها محمود حسن إسماعيل، وعلى أحمد باكثير وغيرهما.

اشتد إقبال الشعراء على هذا الضرب من الشعراء في سائر الوطن العربي، ورأوا فيه تنويعاً في إيقاع الشعر وأسلوبه، والحق أنّ في بعضه جودةً وتميزاً، ولكن كثيراً منه بدا متكلفاً تظهر عليه آثار التصنع، وكان شعر التفعيلة ممهدا لظهور ما سمي بقصيدة النثر التي من حقها أن تلحق بالنثر الفني؛ لأنها تخلو من الوزن والقافية، وتسميتها بالقصيدة خطأ ظاهر؛ إذ من أهم شروط القصيدة الوزن والقافية.

البَنْد: شعر ذو شطر واحد، يقوم إيقاعه على أساس التفعيلة الواحدة المتكررة بحريّة تامّة. وقد نشأ في جنوب العراق، وشاع فيه، وفي منطقة الخليج العربي والأحواز مدة قصيرة من الزمن، ثم أنصرف عنه الشّعراء.

من أشهر أعلام الشعر في العصر الحديث

١ محمود سامي البارودي

التعريف بالشاعر:

شاعر مصري ولد عام ١٨٣٨م، وكان من أسرة موسرة لها صلة بأمور الحكم والسياسة فنشأ طموحًا يتبوأ مناصب مهمة بعد أن التحق بالسلك العسكري، وكان قد ثقّف نفسه بالاطلاع على التراث العربي، ولا سيّما الأدبي فقرأ دواوين الشعراء الكبار، وحفظ شعرهم و هو في مقتبل العمر وقد أعجب بالشعراء المجيدين مثل: أبي تمام، والبحتري، وابن المعتز، والمتنبي، والشريف الرضي، وغيرهم، وكان قد ألّف كتابًا فيه مختارات من الشعر العربي منذ الجاهلية حتى العصر العباسي، وله ديوان مطبوع عنوانه (ديوان البارودي)، توفاه الله في مصر سنة ١٩٠٤ م.

له قصيدة ينقد فيها الوضع السياسي ويمجد وطنه، ويحث على دفع الظلم، ويفخر بنفسه لترفعه عن المنافع الشخصية بعد أن أخفقت (ثورة عرابي) التي أيّدها فسجن، ثم نفي إلى خارج وطنه في جزيرة (سيلان)، وعانى ما عانى في منفاه من غربة عن الأهل والوطن، وفقد زوجته وابنته وهو بعيد عنهما، ولكن ظل حب الوطن والحنين إليه هو الهاجس الأهم عنده، يقول في قصيدته: (أبى الدهر):

قصيدة (أبى الدهر) لمحمود سامي البارودي

النَّـصُّ:

أَبَى الدَّهْـرُ إِلَّا أَنْ يَسُـودَ وَضِيعُـهُ ... وَيَمْلِكَ أَعْنَـاقَ الْمَطَالِـبِ وَغْـدُهُ

فَحَتَّامَ نَسْـرِي فِي دَيَاجِيـرِ مِحْنَـةٍ ... يَضِيقُ بِهَا عَنْ صُحْبَةِ السَّيْفِ غِمْدُهُ

إِذَا الْمَرءُ لَمْ يَدْفَعْ يَدَ الْجَوْرِ إِنْ سَطَتْ ... عَلَيْهِ فَلا يَأْسَفْ إِذَا ضَـاعَ مَجْـدُهُ

وَمَنْ ذَلَّ خَوْفَ الْمَوْتِ كَانَـتْ حَيَاتُـهُ ... أَضَـرَّ عَلَيْـهِ مِنْ حِمَـامٍ يَؤُدُّهُ

وَأَقْتَـلُ دَاءٍ رُؤْيَـةُ الْعَيْـنِ ظَالِمـاً ... يُسِيءُ وَيُتْلَى فِي الْمَحَافِـلِ حَمْـدُهُ

عَلامَ يَعِيشُ الْمَرءُ فِي الدَّهْرِ خَامِـلاً ... أَيَفْـرَحُ فِي الدُّنْيَـا بِيَـوْمٍ يَعُـدُّهُ

يَرَى الضَّيْمَ يَغْشَـاهُ فَيَلْتَـذُّ وَقْعَـهُ ... كَذِي جَـرَبٍ يَلْتَذُّ بِالْحَـكِّ جِلْـدُهُ

مِنَ الْعَـارِ أَنْ يَرْضَى الْفَتَـى بِمَذَلَّـةٍ ... وَفِي السَّيْـفِ مَا يَكْفِـي لأَمْرٍ يُعِدُّهُ

وَحَسْبُ الْفَتَى مَجْداً إِذَا طَالَبَ الْعُـلا ... بِمَـا كَـانَ أَوْصَـاهُ أَبُـوهُ وَجَـدُّهُ

أَصُـدُّ عَنِ الْمَرْمَـى الْقَرِيـبِ تَرَفُّعَـاً ... وَأَطْلُـبُ أَمْرَاً يُعْجِزُ الطَّيْـرَ بُعْـدُهُ

أَبَتْ لِيَ حَمْـلَ الضَّيْـمِ نَفْسٌ أَبِيَّـةٌ ... وَقَلْـبٌ إِذَا سِيـمَ الأَذَى شَـبَّ وَقْدُهُ

للدرس فحسب

معاني المفردات والتراكيب

المفردات	المعنى
الدياجي	الظلمة الشديدة.
الجور	الظلم والطغيان.
سيم الأذى	أذيق الأذى والعذاب.
شب وقده	التهبت جذوته (فتيلته).
يؤُدُّه يصيبه بداهية	من أدَّ، يؤدُّ.

الشرح والتحليل:

على الرغم مما يبدو على القصيدة من أنّها ظرفية أو مرحلية بسبب الظروف السياسية آنذاك فإنها من الشعر الخالد لما فيها من شاعرية وفن، إذ استعمل الشاعر المجاز العقلي الذي هو: (إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير صاحبه لعلاقة مع قرينة مانعة – من إرادة الاسناد الحقيقي) والعلاقة هنا هي علاقة زمانية فهو يسند الفعل (أبى) إلى (الدهر) وهو زمان حدوث الفعل فالبارودي يشير هنا إلى (أهل الدهر) إذ فضلوا (الدنيء – اللئيم) على السيد الشريف.

ثم يتساءل الشاعر عن استمرار الظلام رافضًا ما يعيشه الناس من ظلم وجور يصل إلى حد تنافر السيف وغمده، وهما متلازمان متلاصقان، ولعلَّه أشار إلى انطلاق الثورة من خلال هذه الصورة المجازية، ولا بد للمرء من أن يتحرك لرد الظلم وإلّا فسيكون الموت الذي سيصيبه أهون عليه من عيش الذّلة والخوف والهوان، وهل هناك داء يصيب المرء أكثر قتلًا من رؤية الظالم يسود بل يكثر مدحه وإطراؤه؟ ثم كعادة الشعراء الوطنيين يحث أبناء وطنه لأن يدفعوا الظلم والهوان عن أنفسهم وعن أوطانهم وعلى المرء ألّا يعيش خائفًا يرى الظالم مرفوعًا في المحافل والأندية وهو لا يستحق الذكر والثناء.

وبماذا يفرح المرء في دنياه أبيوم يعدّه؛ لأنّه فات وانقضى أم بما أنجزه فيه من مواقف وأعمال من أجل وطنه؟ إنّ المجد والوطن يرفضان العار، ويرفضان أن يتعود الإنسان الضيم والقهر ويرضى بهما، فيعيش ملتَذًّا كالذي يحك جلده وقد أصابه الحرب، إنّ المواطن الأبي يستقي من مجد الآباء والأجداد التضحية والتعاون والخلود.

ذلك لأن نفسًا أبيّة تملأ جسد الشاعر، تحاول رمي الضيم الذي أثقل ظهرها مثل حمل غير مرغوب فيه، أمّا قلبه فيتقد نارًا إذا أذيق الأذى من ظالميه وظالمي ابناء وطنه، وهذا لعمري منتهى الإيثار والإباء والتحدي، وتعد قصيدة البارودي مثالًا في استنهاض الهمم الإنسانية والوطنية للوقوف بوجه الظلم والاستبداد.

٢ أمير الشعراء (أحمد شوقي)

التعريف بالشاعر:

برز العديد من الشعراء في العصر الحديث، وكان من أهمهم: أمير الشعراء (أحمد شوقي): وهو أحمد بن علي بن أحمد شوقي، ولد في القاهرة، مصر عام ١٨٦٨، وتوفي فيها بتاريخ ١٣ أكتوبر عام ١٩٣٢، ويعد من أشهر وأعظم شعراء عصره، وبقي إرثه واسمه إلى العصور اللاحقة، فكان شاعرًا فذًا موهوبًا، يجيد نظم الشعر بسهولة، ويهتم بالتعابير المتقنة والتشابيه البليغة، وله إنتاج شعري غزير جدًا، يفوق إنتاج أشهر شعراء العالم، فيقدر عدد أبيات شعره بأكثر من ثلاثة وعشرين ألف بيت، بالإضافة إلى الكثير من المسرحيات، وكان شوقي أحد مؤسسي مدرسة الإحياء والبعث الشعرية، قد حصل أحمد شوقي على لقب أمير الشعراء بعد أن بايعه زملاؤه الشعراء والأدباء أميرًا لهم عام ١٩٢٧م في حفل أقيمَ بالقاهرة، وأحمد شوقي هو أول شاعر عربي يكتب مسرحيات شعرية.

طبع ديوانه باسم (الشوقيات) وله مسرحيات شعرية، منها (مجنون ليلى) و(عنترة) و(على بك) و(قمبيز)، وله مطولة نظم فيها (دول العرب وعظماء الإسلام) وفي النثر له (أسواق الذهب) وغيره، وله من الشعر قصيدة في مدح النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتسمى الهمزية النبوية.

النَّـصُّ:

وُلِدَ الهُـدى فَالكائِنـاتُ ضِيـاءُ ... وَفَمُ الزَمـانِ تَبَسُّـمٌ وَثَنـاءُ

يَومٌ يَتيـهُ عَلى الزَمـانِ صَباحُـهُ ... وَمَسـاؤُهُ بِمُحَمَّـدٍ وَضّـاءُ

يا مَن لَهُ الأَخلاقُ ما تَهوى العُـلا ... مِنها وَمـا يَتَعَشَّـقُ الكُبَـراءُ

زانَتكَ في الخُلُقِ العَظيمِ شَمائِـلٌ ... يُغرى بِهِنَّ وَيولَـعُ الكُرَمـاءُ

فَإِذا سَخَوتَ بَلَغتَ بِالجودِ المَدى ... وَفَعَلـتَ ما لا تَفعَـلُ الأَنـواءُ

وَإِذا عَفَوتَ فَقـادِرًا وَمُقَـدَّرًا ... لا يَستَهينُ بِعَفـوِكَ الجُهَـلاءُ

وَإِذا رَحِمتَ فَأَنـتَ أُمٌّ أَو أَبٌ ... هَذانِ في الدُنيا هُما الرُحَماءُ

وَإِذا غَضِبتَ فَإِنَّمـا هِيَ غَضبَـةٌ ... في الحَقِّ لا ضِغنٌ وَلا بَغضـاءُ

وَإِذا رَضيـتَ فَذاكَ في مَرضاتِهِ ... وَرِضا الكَثيرِ تَحَلُّـمٌ وَرِيـاءُ

وَإِذا خَطَبـتَ فَلِلمَنـابِرِ هِـزَّةٌ ... تَعرو النَـدِيَّ وَلِلقُلـوبِ بُكـاء

المُصلِحونَ أَصـابِعٌ جُمِعَـت يَدًا ... هِيَ أَنتَ بَل أَنتَ اليَدُ البَيضـاءُ

للحفظ سبعة ابيات

معاني المفردات والتراكيب

المفردات	المعنى
الكائنات	المخلوقات
الشمائل	جمع شمال وهو الخلق
يغرى	يولع ويغرم
الأنواء	المطار
الضغن	الحقد
التحلم	تكلف الحلم.
الرياء	أن يظهر المرء خلاف ما يبطن ادّعاءً وتظاهرًا.

الشرح والتحليل:

تندرج هذه القصيدة تحت ما اصطلح على تسميته بـ (المدائح النبوية) وهي القصائد التي تكون شخصية النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسيرته موضوعًا لها، وهذه الأبيات المنتقاة لا تمثل سوى جزء ضئيل منها؛ إذ إنها في مئة وثلاثين بيتًا، تعرض فيها لبعض معجزات الرسول الكريم، وأولها القرآن الكريم وتناول حادثة الإسراء والمعراج، وبعض الصفات النبوية، وتحدث عن الدعوة الإسلامية، وختمها ببيان عجز الشعر عن توفية النبي الكريم حقّه.

وقد سار شوقي على طريقة القدماء في تناول معانيه، فحشد تلك الصفات العالية والخصال العظيمة التي كانت للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والأبيات المنتقاة تتناول أبرز تلك الخصال، وتبين منزلة النبي الكريم ودينه العظيم. وقد ألح شوقي على الصفات التي تفتقر إليها البشرية في كل زمان (السخاء والعفو والرحمة، والبر، والغضب في الله والرضا فيه) وكأنه يوجه الناس من خلال ذلك إلى ضرورة التخلق بها.

وقد جاءت كثير من أبياته مستوفية معانيها، محكمة النسج كالبيت السابع، الذي جعل فيه النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كالأب والأم في الرحمة والعطف، وهما منبع الرحمة الإنسانية ومستقرها، وذلك معنى بلغ فيه الغاية في تصوير الرحمة النبوية لهذه الأمة.

وكذلك ظهرت حفاوة شوقي بالتصوير البديع منذ المطلع؛ إذ جعل الكائنات مضيئة، وجعل للزمان فما متبسما مثنيا، ويكفي أن تقف على الصورة البديعة في البيت الأخير؛ لتتجلّى لك قوته الشاعرية في بيان مكانة الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بين المصلحين، فهم أصابع، والرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بمنزلة اليد التي تجمع تلك الأصابع، ولاشك أن هذه الصورة أسهمت في بيان المعنى وجلائه.

أما ما يخص أسلوب شوقي في هذه القصيدة فقد جاءت صياغته شديدة التناسق، فحينًا عن طريق التقابل بين الشطرين في البيت الثاني، وحينًا نجد تلك الأبيات المتوالية التي تبدأ بـ(إذا)، وكأن الشاعر قد حَمِي واشتدت عاطفته تجاه الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فتدافع نفَسه، وتوالت تبعًا لذلك تلك الجمل المتشابهة التي سرد فيها بعض خلا له العظيمة.

ويبدو جمال أسلوبه في انتقاء ألفاظ دقيقة الدلالة متمكنة في مواضعها، مثل (يتعشّق) التي يزيد معناها عن (يعشق) وفيها ما يدل على مزيد لهفة، ومن الألفاظ التي وفق شوقي في توظيفها كلمتا (قادر ومقدِّر) في البيت السادس، فقد استوفتا المعنى فهو يعطي عن قدرة وعن تقدير، أي أنه يضع العفو - قادرًا- في مكانه.

ومن طرق البيان التي وفق فيها شوقي اختيار ضمير المخاطب بدلًا من ضمير الغائب؛ إذ إن في الخطاب المباشر- في هذا السياق- قرباً وحميمية لا يتوافران بضمير الغائب.

المناقشـــة

١ علامَ تدل كلمة (أدب) في العصر الحديث؟

٢ عدد عوامل النهضة في هذا العصر.

٣ لتطور الأدب في العصر الحديث حركتان، فما هما؟

٤ ماذا تعني كلمة تليماك؟

٥ اذكر بعض الأعلام ممن ساعدوا على تطوير الأدب في العصر الحديث؟

٦ هل انفرد العصر الحديث بأغراض خاصة؟ وضح ذلك.

٧ للشعر في العصر الحديث اتجاهان، اذكرهما مع ذكرك الخصائص الموضوعية والفنيّة لكل اتجاه.

٨ متى نشأت مدرسة الديوان؟ ولماذا سميت بهذا الاسم؟ ومن هم أعلامها؟ وإلامَ نادت؟

٩ ماذا تعرف عن مدرسة أبولو؟ وضح ذلك.

١٠ وضّح مفهوم الشعر المرسل، والشعر الحر.

١١ كيف ثقف البارودي نفسه؟ وماذا ألَّف؟

١٢ بمن أعجب البارودي؟

١٣ ما الذي تجده من أفكار في قصيدة البارودي؟

١٤ بم تعلل خلود القصيدة؟ وماذا تعدها؟

١٥ إلَامَ يحث البارودي أبناء وطنه كعادة الشعراء الوطنيين؟

المناقشـــة

١٦ تكلم على أسلوب الشاعر أحمد شوقي في همزيته.

١٧ من هو أحمد شوقي؟ ومتى ولد ومتى توفي؟ وبماذا لقب؟

١٨ للشاعر شوقي ديوان ما اسمه؟ وما أهم المسرحيات التي كتبها الشاعر؟

١٩ ما اللقب الذي أطلق على الشاعر احمد شوقي، وما رأيك به؟

٢٠ اذكر ما تعرفه عن فن المدائح النبوية.

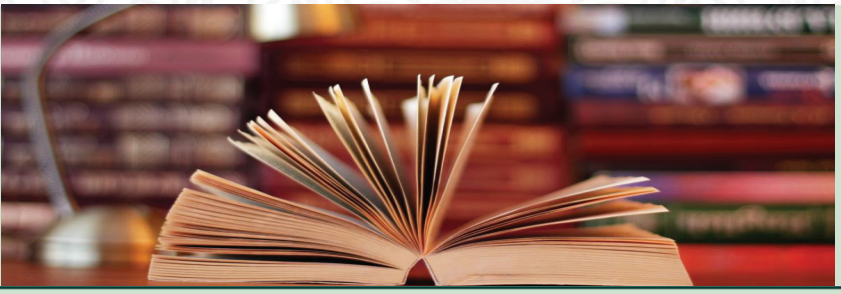

الدَرس الثالث:
أقسام الأدب في العصر الحديث
النثر في العصر الحديث

تطور النثر في العصر الحديث

لم يكن النثر بمعزلٍ عن التطور الذي حظي به الشعر في العصر الحديث بل كان له نصيب كبير من ذلك لا يقل عن نصيب الشعر، فتجاوز التقليدية التي عرِف بها في العصور الوسطي إلى ميادين أرحب في الشكل والمضمون، فاطّرح السجع المتكلف الذي ران على أسلوب الكُتاب زمنًا، وتخلص من الصيغ البديعية المصنوعة التي أغرم بها المؤلفون والأدباء، ورأوها من سمة البلاغة والبيان.

يعد النثر مقصورًا على معالجة موضوعاتٍ محددة لا تتعدى التأليف والرسائل، بل زاحم الشعر بمنكب قوي، في تناول الموضوعات المتعلقة بفنون الأدب، وشؤون النفس الإنسانية، وجاراه في التعبير عن تجارب الكاتب ومشاعره، ووقع الأحداث على وجدانه. واستجدت للنثر فنونٌ اختص بها لم يكن له بها عهد كالمقالة، والقصة، والرواية، والمسرحية، والخاطرة، والمحاضرة، والسيرة الأدبية، والسيرة الذاتية، والحديث الإذاعي، والتقرير، ووجدت عوامل أسهمت معا في تطور النثر وتعدد موضوعاته وفنونه من أبرزها:

١ نشأة الصحافة التي طوّعت النثر؛ ليكون وسيلة تعبير راقية عن الموضوعات والفنون المتنوعة. وتطور الفن الصحفي أتاح للنثر أن يكون أداةً مرنة طيعة في يد الكاتب، يعبر به عن أدق الأفكار والمعاني والمشاعر؛ لأن الصحافة لم تكن مقصورةً على رواية الأخبار السياسية والاجتماعية فحسب، بل تعدت ذلك إلى معالجة قضايا الإنسان والمجتمع وشؤون الحياة من خلال فنون النثر التي استجدت.

٢ شيوع الترجمة التي مكنت الأدباء من الاطلاع على آداب الأمم الأخرى.

٣ معرفة اللغات الأجنبية التي يسرت السبل لقراءة الآداب الأجنبية في لغاتها المختلفة.

٤ ظهور المدارس الأدبية كمدرسة الديوان ومدرسة أبولو التي جمعت بين الثقافة العربية وثقافات الأمم الأخرى.

٥ الرقي الحضاري والثقافي الذي أمدّ النثر بدماءٍ جديدة.

خصائص النثر في العصر الحديث

انماز النثر الحديث بالعديد من الخصائص التي لم تكن موجودة في غيرها، ومن بينها:

١ مخاطبة النثر في تلك الفترة لأبناء الأمة بمختلف طبقاتها، فلم يعد الخطاب موجهًا للفئة المثقفة.

٢ بساطة العبارة وعدم المبالغة في التزيين اللفظي والابتعاد قدر الإمكان عن الزخرفة التي تُوقع الكلمة في شرك الغموض.

٣ الملائمة بين أفكار الكاتب وأفكار القُرّاء، بحيث لا يُؤتى بأفكار غريبة لا تتلاءم مع منطق الشعوب.

٤ محاولة استقاء الأفكار من الشارع حتى تكون قريبة من النّاس، والابتعاد عن الأفكار التي لا تخدم تلك الفترة.

٥ الاهتمام بالجانب النفسي والإنساني وتناول هذا الجانب في الكتابة.

٦ العناية بالأحداث التاريخية وصبها في قالب قصصي أو روائي، حتى تكون في متناول كافة الطبقات.

فنون النثر في العصر الحديث

اختلفت أنواع النثر الحديث وفنونه، وتعددت باختلاف الزّمان والمكان والاستخدام، فقد اختلفت أشكاله في العصر الحديث عن باقي العصور؛ وذلك بحسب متطلبات العصر نفسه واختلاف الحياة الاجتماعية، بعد أن كانت في الأدب العربي القديم مقصورةً على الخطب، والوصايا، والمفاخرات، والمنافرات، والأمثال، والحكم، والأقوال البليغة، والرسائل، والمقامات، وقصص التاريخ. ومن اهم فنون النثر المستحدثة الأنواع الآتية:

١ النوع الأول: المقالة:

تعد المقالة قطعة نثرية قصيرة، محددة الطول، تكتب بأسلوب سليم واضح، وتعالج موضوعاً و احداً ذا فكرة رئيسة واحدة، وتتكون من مقدمة قصيرة تعد مدخلًا للموضوع، يلي ذلك العرض، ويتم فيه طرح الفكرة أو القضية ومناقشتها، يلي ذلك الخاتمة، وفيها يلخص الكاتب رأيه.

وإن المقالة من أهم فنون النثر التي استخدمها الكُتّاب والأدباء في التعبير عن الموضوعات المختلفة، وقد نشأت في أحضان الصحافة، وتطورت بتطورها، ونافست الشعر في تناول أدق الموضوعات والأفكار، وحازت قصب السبق في تنوع الطرح؛ لأن لغتها النثر، والنثر تعبير سلس طِّيع غير مقيد بوزنٍ ولا قافية كالشعر، يسهل توظيفه في كل موضوع ومعنى بخلاف الشعر.

تعددت الموضوعات التي عالجتها المقالة في الصحف والمجلات من دينية، وسياسية، واجتماعية، وأدبية، وتأملية، وتاريخية، وتنوعت تنوع العلوم والمعارف. ومن أبرز موضوعاتها:

١ **المقالات السياسية:** وهي التي تتناول موضوعات السياسة المحلية والعربية والعالمية، كالعلاقات بين الدول، والحروب التي تمليها السياسة، وأثر الحروب على الأمم والشعوب، والقرارات التي تصدرها الهيئات والمنظمات السياسية، ويمكن أن

نمثل لها بالمقالات التي تعرض طبيعة الصراع بين العرب واليهود.

٢ **المقالات الاجتماعية:** وهي المقالات التي تعالج قضايا المجتمع ومشكلاته، مثل قضايا الأسرة، والأمراض الاجتماعية مثل الفقر، والفراغ عند الشباب، والبطالة، والاتكالية، والمخدرات، وانتشار الجهل والأمية، وانعدام الوعي الاجتماعي، وعزوف الشباب عن مزاولة بعض المهن والحرف والأعمال.

٣ **المقالات الأدبية:** وهي التي تعرض موضوعاً في الأدب أو النقد، مثل: شعر التفعيلة، والهمس في شعر المهاجر، والالتزام في الأدب، ومفهوم الأدب الإسلامي، وقصيدة النثر، وأثر الصحافة في الأدب.

٤ **المقالات التأملية:** وهي التي تعرض مشكلات الحياة، والكون والنفس الإنسانية، ويعتمد فيها الكاتب على فكره وتأمله، ويدرس المشكلة حسب ما تمليه عليه نظرته ورؤيته، ويبدي وجهة نظره الخاصة مثل: التأمل في ملكوت االله، وفي خلق الشمس والقمر، والليل والنهار.

٥ **المقالات التاريخية:** وهي التي تتخذ من أخبار التاريخ وأحداثه ووقائعه موضوعاً، مثل: نكبة البرامكة، وخروج المسلمين من الأندلس، وتوحيد المملكة على يد الملك عبد العزيز.

أبرز أعلام المقالة:

إن الذين مارسوا كتابة المقالة من الأدباء والكتاب كثيرون كثرةً تتجاوز العدّ والإحصاء؛ فالصحافة تبرز لنا في كل يوم مئات المقالات في الموضوعات المتنوعة، وحسبنا أن نشير إلى أبرز كتاب المقالة في الأدب العربي الحديث الذين حازوا الشهرة والريادة في تحرير هذا الفن الأدبي، يأتي في طليعتهم مصطفى لطفي المنفلوطي في كتابه (النظرات)، وأحمد حسن الزيات في كتاب (وحى الرسالة)، و(في ضوء الرسالة)، ومصطفي صادق الرافعي في كتابه (وحي القلم)، وعباس محمود العقاد، الذي جمع مقالاته في بضعة كتب منها كتابه (بين الكتب والناس).

٢ النوع الثاني: القصة:

تعد القصة سرد نثري أو شعري تضم أحداثًا أو شخصيات في حبكة فنية تتميز بالتشويق والجاذبية ولها أنواع وهي على النحو الآتي:

١ **القصة القصيرة:** وهي التي تدور حول حادثة واحدة لشخصية واحدة أو لعدة شخصيات في ترابط فني محكم، وليست كما يظن البعض من أنها اختصار لقصة طويلة، وقد نشأت القصة العربية القصيرة مع بداية ترجمة الآداب العالمية إلى اللغة العربية، وكانت متأثرة بقصص مشاهير كتاب القصة الغربيين أمثال (جي دي موباسان)، وغلبت عليها السمة الخيالية والإغراق في المعاني العاطفية، وكان الأخوان محمد ومحمود تيمور أبرز روادها الذين تشكلت على أيديهم، ثم ازداد انتشار القصة القصيرة بعد ازدياد النشر، وكثرة الطلب على نصوص القصة القصيرة.

٢ **الرواية:** هي أطول أنواع القصص، وتمتاز بكثرة أحداثها، وتعدد شخصياتها، وتصويرها لقضية كبرى أو أكثر، ومصطلح الرواية أحدث من مصطلح القصة وأكثر انتشاراً وتقوم الرواية على عدد من العناصر الفنية، أهمها: الأحداث، والشخصيات، والحبكة الفنية، والصراع.

٣ النوع الثالث: المسرحية:

المسرحيةُ قصةٌ تصاغُ في حوار نثري أو شعري يؤديه عدد من الممثلين على خشبة المسرح، وللمسرحية نوعان بارزان هما:

١ **المأساة:** وهي مسرحية جادة تنتهي نهاية حزينة.

٢ **الملهاة:** وهي مسرحية هزلية يراد بها إضحاك الجمهور وتنتهي نهاية مفرحة.

وللمسرحية عناصر فنية أهمها: الزمان والمكان، والحوار، والشخصيات، والأحداث. ومن كتابها في العصر الحديث، بنوعيها الشعري والنثري: إبراهيم الأحدب، وتوفيق الحكيم، وعدنان مردم، وبشر فارس، وغيرهم.

٤ النوع الرابع: السيرة الفنية:

إن مفهوم السيرة في اللغة: الطريقة، وفي الاصطلاح الأدبي: فن يتناول حياة إنسان تعريفاً وتحليلاً ودراسة، وكلما كانت هذه السيرة - بنوعيها الغيري والذاتي - أكثر أناقة وعناية بالأسلوب الفني العالي، كانت أقرب إلى الأدب منها إلى التاريخ. وللسيرة الفنية أنواع وعناصر فنية وهي على النحو الآتي:

١ **النوع الأول: السيرة الغيرية:** وهي ترجمة حياة أحد العظماء أو المشهورين، أو هي: الكتابة عن أحد الأشخاص البارزين لجلاء شخصيته، والكشف عن عناصر العظمة فيها.

وأبرز عناصرها:

المادة التاريخية: عن الشخص المترجم له، ومن المهم أن تكون مستقاة من مصادرها الرئيسة.

والأسلوب الفني: عنصر مهم لا تعد السيرة مندرجة في الأدب إن خلت منه، ويدخل السرد القصصي في عناصر السيرة الغيرية أحيانًا.

٢ **النوع الثاني: السيرة الذاتية:** تعددت مفهومات السيرة الذاتية، ولكن أحراها بالقبول هو أنها ترجمة الأديب لنفسه، عارضاً فترات حياته، وما مر به من مواقف وأحداث وشخصيات، وفي صياغة أدبية تمتزج برؤاه وفِكَره، فهي ضرب فني عال من المذكرات.

وأبرز عناصرها ما يأتي:

- **الشخصية:** وأهم الشخصيات - في هذا الفن - شخصية الكاتب نفسه، فهو يقابل البطل في الفن الروائي، وغالباً ما يورد كاتب السيرة أحداث سيرته بضمير المتكلم. والحدث: الذي يمثل الوقائع التي مر بها الأديب.
- **السرد القصصي:** الذي يجنح بالسيرة إلى ما يشبه العمل الروائي.
- **الفكرة:** عنصر مهم، وغالباً ما نجد السير الذاتية العظيمة هي تلك التي

تحفل بفكَر عظيمة، ولذلك تثير السيرة الذاتية من الجدل والنقاش أحياناً ما لا تثيره الفنون الأخرى؛ لميل الكاتب إلى التصريح بوقائع حقيقة وبآراء قد لا تروق القراء.

من أشهر أعلام النثر في العصر الحديث

مصطفى صادق الرافعي

التعريف بالكاتب:

برز الكثير من الأدباء الذين أسهم حبرهم في رسم اللوحة النثرية في العصر الحديث، ومن بينهم: مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي العمري المعروف بمصطفى صادق الرافعي، الذي ورد اسمه في القصة، وُلد الرافعي في مصر اليوم الأول من عام ١٨٨٠ في قرية بهتيم التابعة لمحافظة القليوبية المصرية وأصله من طرابلس الشام وعاش حياته في طنطا.

من كبار الكُتاب والأدباء، مارس قرض الشعر والكتابة، وينتمي إلى مدرسة المحافظين وهي مدرسة شعرية تابعة للشعر الكلاسيكي، لقب بمعجزة الأدب العربي وأُطلق عليه لقب فيلسوف القرآن، وله العديد من الكتب الهامة في الشعر والأدب منها (تاريخ آداب العرب)، و(تحت راية القرآن)، و(وحي القلم)، وبعض القصص التي نهج فيها نهجاً فلسفياً، امتاز أسلوبه بعمق الفكرة وقوة البيان.

وفي العاشر من شهر أيار/ مايو عام ١٩٣٧، وبعد أن أنهى الرافعي ذو السبعة والخمسين عامًا صلاة الفجر، شعر بألم يعتصر معدته، ولم تنفع حبوب الدواء التي تناولها، فسقط ميتًا. ولم تكتشف عائلته الأمر حتى الصباح، عندما استيقظوا ورأوه ممددًا على الأرض. ودفن الرافعي بجوار أبيه في مقبرة العائلة في مدينة طنطا. وللرافعي نصّ في معنى العيد، سنذكره تبعًا.

مقالة (معنى العيد) للرافعي

النَّـصُّ:

"مَا أَشَدَّ حَاجَتَنَا نَحْنُ - المُسْلِمِيْنَ - إِلَى أَنْ نَفْهَمَ أَعْيَادَنَا فَهْمًا جَدِيدًا، نَتَلَقَّاهَا بِهِ وَنَأْخُذُهَا مِنْ نَاحِيَتِهِ، فَتَجِيءَ أَيَّامًا سَعِيدَةً عَامِلَةً، تَنَبَّهَ فِينَا أَوْصَافَهَا القَوِيَّةَ، وَتَجَدَّدَ نُفُوسَنَا بِمَعَانِيهَا، لَا كَمَا تَجِيءُ الآنَ كَالِحَةً عَاطِلَةً مَمْسُوحَةً مِنَ المَعْنَى، أَكْبَرُ عَمَلِهَا تَجْدِيدُ الثِّيَابِ، وَتَحْدِيدُ الفَرَاغِ، وَزِيَادَةُ ابْتِسَامَةٍ عَلَى النِّفَاقِ.

لَيْسَ العِيدُ إِلَّا إِشْعَارَ هَذِهِ الأُمَّةِ بِأَنَّ فِيهَا قُوَّةَ تَغْيِيرِ الأَيَّامِ، لَا إِشْعَارَهَا بِأَنَّ الأَيَّامَ تَتَغَيَّرُ؛ وَلَيْسَ العِيدُ لِلأُمَّةِ إِلَّا يَوْمًا تَعْرِضُ فِيهِ جَمَالَ نِظَامِهَا الإِجْتِمَاعِيِّ، فَيَكُونُ يَوْمَ الشُّعُورِ الوَاحِدِ فِي نُفُوسِ الجَمِيعِ، وَالكَلِمَةِ الوَاحِدَةِ فِي أَلْسِنَةِ الجَمِيعِ؛ يَوْمَ الشُّعُورِ بِالْقُدْرَةِ عَلَى تَغْيِيرِ الأَيَّامِ، لا القُدْرَةِ عَلَى تَغْيِيرِ الثِّيَابِ.

وَلَيْسَ العِيدُ إِلَّا تَعْلِيمَ الأُمَّةِ كَيْفَ تَتَّسِعُ رُوحُ الجِوَارِ وَتَمْتَدُّ، حَتَّى يَرْجِعَ البَلَدُ العَظِيمُ وَكَأَنَّهُ لِأَهْلِهِ دَارٌ وَاحِدَةٌ يَتَحَقَّقُ فِيهَا الإِخَاءُ بِمَعْنَاهُ العَمَلِيِّ، وَتُظْهِرُ فَضِيلَةُ الإِخْلَاصِ مُسْتَعْلِنَةً لِلْجَمِيعِ، وَيُهْدِي النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَدَايَا القُلُوبِ المُخْلِصَةِ المَحَبَّةِ؛ وَكَأَنَّمَا العِيدُ هُوَ إِطْلَاقُ رُوحِ الأُسْرَةِ الوَاحِدَةِ فِي الأُمَّةِ كُلِّهَا.

هَذِهِ المَعَانِي القَوِيَّةُ هِيَ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا فُرِضَ العِيدُ مِيرَاثًا دَهْرِيًّا فِي الإِسْلَامِ، لِيَسْتَخْرِجَ أَهْلُ كُلِّ زَمَنٍ مِنْ مَعَانِي زَمَنِهِمْ فَيُضِيفُوا إِلَى المِثَالِ أَمْثِلَةً مِمَّا يُبْدِعُهُ نَشَاطُ الأُمَّةِ، وَيُحَقِّقُهُ خَيَالُهَا، وَتَقْتَضِيهِ مَصَالِحُهَا".

للحفظ الفقرة الأولى

الشرح والتحليل:

يطلب الرافعي أن نفهم معني العيد كما فهمه الأولون من صحابة رسول الله ﷺ ومن سار على هديهم، لا كما نفهمه الآن فهمًا غايته الاهتمام بالمظهر والشكل الذي لا يتجاوز تجديد الثياب، والبذخ في إقامة الحفلات، ويحدد الرافعي بعد ذلك المعاني والأهداف السامية التي ينبغي أن نستشعرها في يوم العيد ومنها:

١ الشعور بأن العيد موسم إسلامي، هدفه جمع الأمة على إرادة واحدة في سبيل العمل البناء.

٢ إحساس الأمة بوجودها الروحاني الذي كسبته من الإسلام.

٣ تعليم الأمة أثر العيد في غرس فضيلة الإخاء، وحسن الجوار، ومزية الإخلاص والمحبة، حتى يصبح البلد على اتساع جنباته وكثرة سكانه كأنه لأهله بيت واحد.

٤ العيد موسم التقاء الكبار والصغار؛ للتعبير عن السعادة الحقيقية والفرح الصادق بتحقيق حياة عملية ناجحة، تمضي في طريقها الخير المدروس، واستعادة المعاني الإنسانية التي تؤلف بين الجميع برباط الإخاء والعطف والمحبة.

وتمتاز معاني النص بالعمق والتنوع، واستحضار الأفكار الجديدة التي يبذل الرافعي جهداً في الغوص إليها، وتشقيقها، ويحتاج القارئ إلى بذل المزيد من التأني لفهم ما يرمي إليه، وما يود أن ينقله إلى قارئه. أما ما يخص لغته وأسلوبه فإن الألفاظ التي كوّن منها الرافعي مقالته لا يحتاج في فهمها إلى معجم لغوي فليس فيها لفظة غريبة يصعب معناها، بل هي من الكلمات الشائعة التي يستعملها سائر الكُتاب.

والتراكيب والجمل تمتاز بفصاحتها؛ ولكن هناك صعوبة في فهم المعنى أول وهلة، وهذه الصعوبة لا تأتي من الأسلوب نفسه، ولكن من عمق الفكرة التي يود

الرافعي أنْ يؤديها، وذلك أن المعنى يعتمل في نفسه، ويختمر في ذهنه، فيحاول أن يلبسه من اللفظ ما يلائم، فيخفى المعنى أحيانًا فلا يستخرج إلا بعد تفكير وجهد، فالفكرة عند الرافعي هي التي تصنع الأسلوب، ويشعر القارئ أن الأسلوب لا يقوى على حمل المعنى وتوضيحه، والعبارة في المقالة تتراوح بين الطول والقصر طبقاً لما يقتضيه توضيح المعنى وجلاء الفكرة، وأسلوب الرافعي متميز ذو خصائص ينفرد بها تنبئ عن شخصيته.

المناقشة

١ هل حظي النثر في العصر الحديث بتطور كما حظي به الشعر؟ وضح ذلك.

٢ للنثر في العصر الحديث خصائص، عددها.

٣ اختلفت فنون النثر في العصر الحديث عن باقي العصور، عدد تلك الفنون فقط.

٤ ما أبرز موضوعات المقالة في العصر الحديث؟ ومن هم أبرز أعلامها؟

٥ ما مفهوم القصة القصيرة؟ والسيرة الذاتية؟ بيّن ذلك.

٦ من أشهر أعلام النثر في العصر الحديث؟ عرّف به باختصار.

٧ بماذا لقب الرافعي؟ وما الكتب التي ألّفها؟

٨ ماذا يعني لك العيد؟ اكتب نصًّا نثريًّا عنه.

٩ وضح اللغة الأدبية التي كتبت بها مقالة (معنى العيد)، وما يميّز أسلوبها؟

١٠ بمَ تمتاز معاني قصة (معنى العيد) للرافعي؟

١١ ما الأهداف والمعاني التي يستشعرها المسلم من العيد؟

١٢ للعيد شعور في نفس المسلم، بين ذلك الشعور بسطرين.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات